المعهد القومي للآثار والفنون

المكتبة التاريخية

1

نظام العزابة عند الإباضية الوهبية

في جربة

تأليف

فرحات الجعبيري

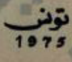
تونس
1975

المكتبة التاريخية
للمعهد القومي للآثار والفنون

العدد الأول

نظام العزابة عند الإباضية الوهبية في جربة

تأليف
فرحات الجعبيري



تونس
1975

المطبعة العصرية ـ تونس

بسم الله الرحمن الرحيم

اعترافا بما أسدته لي المكتبة البارونية وآل الباروني من جميل أتقدم بهذه الهدية المتواضعة

فوحات الجعبري

وزارة الشؤون الثقافية

المعهد القومي للآثار والفنون

المطبعة العصرية - تونس

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان الا على الظالمين، والصلاة والسلام على سيد الاولين والآخرين.

لقد انتهينا من تحرير هذه الدراسة ، فى الخامس عشر من شهر سبتمبر سنة احدى وسبعين وتسعمائة والف . فمكنتنا من الاحراز على شهادة الكفاءة فى البحث العلمى بقسم العربية بكلية الآداب بالجامعة التونسية بملاحظة حسن جدا .

ولقد اشرف على هذا البحث الدكتور محمد الطالبى ، وشارك فى المناقشة الدكتور المنصف الشنوفى .

وانفق على طبع هذا العمل المعهد القومى للآثار والفنون الاسلامية بالجمهورية التونسية رغبة فى نشر التراث الاسلامى .

نسال الله تعالى ان يلهمنا الرشد ، وان يهدينا الى اقوم السبيل ، انه سميع عليم ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم .

المؤلف

تونس فى 5 ربيع الثانى 1395

16 افريل 1975

الاهداء

الى ارواح كل من يسعى فى الاصلاح الدينى حسب نور القرآن الكريم وهدى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

صفحة الرموز

كتاب السيرة	: كتاب السيرة واخبار الائمة لابى زكرياء يحيى بن ابى بكر
الطبقات	: طبقات الدرجينى
البارونية	: مكتبة البارونى بحومة الحشان
الشيخ سالم	: الشيخ سالم بن يعقوب ـ غيزن ـ
دفتر رقم 1	: مجلد نسخه الشيخ سالم بن يعقوب من مصر موجود بمكتبته
لائحة عزابة غارداية	: وثيقة صورتها من مليكة عنوانها « نبذة فى ذكر احوال عزابة الحلقة »
() وسط النص	: نشير بها الى اضافه او اصلاح
ط	: مطبوع
خ	: مخطوط
د تا	: بدون تاريخ

مقدمة الشيخ سالم بن يعقوب

بسم الله الرحمان الرحيم
وصلى الله على سيدنا محمد وسلم تسليما

لا اراني مضطرا ، وانا اقدم هذه الدراسة القيمة ، التى سهر على اعدادها ولدى فرحات الجعبيرى ، ان اتعرض للحديث عن العزابة لانه حاول ان يستوفى كل جوانبها بقدر الامكان ، وانما تبين لى من الاصلح ان اذكر فى عجالة بشىء من نشاط الاباضية عامة ، وان اشير الى قيمة نظام العزابة فى المجتمع الاباضى .

معلوم لدى كل دارس نزيه ، ان الاباضية عاشوا حياتهم الطويلة عبر العصور فى ظل الاسلام الحنيف ، متنعمين بنعيمه ، ملتزمين تطبيق اوامره التى ارتضاها الله لعباده المؤمنين ، متخذين كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم نصب اعينهم : «ان هذا القرآن يهدى للتى هى اقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا » . (الاسراء آية 9) .

وقد اختاروا طريقا معتدلا ، وجعلوا هدفهم الوحيد اقامة اوامر الدين ، والمحافظة عليه علما وقولا وعملا ، واجتهدوا خاصة فى نشر العلم ، فانشاوا المدارس فى المدن والقرى والبوادى ، وجلبوا لها المدرسين المجدين ، كما اعتنى علماؤهم بتاليف كتب باللغة البربرية فى اصول الدين وفروعه للذين لا يفهمون العربية ، ومنها بقية الى الآن ، زيادة على ما كتبوه باللغة العربية ، وما ورد فى هذه الدراسة وغيرها من كتب الاباضية وكتب غيرهم اكبر دليل على ذلك .

وقد جعل الاباضية فى فترة الكتمان مراقبين وحراسا يراقبون هذه الحركة المباركة ، يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويعينون الناس على القيام بواجباتهم ، كل ذلك بغير مقابل مادى ، ويتجلى هذا واضحا فى نشاط هيئة العزابة سواء فى جبل نفوسة او فى جربة او فى وادى ميزاب حيث ما يزال النظام قائما الى يومنا هذا .

وقد اجتهد الاستاذ فرحات الجعبيري فى جمع شتات المعلومات عن هذا النظام ، نظام العزابة عند الاباضية الوهبية فى جربة ، وقد وفق فيه غاية التوفيق من حيث التنسيق والترتيب ، فاظهر امتياز الاباضية ، وشدة اهتمامهم بالمحافظة على دين الله تعالى ، واعتناءهم به ومقدرتهم على تنفيذ أوامره ، واحيائه فى الاوساط المختلفة بغير دولة تؤيدهم ، ولا حكومة تنصرهم ، ولا قوة مادية تدافع عنهم ، وكم راوا من هجومات تتسلط عليهم قصد اذلالهم ، وحسدا لما عندهم من امن واستقامة اللذين لا يتوفران دائما فى غير اوساطهم ، ولولا صبرهم على تحمل المشاق ، وتكبد الاتعاب ، وشظف العيش ، لما استطاعوا المحافظة على مبدئهم ، ولما فروا به الى قنن الجبال ، وجزر البحار قانعين بما لديهم ، زاهدين فى الدنيا ، راجين فضل الله تعالى .

وختاما ارجو ان تكون هذه الدراسة فاتحة عهد لدراسات اخرى تكتب بالعربية ، اذ كتبت عدة دراسات باللغات الاجنبية ، الا انها لم تنشر بعد ، نذكر منها دراسة الاستاذ عمرو خليفة النامي عن تطور الفكر الاباضي التى احرز بها على شهادة الدكتورا بجامعة كمبريدج .

الشيخ سالم بن يعقوب
جربة فى 8 ذى القعدة 1393
3 ديسمبر 1974

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

بقلم : الاستاذ الدكتور محمد الطالبي

ان المذهب الاباضى من أعظم المذاهب الاسلامية اهمية واقدمها ظهورا . ولقد لعب هذا المذهب دورا هاما جدا على ركح المغرب عامة ، وافريقية خاصة . فلقد شارك مشاركة هامة جدا فى تلك الثورات العارمة التى هزت المغرب هزا عنيفا ابتداء من سنة 122 ه ، وكادت تضع نقطة نهاية لحكم الامويين ، والعباسيين من بعدهم ، فى هذه الربوع . ولا شك ان تلك الثورات كانت ناشئة عن ظلم الولاة ، وسوء تقدير الخلفاء للوضع ، وتنكرهم لمبادئ الاسلام .

ولا شك ايضا ان زعماء المذهب الاباضى القادمين من الشرق قد ساهموا مساهمة جليلة فى بث الاسلام فى المغرب وترسيخ قدمه ، فلقد اقنعوا البربر ان الظلم الذى ينالهم ليس من وحى الاسلام ، وانما هو من عمل من تنكر للاسلام . فلم يخلط هكذا البربر بين الدين وبين من يزعم انه يمثله ، فيظلم تحت ستاره . فكانت ثورة البربر على الظلم ، لا على العرب من حيث هم عرب، ولا على الدين . بل انطلقت ثورتهم باسم الاسلام ، وانضوت تحت لوائه .

وتمكن الاباضيون من اقامة دولة هامة بالمغرب الاوسط ، وعرفت عاصمة الدولة ازدهارا عظيما ، وثراء طائلا ، وربطت علاقات تجارية متينة ومثمرة مع الاندلس وممالك افريقيا الواقعة جنوب الصحراء . ونال هذه الدولة ما نال دول المغرب المعاصرة ، فلقد غمرتها الموجة الفاطمية ، وقضت عليها .

غير ان المذهب الاباضى صمد صمودا غريبا ، ناشئا عن قوة الايمان الذى يعمر قلوب اصحابه ، ويجعلهم يثبتون للمحن ، وينسجمون مع الوضع فى دون تنكر لمثلهم العليا ، وفى دون تضحية بالمقدسات . فلقد اهتدى الاباضيون ، بفضل اخلاصهم لمبادئهم ، لايجاد الحلول الملائمة للوضع فى كل الملابسات التى مروا بها ، وبالرغم عما نسجتهم من رياح متعاكسة لم تستطع ان تعفى الرهم الى اليوم .

وبمليكة عثرت على لائحة بخط عزابة غارداية غير مؤرخة اثبتوا فيها وظيفة كل عضو من اعضاء العزابة ، وقد صورها لى الشيخ بيا عمارة صاحب المكتبة .

تطبيق هذا النظام فى وادى ميزاب

قد ذكر لى شيخ وادى ميزاب : **ابراهيم بيوض** فى جلسات متعددة كثيرا من الحقائق عن نظام العزابة افادنى كثيرا . واتصالى به ساعدنى على التعرف على كثير من المواقف الدقيقة .

وقد حضرت فى مدينة مليكة نداء العزابة لحملة نظافة فلاحظت اقبال كل اهل المدينة فى الصباح الباكر كل بما اوتى من قدرة للقيام بهذا الواجب.

كما حضرت هناك حفل زفاف اشرف عليه العزابة ، فالقيت فيه مواعظ . ورفعت اناشيد الفرح ، وقدمت تمثيلية جدية واخرى هزلية الخ ...

ومما يثبت قيمة هذا النظام انك لا يعترض سبيلك اى سائل ، ولا تسمع حرمات تنتهك ، ولا تجد حانة او دار فجور . عدا فى مدينة غارداية اذ لا تخضع كلها لنظام العزابة ، وقد اقام عزابتها نظام حراسة محكم لمراقبة حركات اتباعهم ، وما يقع فى المدينة ، وقد اقرته حكومة الجزائر لما لاحظت فيه من فوائد

هذا بعض النشاط الذى قمت به لاعداد هذا البحث وارجو ان اوفق فى الالمام بهذا الموضوع الذى لم يدرس بعد دراسة علمية واسعة ، كما يقرر ذلك الاستاذ لويكى فى فصل «حلقة» بدائرة المعارف الاسلامية ص 99 فمهما اجتهد الباحث يصعب ان يصل الى اليقين .

المدخل التاريخي

مدخل تاريخي

الفتح الاسلامي

تتفق المصادر ان جربة فتحت سنة 47 هـ : 667 ـ 668 م على يد الصحابي رويفع بن ثابت الانصاري زمن معاوية ابن ابي سفيان 41 ـ 60 هـ : 661 ـ 673 م (1) .

ثم تسكت عما وقع في جربة طيلة القرن الاول والثلث الاول من القرن الثاني هـ . فيصعب ان نقرر تبعيتها لطرابلس او القيروان ، غير اننا نرجح تبعيتها لطرابلس لانطلاق الفتح من هناك ، ولقربها منها .

واذا علمنا تغلب دول الاباضية على طرابلس في القرن الثاني هـ : القرن الثامن م من سنة 127 هـ : 744 ـ 745 الى 149 هـ : 766 ـ 767 م واستيلاءهم على القيروان سنة 141 هـ : 758 ـ 759 م (2) يمكن ان نتصور كيف تسربت افكار الاباضية الى جربة .

فما هي هذه الفرقة ؟

وكيف دخلت بلاد المغرب ؟

ثم كيف تغلغلت في جربة ؟

---

(1) الحلل السندسية الجزء الاول القسم الثاني ص 374

(2) سير الشماخي ص 125

تاريخ ابن خلدون م 6 ط بيروت ص 223 ـ 224

الرقيق القيرواني تاريخ افريقية ص 129

تعريف الاباضية :

هى فرقة من الفرق الاسلامية يعدها جل المؤرخين احدى فرق الخــوارج (1) غير ان كل مؤرخيها يتبرؤون من هذه النسبة (2)

ترجع جذور هذه الفرقة الى اجتماع النهروان سنة 38 هـ : 658 ـ 659 م بعد قبول على التحكيم ، اذ اعتبر هؤلاء ان لا حكم الا لله ،وبايعوا عبدالله ابن وهب الراسبي (3) ، فطاردهم على ثم الامويون بعده فى كل مكان .

سميت بهذا الاسم نسبة لامامها السياسى عبد الله بن اباض ، وفاتــه 86 هـ : 705 م (4) وكان يصدر امره عن راى جابــر بن زيــد (21 ـ 93 هـ : 641 ـ 642 : 711 ـ 712 م) (5) .

وكان جل نشاطهم بمكة والمدينة و**البصرة** والكوفة واليمن وحضر موت وعمان(6)

الاباضيــة فى المغــرب (7)

ا) دخول الاباضية بلاد المغرب :

لقد ساعد على دخول الاباضية جزيرة المغرب عاملان :

1) مطاردة الامويين اياهم فى المشرق

2) اضطهاد امراء بنى امية البربر فى المغرب

---

(1) تاريخ ابن خلدون م 6 ط بيروت ص 220 ، الطبرى ، ابن الاثير

(2) كتاب الجواهر للبرادى ص 67 ـ 153

الطبقات الجزء الثانى ص 8

مقدمة تحفة الاعيان : للشيخ عبد الله السالمى

الدين والعلم الحديث : لابراهيم محمد عبد الباقى ص 258

مقدمة لشرح الجزء الثالث من مسند الربيع بن حبيب فى الحديث : لعز الدين التنــوخــى .

(3) الطبقات ج 2 ص 1 « لما كان امر الحكمين ... ارادوا تولية رجــل منهــم ... فعزموا على تولية عبد الله بن وهب الراسبى »

(4) الاعلام للزركلى الجزء السادس ص 184 ـ 186

(5) سير الشماخى ص 71 ـ 77

(6) رسالة لواب بن سلام ص 42

(7) CHIKH BEKRI : Le Kharijisme Berbère Annales de l'Institut des Etudes Orientales P 55-108 . 1957.

والناظر فى كتب التاريخ عامة لا يجد تاريخا مضبوطا لدخول هــذه الفرقــة بلاد المغرب ، غير اننا نجد فى كتب الاباضية نصا يمكن الباحث من الاستنتاج

« عن عبد الرحمان بن رستم ، اول من جاء يطلب مذهب الاباضية ونحن بقيروان افريقية ، سلمة بن سعد قال : « قدم علينا من ارض البصرة ، ومعه عكرمة مولى ابن عباس »

ويضيف الدرجينى ان شيخا نصح عبد الرحمان بن رستم ، ان يتجــه الى البصرة ليتعلم على ابى عبيدة مسلم ابن ابى كريمة المتوفى سنة 145 هـ : 762 ـ 763 م (1)

ان هذا النص يثبت ان زيارة سلمة مدينة القيروان ، كانت بعد سنة 93هـ : 711 ـ 712م ، اذ تزعم ابو عبيدة الاباضية بعد وفاة جابر بن زيد ، وقبــل سنة 105 هـ : 723 ـ 724 م وهو تاريخ وفاة عكرمة (2)

فهى حينئذ فى نهاية القرن الاول او بداية الثانى هـ اى الثامن م .

ب) انتشار دعوة الاباضية فى المغرب :

يبدو ان سلمة بن سعد دعا لمذهب الاباضية طيلة الطريق اذ نجد اثــر دعوته فى طرابلس خاصة قبل مجىء حملة العلم الخمسة الذين اقاموا دولــة بطرابلس سنة 140 هـ : 757 ـ 758 م (3)

---

(1) كتاب السيرة الجزء الاول ص 5

الطبقات الجزء الاول ص 8

سير الشماخى ص 123

بالنسبة لترجمة ابى عبيدة انظر الاعلام للزركلى الجزء الثامن ص 119

(2) كتاب المعارف لابن قتيبة ص 158

(3) كتاب السيرة الجزء الاول ص 14

الطبقات الجزء الاول ص 16

سير الشماخى ص 124

1) ابو الخطاب عبد الاعلى بن السمح المعافرى - من عرب اليمن -

2) عبد الرحمان بن رستم الفارسي

3) عاصم السدراتي

4) اسماعيل بن دارار الغدامسي

5) ابو داود القبلي

وهذاالاثر يظهر فى قيام دولة التجيبي ثم عبد الجبار المرادى ويبدو ان جربة كانت خاضعة لهذه الدول

قيام الدولة الرستمية بالجزائر 160 هـ 296 هـ : 776 - 777 م 908 - 909 م

اننا نجد جربة تحت لواء الامام عبد الوهاب 171 - 211 هـ : 787 - 788م - 826 - 827 م اذ يذكر الشماخي : وغيرها تحت ولايته وكذا جربة (1)

هذه جربة قد فتحها المسلمون وانتشرت فيها فرقة الاباضية اذ خضعت لدولهم .

فكيف استطاع الاباضية بها ان يحافظوا على كيانهم الى زماننا هذا القرن الرابع عشر هـ : العشرين م ؟

سنحاول فى هذا البحث ان نجيب عن هذا السؤال ، معتمدين على المراحل التالية .

1 نشأة نظام العزابة

2 مؤسس نظام العزابة

3 حقيقة نظام العزابة

4 تطبيق هذا النظام فى جربة من القرن الخامس الى القرن الثانى عشر هـ - الحادى عشر الى الثامن عشر م

---

(1) سير الشماخي ص 161

الفصل الأول
نشأة نظام العزّابة

تنقسم فترات الحكم عند الاباضية الى اربعة اقسام : **الظهور ـ الدفاع ـ الشراء ـ الكتمان** يقول الشيخ امحمد اطفيش :

مسالك الدين اى الاحكام الشرعية اربعة ، اى الطرق التى يتوصل بها الى تنفيذ الاحكام الشرعية :

الظهـور :

بالامامة الكبرى لانفاذ حقوق الله وحقوق العباد ، ولا يزول امامهـا الا باحداث فى الدين او زوال عقل ، او عدم نفع به (1)

الدفـاع :

للعدو اذا جاءهم ، او جاء اموالهم ، او جاء من يريدون دفع الظلم عنه بامام ينصب له ، واذا زال العدو زالت الامامة فتجدد له او لغيره ... (2)

الشـراء :

شراء الانسان نفسه من النار او شراء الجنة بنفسه ... (3)

الكتمـان :

المحافظة على الدين بحيث لو اظهر لعطل عنه ، ومنع منه ، فمن ضيع دينه فليس جاريا على حكم الكتمان ، كما انه ليس على الظهور ولا على الشراء ولا على الدفاع (4) . ان فترة الكتمان ترتبط ببحثنا اكثر من الاخـرى ، لان نظام العزابة لم يقم الا فيها .

---

(1) مثل عهد الخلفاء الراشدين وعهد الرستميين بالجزائر

(2) كدفاع اهل النهروان

(3) مثل ابى بلال مرداس المتوفى 61 هـ : 680 ـ 681 م

(4) مثل موقف الرسول عليه السلام قبل الهجرة

كامل النص من شرح عقيدة التوحيد ص 113

الفصل الثاني
مؤسس نظام العزابة

نتـــائج فتـرة الظهـور في المغـرب

لقد استقام الامر للاباضية فى ليبيا ما لا يقل عن عشرين سنة فى النصف الاول من القـرن الثانى هـ : القرن الثامن م . ثم فى بلاد الجزائر من 160 الى 296 هـ: 776 _ 777م الى 908 _ 909م وتذكر المصادر ، انهم نشروا فيها العدل، واقاموا شريعة الله . (1)

وقد انتهت الامامة الاباضية فى ليبيا بتغلب دولة بنى العباس عليهم بقيادة الاغالبة فى واقعة مانو 283 هـ : 896 _ 897 ، وفى الجزائر بتغلب الشيعة عليهم سنة 296 هـ : 908 _ 909 .

اما واقعة مانو فقد نتج عنها دخول الاباضية فى الكتمان ، اذ مات بها جل علمائهم . فلذلك فكروا بقيادة ابى القاسم اليفطورى وابى محمد عبد الله ابن الخير فى اقامة نظام يحفظ كيانهم ، دون ان يعرضهم لهجومات السلطان . ومن هذا العهد بدا التفكير فى نظام العزابة (2) .

اما سقوط الدولة الرستمية فقد نتجت عنه ثورتان :

1) ثورة ابى يزيد مخلد بن كيداد (3)

---

(1) ابن الصغير فى تاريخ الدولة الرستمية كامل الكتاب .
(2) كتـاب السيرة الجزء الاول 86 _ 89 ، الطبقـات الجزء الاول 66 _ 69 ، سير الشماخى 268 _ 269 ، خلاصة تاريخ تونس 88
بالنسبة لترجمة الشخصيتين انظر سير الشماخى ص 235 _ 238
• وكان ياتى ابا القاسم الى منزله بعد مانو فيتعاونان . . . •
(3) كتاب السيرة ج 1 ص 99 _ 106 ، طبقات الدرجينى ج 1 ص 76 _ 81 ، خلاصة تاريخ تونس ص 99

2) ثورة ابى خزر يغلى بن زلتاف (متـوفى 380 هـ : 990 _ 991 م وهى زمن ابى تميم الشيعى 341 هـ _ 362 هـ : 952 _ 953 _ 972 973م سنة 358هـ: 968 _ 969 م ، انهزم فيها الاباضية فى واقعة **باغاى** (1) . وبذلك دخل بقية الاباضية فترة الكتمان ، بعد ان حاولوا استرجاع دولتهم .

هكذا شعر الاباضية بنفوسة من النصف الاول للقرن الرابع هـ : العاشر م وبقصطيلة واريغ وافريقية ووارجلان وجربة من النصف الثانى من نفس القرن ان لا قوة لهم لتكوين امامة ظهور .

ولاحظوا وفود الاباضية على هذه الجهات ، من تاهرت ، وغيرها من المدن التى تغلغل فيها الشيعة فتبينوا انه يعسر عليهم ان يتعايشوا على احسن وجه اذ لم يالفوا نفس العادات .

فلذلك فكر شيوخ الاباضية آنذاك فى تكوين نظام يتماشى والكتمان ، يحفظ كيانهم ، ويجمع شملهم ، دون ان يتعرضوا لشر السلطان الذى اصبح يخشى ثوراتهم ، ويحاول تشريدهم

ومنزلة هذا النظام بمنزلة السلطان العادل اذ يقول ابو عمار عبد الكافى منزلة الحلقة اى نظام العزابة التى اثبتها المشائخ حين عـدم عن اهل المذهب السلطان العادل ، وتبوؤها ونزولها منزلة السلطان العادل فى العدل سواء (2)

فمن هو مؤسس هذا النظام ؟

---

(1) كتاب السيرة ج 2 من 129 _ 131 ، الطبقـات ج 1 من 95 _ 102 ، سير الشماخى 349 _ 351
بالنسبة لترجمته نفس الصفحات السابقة عـن واقعـة باغاى : انظر خريطـة الجزائر بالنسبة لتحديد موقع باغاى .
(2) رسالة فى نظام العزابة ص 5

التفكير في تكوين نظام العزابة :

لقد ظل هؤلاء العلماء يترقبون طيلة القرن الرابع هـ : العاشر م انتصار ثورة من ثوراتهم ، غير ان هذه الامنية لم تتحقق ، واستمر دعاتهم في نشاطهم في تثبيت اهل الدعوة (1) على مبادئهم ، ريثما يستقر راى من الاراء.

ولم يكن هذا التفكير جماعيا ، غير ان كل جماعة في جربة او غيرها ، ظلت تفكر من ناحيتها ، الى ان انبثقت الفكرة من **ابى زكرياء فصيل ابن ابى مسور اليهراسنى** (2) .

وتثبت المصادر ان ابا زكرياء هذا ، اراد المشاركة في ثورة ابى خزر غير انه بلغه وهو في طريقه الى المعركة خبر انهزام ابى خزر وتفرق الجماعة في واقعة باغاى (3)

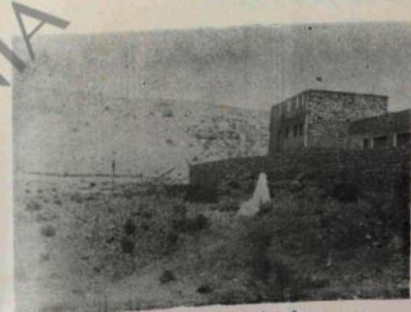
فلذلك رجع الى جربة ، ليعين والده ابا مسور (4) ، وفى نفسه شيء ثم تولى زعامة الجزيرة بعد موت والده ، ففكر طويلا في موضوع هذا النظام ، ثم ارسل ولديه زكرياء ويونس وابن اخته وغيرهم من اقاربه في جماعة من الطلبة الى تلميذه **ابى عبد الله بن بكر** سنة 408 هـ : 1017 ـ 1018 م والح عليهم ان يطلبوا منه سن نظام يتماشى والكتمان ، فمن هو ابو عبد الله هذا ؟ ان كل مؤرخي الاباضية اطالوا الحديث عنه ، ورووا جميع اخباره (5)

---

(1) اهل الدعوة تطلق عادة على الاباضية
(2) انظر ترجمته في ما يلي
(3) كتاب السيرة ج 1 ص 161
(4) انظر ترجمته في ما يلي
(5) كتاب السيرة ج 1 ص 169 ـ 171 ج 2 ص 29 ـ 44
سير الوسياني ص 30 ـ 33
الطبقات ج 1 130 ـ 146 ج 2 ص 159 ـ 173
سير الشماخي 384 ـ 392
مع اخبار تذكر عرضا .



مقام الشيخ ابى عبد الله محمد بن بكر مؤسس نظام العزابة بمدينة العطف بوادى ميزاب



مقبرة المعتزلة عند سور مدينة العطف

هو ابو عبد الله محمد بن بكر ابن ابى بكر الفرسطائى النفوسى (1)

تكون ولادته فى الربع الاخير من القرن الرابع هـ : العاشر م . اذ كان انتهاؤه من الدراسة سنة 408 هـ : 1017 — 1018 م كما سنثبت فى ما يلى .

ابو عبد الله فى طلب العلم :

لسنا ندرى ماذا درس فى جبل نفوسه ، او عمن درس ، الا اننا نعلم انه انتقل الى جربة ، ودرس على الشيخ ابى زكريا، فصيل فى الجامع الكبير (2) فتوسم فيه شيخه خيرا ، قولا وعملا .

اما القول : فانه نظر اليه ذات يوم ، فراى اجتهاده ، وحسن سيماته ، وتمسكه بخلال الخير ، فقال : « ان اصاب حدسى ، ولم تخطىء فراستى ، فان هذا الفتى يحيى الله به دينه (3) .

واما العمل : فيظهر فى ارساله ابنيه مع جمع من التلاميذ ليدرسوا عليه

وتسكت المصادر عن مدة اقامته بجربة ، ثم تختلف فى ضبط المكان الذى سافر اليه ليواصل تعلمه .

اما الوسيانى فيذكر انه اتى القيروان ، ثم الحامة (4) ، لكن ابا زكرياء والدرجينى يذكران انه ذهب الى الحامة ، ثم القيروان ، ونرجح انه ذهب الى الحامة ، ثم القيروان ، لانه اثر رجوعه منها قعد للتدريس كما سنبين .

ومهما يكن من امر ، فانه درس فى المدينتين .

---

(1) الفرسطائى نسبة الى فرسطا : مدينة تقع فى جبل نفوسة ، شرقى مدينة كاباو من مديرية الحرابة التابعة لمتصرفية لالوت . قد زارها الشيخ سالم بن يعقوب وقد شاهد آثار مسجد وبيت ينسبان لابى عبد الله . وهذه النسبة استنتجناها من قولة احد علماء الجبل فى والد ابى عبد الله : « الفرسطائى عالم يعنى بكرا . » سير الشماخى ص 277

(2) نسبه الدين للبارونى : ملحق سير الشماخى ص 582

(3) الطبقات ج 1 ص 130

(4) يبدو انها بناحية الجريد ، ولعله تعلم عنه فى موطن آخر لان النصوص ليست يقينية .

اما في الحامة فقد درس الاصول على الشيخ **ابي نوح سعيد بن زنغيل** (1) ولم يغادرها الا بعد موت ابي نوح هذا (2) .

واما في القيروان فقد درس علوم العربية (3) ، ولم تذكر المصادر الشيوخ الذين درس عنهم ، غير انها تلح على ذكائه (4) وترجح انه كان ينتقل بين عدة حلق ولم يقتصر على اللغة .

ثم انتقل من القيروان الى قصطيلية (5) يبحث عن الشيخ ابي عمران موسى بن زكرياء (6) ليتعلم عنه الفروع ، وهناك ادركه الوفد الجربي ، وكان ذلك سنة 408 هـ : 1017 ـ 1018 (7) ، ومن ذلك الحين تغير مجرى حياته من الدراسة الى الحياة العملية ، وقد فرضت عليه الظروف ذلك ، وهو راغب في طلب العلا بالاخذ عن اهم الشيوخ .

---

(1) انظر نسبة الدين للباروني ملحق سير الشماخي ص 582 هو من علماء النصف الثاني من القرن الرابع هـ اشتهر بقدرته على المناظرة اذ يقول عن نفسه « ناظرت عن هذه النحلة بين يدى ابى تميم (الشيعى) وابى منصور (الصنهاجى) وابى الخطاب (عامل زويلة) وسائر الفرق ولم يبق مذهب الا غلبته ».
انظر ترجمته : كتاب السيرة ج 1 ص 144 ـ 158
الطبقات ج 2 : ص 135
سير الشماخي 357 ـ 362
(2) الطبقات ج 1 ص 190
(3) سير الشماخي ص 392
(4) كتاب السيرة ج 1 ص 11
(5) ما يقابل جهة الجريد حاليا
(6) انظر ترجمته مع جماعة غار مجماج ص
(7) قد تمكنا من ضبط هذا التاريخ بالاعتماد على تاريخ تحوله الى اريغ409هـ

الحياة العمليـة

لقد درس الشيخ ابو عبد الله على اشهر شيوخ زمانه ، وشهد له اساتذته بالجد والنباهة ، فهو حينئذ كفء ليتحمل المسؤوليات .

أ) سبب قعوده للحلقة (1)

لم يفكر ابو عبد الله في الجلوس للتدريس عند رجوعه من القيروان ، الا ان التقاءه بالوفد الجربي بتقيوس (2) فرض عليه ذلك ، اذ اعلمه افراده «بما جاؤوا في طلبه ... وما وصاهم به الشيخ ابو زكرياء فصيل ، واكد عليهم في ان يكون . ورغبوا اليه في ان يجلس لهم ، ويرتب لهم الحلقة . فامتنع كل الامتناع . فمكثوا اياما يراودونه على ذلك ، ويلحون عليه في الطلب ولم (يجدوا) منه اجابة . فلما كان يوما وهم بمسجد المنية (3) ، والطلبة يكررون الرغبة على ابي عبد الله ، اذ خرج رجل من تقيوس الى الحامة ، وخرج معه صاحبه (4) فجرى بينهما حوار كانت نهايته ، ان قال الواحد للاخر : « اجعلها لله لا تحسب »

فكانت كلمة مناسبة لمقامهم اقام بها الوفد الحجة على ابي عبد الله ، فما كان منه الا ان قبل ولاشك ان الفكرة بدات تلح عليه منذ اول مرة، غير انه تورع في بداية الامر ، لما يعرف من عبء هذا العمل .

---

(1) انظر فهرس المصطلحات
(2) دقاش هي قرية من قرى تقيوس سير الشماخي ص 460
ودقاش معروفة في الجريد وتقيوس هي قرية الوديان حاليا
(3) يقع عند سور مدينة تقيوس من الجهة المؤدية الى الحامة اى من الجهـــة الغربيـة
(4) الطبقات ج 1 ص 131

ب) تاسيس النظام :

لبى ابو عبد الله رغبة الطلبة ، الا انه اشترط عليهم اول الامر ان يتركوه وشانه مدة اربعة اشهر ليختلى بنفسه ، ويراجع ما حصله من معلومات ، ليدعم اسس نظام لم يسبق له مثيل ، يمكنه من القيام بعبء التدريس ، ويتماشى مع مسلك الكتمان .

وانقضت الاشهر الاربعة ، ووفى ابو عبد الله بوعده ، واسس الحلقة بمسجد المنية (1) ، سنة 408 هـ : 1017 ـ 1018م . وهكذا عندما برز النظام سموه **بالسيرة المسورية البكرية** (2) نسبة الى ابى زكرياء فصيل ابن ابى مسور ، وله فضل التحريض ، والى ابى عبد الله وله فضل استفراغ جهده فى وضع قوانينها ، بما يلائم ظروف الزمان والمكان ، ومستقبل الاجيال ، وبما يكفل لهم سعادة الدارين (3) .

ج) تنقل ابى عبد الله والحلقة :

لم يستقر ابو عبد الله منذ تاسيس الحلقة فى مكان واحد الى ان اشتهر عند العامة بسيدى محمد السائح ، وظل ينتقل مع تلاميذه من مكان الى آخر لاسباب مختلفة ، الى ان قال فيه :

عبد الله ابن الامير من علماء الاباضية : « عجبا لهذا الشيخ واصحابه ، امثالهم كمثل الحواريين لعيسى عليه السلام » (4) .

---

(1) الطبقات ج 1 ص 132

(2) يقول الدرجينى ص 132 فى طبقاته : « فهذا سبب قعود الحلقة لمباركة الصادرة عن اكرم مشاركة بين الشجرتين الطيبتين المسورية والبكرية بخطبة واجابة كانتا فى الله ... »

(3) ابو اليقظان ابراهيم : الاباضية فى شمال افريقيا ج 3 ص 15

(4) الطبقات ج 1 ص 145

وكان ابو عبد الله نفسه يحرض على الاتصال باهل الدعوة ، اذ يقول : « من لم ينتقل فى اهل الدعوة كجرو لم يفتح عينيه » ، (1) ويستشهد بقوله عليه السلام « من اراد العز فليجاور غير عشيرته» فلنحاول تتبع تنقلاته :

1) **فى مسجد المنية :** لم تطل اقامته به بعد تاسيس النظام ، اذ كثرت الزلازل ، وامتلات الارض خوفا ، فاضطر الى مغادرة قصطيليا ، وفكر مليا فى الانتقال الى موطن تسود فيه الطمانينة ، فاهتدى الى الاحتماء ببنى مغراوة (2)

2) **ابو عبد الله فى اريغ (3)**

ـ **عند بنى ويليل (4) :** لقد استشار اصحابه فى شان هذا الانتقال ، مبينا لهم امله فى ان يتقبل بنو مغراوة دعوته « ان ها هنا ـ اى اريغ ـ اناسا رقاق القلوب ارجو ان ينتجع فيهم الاسلام ، ويتلقوا ما نحن عليه بالقبول ويكونوا لهذا الخير اهلا » (5)

وما ان استقر رايهم على استحسان رايه ، حتى ارسل ابو عبد الله الى ابى القاسم بن يونس ويزكن الويليلى وطلب منهما ان يعدا غارا يجتمع فيه التلاميذ ويختلفون ، وتكون فيه دراستهم وانفرادهم

---

(1) سير الوسيانى ص 32

(2) قبيلة بربرية تعيش بجهة اريغ : تعليق (180) عسكرى تحقيق كتاب السيرة

(3) اريغ ما يقابل تقرت شرقى بلاد الجزائر

(4) قبيلة من قبائل بنى مغراوة

(5) كتاب السيرة ج 1 ص 170 ، الطبقات ج 1 ص 132

وما ان جهز الويليلي الغار حتى انتقلوا الى اريغ ، فمكثوا مدة فى ضيافة بنى ويليل ، ثم انتقلوا الى الغار المعد فى تينيسلى .

3) ابو عبد الله فى تينيسلى (1)

ترتيب الحلقة : وكان نزولهم به سنة 409 هـ ولذلك يـدعى الغـار الاول الذى فيه اجلو خلف قصر بنى توبه «التسعره» (2) وهو اختزال لتسع واربعمائة هجرى : 1018 ـ 1017 م

ويذكر ابو زكرياء انهم اصبحوا بهذا الموطـن « يكابـدون مؤونة العيش لانفسهم ، ويجتهدون غاية الاجتهاد فى عزمهم » (3) وهذا يساعدنا ان نستنتج ان ابا عبد الله يريد ان يعود تلامذته الاعتماد على النفس ، ليسهل عليهم تحمل مشاق الحياة عند الانتهاء من الدراسة ، وسنلمس اثر ذلك فى النظام .

وتتفق المصادر ان ابـا عبد الله رتب بهـذا الغـار الحلقة ترتيبا محكما حسب ما سنبينه فى القسم الآتى .

وما ان استقر هناك ، حتى كثر قطاع الطرق من بنى ورماز ، يعبثون بكل من يزوره من اهل الدعوة ، فجمع بنى مغراوة ودعاهم الى صد هؤلاء ، فلاحظ منهم تخاذلا « لا طاقة لنا ، وما عسى ان نقدر عليه » فقال لهم : «نحن اذن نقدر

---

(1) تينيسلى : وتسمى اجلو تقابل قرية بليدة عمر تقع على 20 كلـم جنوب تقرت شرقى الجزائر .
(2) كتاب السيرة ج 2 ص 10 . سير الشماخى يحدد التاريخ فقط ص 470
(3) كتاب السيرة ج 1 ص 170

على انفسنا» (1) وارتحل الى وارجلان عقابا لهم على تواكلهم .

ثم رجع الى اريغ بعد ان اصلح هؤلاء انفسهم ، وعاهدوه على مقـاومة المفسدين ، واصبح يشتى بها فقط

وقبل ان ننتقل مع الحلقة الى وارجلان ، يحسن ان نذكر انـه حسنت حالته المادية هنالك ، اذ اصبحت له ضيعة اراد اهل اريغ ان يعيروه بها عندمـا اتوه الى وارجلان يطلبون منه العودة ، وذاع صيته فى الاوساط الابـاضية ، فاقبلت عليه الوفود من كل مكان (2) ، اذ قد اقبل عليه وفد من قسطيلية من بنى درجين (3) ، ووفد من طرابلس سنة 430 هـ : 1038 ـ 1039م (4) ووفد من افريقية (5) ، لاغراض مختلفة .

---

(1) كتاب السيرة الجزء الثـانى ص 34 . الطبقات ج 2 ص 167 . سيـر الشماخى ص 388
(2) لسنا ندرى أفى اقامته الاولى ام الثانية ولذلك اخترنا ذكر هذا قبل وارجلان ، حتى لا نعود للحديث عن اريغ بعد وارجلان
(3) كتاب السيرة ج 1
(4) وفد طرابلس : كتاب السيرة ج 2 ص 37 ، سير الشماخى ص 518
(5) وفد افريقية كتاب السيرة ج 2 ص 39

4) ابو عبد الله فى وارجلان :

لقد اراد ابو عبد الله ان يلقن بنى مغراوة درسا ، فاتجـه نحو وارجلان حيث نزل بفران (1) .

ويبدو انه لم يطب مقامه بها ايضا ، ولم يكثر انصاره ، اذ يروى الوسيانى ان نسبة من تولاهم ابو عبد الله فى وارجلان عشرون رجلا (2) ، لكن اقامتـه لم تخل من فائدة علمية ، يذكر منها ابو زكرياء اجتماعا علميا ، درس فيه ابو عبد الله والجماعة مشكلة تعليم القرآن بالاجرة (3) .

وآخر ما يمكن ان نذكر عن اقامته بوارجلان ، نجاحه فى غرضه من تاديب بنى مغراوة ، اذ ما ان مضت سنة حتى شعروا بفراغ كبير ، اذ لم يجدوا من يفصل نوازلهم ، ويدبر شؤونهم ، فبادروا الى ابى عبد الله ، وتابوا على يديه وقبلوا شروطه فرجع اليهم

---

(1) فران هى قرية من قرى وارجلان يذكرها الدرجينى : ايغران الطبقات ج1 ص 146 . وابو زكرياء افران كتاب السيرة ج 2 ص 34

(2) سير الوسيانى ص 81

(3) من اراد ان يعلم مواقف ابى عبد الله واقواله فى وارجلان فلينظر قصة زيارته اياها فى كتاب السيرة ج 2 ص 30 وقوله فيهم فى طبقات الدرجينى ج 2 ص 168 . وسير الشماخى ص 389

5) ابو عبد الله فى جبال بنى مصعب (1) :

تذكر المصادر ان لابى عبد الله راعيا يرسله عادة الى جبال بنى مصعب : كما انه بعد رجوعه الى اريغ سن لنفسه سنة ، وهى ان يرجع هناك مع طلبتـه كل سنة (2) .

وفى مدة اقامته هذه كان يجتهد فى دعوته الى الاباضيـة علـه يستهوى سكان تلك الجهة وكان جلهم واصلية (3)

اسباب تنقله الى بنى مصعب :

يذكر الشيخ ابراهيم ابو اليقظان عدة اسباب اهمها :

1) اجتناب منطقة اريغ لفساد مناخها

2) التفكير فى تحصين الاباضية فى منطقة صعبة تحميهم مـن هجـومات الاعـــداء

3) اشتداد القحط حول قرى وارجلان واريغ حتى غارت كثير من العيون من الجفاف ، وماتت بذلك الحدائق والحيوانات فآلت البـلاد الى الفناء (4) . لاجل ذلك عقد اولو الامر من العلماء واهل الراى وعلى راسهم ابو عبد اللـه ... مجمعا للبحث عن مكان ياويهم واجيالهم من بعدهم ، فعينـوا ابا عبـد الله للقيام بهذه المهمة فوقع اختياره على جبال بنى مصعب ، ليستقر بها نظام العزابة بعد ان كون ورتب

---

(1) جبال بنى مصعب : ما يقابل وادى ميزاب الآن انظر الوطنة

(2) سير الشماخى ص 390 كتاب السيرة ج 1 ص 170

(3) كتاب السيرة ج 1 ص 170.الواصلية : نسبة الى واصل بن عطاء : المعتزلة ولهم مقبرة حذو سور مدينة العطف انظر الصورة - وقد زرتها فى جويلية 1971

(4) يذكر المؤلف انه اعتمد على رسالة مخطوطة مؤرخة سنة 929 هـ : 1522 ـ 1523 م من مكتبة الشيخ الحاج صالح من ابن يسجن لم نطلع عليها .

ولما ورد جبال بنى مصعب نزل فى مدينة العطف وله بها مقام معروف باسمه (5)

نشاطه بجبال بنى مصعب :

قد جد ابو عبد الله فى استدراج الواصلية بالحجة واللين ، الى ان رد بعضهم الى الوهبية (1) ، وادى وظيفة التدريس على احسن وجه ، فتخرج على يديه تلاميذ نجباء منهم :

1) الشيخ ابراهيم بن مناد فى العطف

2) والشيخ بابا السعد فى غارداية

وهكذا انتشر المذهب الاباضى فى وادى ميزاب على ايديهم ، وعلى ايدى الوافدين من رجال الاباضية الوهبية من جبال نفوسة وجربة ووارجلان ، وحافظ على كيانه بفضل نظام العزابة الى عصرنا هذا . (2)

---

(5) قد زرته فى جويلية 1971 م انظر الصورة جمادى الاولى 1391 هـ

(1) انظر طريقته فى الاجابة عن اسئلتهم فى كتاب السيرة ج 1 ص 170 ، انه يعتمد فيها على الامثلة الملموسة .

(2) من «اسباب تنقله .. الى عصرنا هذا» انظر الاباضية فى شمال افريقيا ج 2 ص 151 ـ 157

6) تنقلات ابى عبد الله بين هذه الربوع :

الى جانب ما ذكرنا ، نجد ابا عبد الله مع تلاميذه فى مواضع اخرى ، يصعب ضبط فترات انتقاله اليها .

فنجده مرة بتين ما طوس (1) عند رجوعه من وارجلان ، واخرى فى وغلانة (2) ، كما نعترضه بقنطرارة فى قصطالية (3) وتلاعيسى (4) واحرون 5

لكن لم يكن ابو عبد الله ليكتفى بهذه التنقلات بين هذه القرى المتقاربة نسبيا ، اذ يسهل على اهلها ان يتصلوا به ، وهو يرغب فى تثبيت كل الاباضية لذلك نجده يزور اهل الدعوة فى عدة مواطن بعيدة .

فما هى اهم رحلاته الطويلة ؟

د) رحلات ابى عبد الله

ان اهم رحلاته كانت الى القيروان ، والساحل ، وافريقية ، وجربة ، ويصعب ذكرها حسب الترتيب .

رحلته الى افريقية (6) :

يروى احد تلاميذه ـ ابو الربيع سليمان بن يخلف انهم توجهوا من قصطاليا الى افريقية حتى وصلوا الى موضع يسمى سلا مليك ، فلم يجدوا منزلا لا يستفاد منه خيرا (7) .

---

(1) تقع على الطريق المؤدى بين وارجلان واريغ

(2) لم اتمكن من تحديدها

(3) بجهة الجريد

(4) تلاعيسى من قرى وارجلان

(5) لم اتمكن من تحديدها

(6) افريقية : ما يقابل ما يسميه العوام فريقيا وهى منطقة باجة الآن

(7) كتاب السيرة ج 2 ص 36

وزيارة ابي عبد الله لهذه الربوع ترمي لتثبيت اهل الدعوة ، اذ كان « يقسم العزابة على الاحياء (1) » عند وصوله ويكثر من الاستغفار ، ومراجعة المسائل ، والدعوة الى درجات الكمال في مجالس الذكر ، خاصة بقوله : من ضحك في مجالس الذكر او تكلم فقد حبط اجر ما كان قبل الضحك في المجلس (2) .

رحلته الى القيروان والساحل :

لقد انفرد الوسياني في تحليل الحديث عن زيارته القيروان ، وسنبين ان نصوصا اخرى في بقية المصادر تؤيد ما اثبته الوسياني .

ان ابا عبد الله اتى القيروان ليداوي عينيه ويقدح ماءهما ، فقال له الطبيب لو عالجتك اذا رجعت الى اهلك رجع اليك (المرض) ، هواء ارضك فاسد بارد ، كما قال له ايضا : « افسدتك الدواوين يا محمد » (3)

وهذا دليل على ان زيارته للقيروان كانت عند تقدم سنه والغرض منها التداوي .

ثم نجده بالساحل ، ولعل هذا كان اثر خروجه من القيروان ، وقد اتصل هناك باحد اقرانه في الدراسة ، فوجده في اول الامر في هيئة تدل على الكبرياء، وتيقن انه يعظم اهل الدنيا ، لكنه فهم في ما بعد ان ذلك مداراة لهم، حتى يبعد عنه وعن اصحابه شر الظالمين ، ثم تبين له في ما بعد من سيرته انه من خيرة رجال المذهب ، اذ كان يؤدي صلاته مع الجماعة ، ويعلمهم مبادىء الاباضية (4)
ثم تسكت المصادر عن طريق رجوعه

---

(1) و (2) سير الوسياني ص 31
(3) الوسياني ص 30
(4) سير الوسياني ص 3 الطبقات ج 2 ص 192 سير الشماخي 390 .

رحلته الى جربة :

يروي ماكسن بن الخير انه التقى بشيخه في سوف (1) يريد الوصول الى طرابلس

ولما وصل قصطاليا اجتمع عليه كثير من الناس ، فاحتال في تفريقهم خشية كيد الاعداء على موعد للقاء في موطن معين .

الركب بتمولست (2)

لقد توقف الركب هنا عند ابي الربيع سليمان بن يخلف ، اشهر تلاميذ ابي عبد الله فالتفت الجماعة حول ابي عبد الله تسمع نصائحه وتستفتيه في مسائل دينها ، وكان للنساء نصيب بعد الرجال .

ثم انتقل بعد ذلك الى لماية (3) ، حيث اجتمع ابو عبد الله بشيوخها ، والتفت حوله المجالس العلمية لطلب الفتوى

ابو عبد الله في جربة

ان كل دارس يشتاق الى المعهد الذي درس فيه ليعيش ماضيه ، ويلتقي ببعض زملائه ، لذلك « اسرع السير الى الجامع الكبير عند بني يهراسن » (4) اثر وصوله

ولا يفصل ابو زكرياء الحديث عن اعماله بها ، ولا يذكر مدة اقامته ، فيمكن ان نتصور استقبال علماء جربة اياه ، وخاصة تلاميذه مثل يونس وزكرياء ويحيى ابن ابي بكر .

---

(1) سوف مدينة في الجنوب الشرقي الجزائري
(2) تمولست تقع بين الجريد وجبال الحوايي الآن بالجنوب التونسي (بني خداش)
(3) لماية «يقول الشيخ سالم بن يعقوب» : يقع موقع قبيلة لماية جنوب قابس وغربي مدنيين
(4) كتاب السيرة ج 1 ص 171

وان لم تذكر المصادر مدة الاقامة ، فاننا نفهم من الحاح الشيوخ عليه ان يطيل المقام عندهم عندما عزم على السفر ، ان هذه المدة لم تطل

وفي هذا الوداع تمثل ببيتين من الشعر :

للـــــه ايام الشبـاب وعصــــره

لــو يستعــــار جديدهـا فيعــــار

مـا كـان القصـــر ليلـه ونهــاره

وكـذاك ايـام الشبـاب قصـــار (1)

وهذا يثبت ان زيارته هذه كانت في آخر حياته ، ولعله راى من ورائها تثبيت تلاميذه ، وتشجيعهم على تحمل المسؤولية .

ثم يتصل باهل تاقجلت (2) ، ومن هناك كر راجعا الى اريغ دون ان يذكر سبب هذا الرجوع .

ابو عبد الله في آخر ايامه في اريغ

ان الشيخ ابا عبد الله فقد بصره في آخر حياته ، وهذا يوافق ما ذكرناه عن سبب رحلته الى القيروان ، غير ان هذا لم يحد من نشاطه ، اذ كانت تصح قراءة العزابة في آجلو الشرقية من بعيد

ومما يدل على كثرة النشاط قيام ثلاث مدارس في تلك الفترة :

• وذكر عن ابي يعقوب وكان في امستان عادته يجلب العزاب – التلاميذ – المبتدئين من اعاليهم ويعلمهم الادب والسير

---

(1) نفس المصدر والصفحة

(2) يضعها ح.ح. عبد الوهاب شمال مدنين انظر الخريطة

فاذا وصلوا محمد بن يوسف الوسياني اقراهم القرآن والاعراب والنحو.

واذا وصلوا الشيخ ابا عبد الله محمد بن بكر علمهم الدين والعلموالاصول.

فمثلوهم بمن يقطع الاعواد من الغابة ، ويصلحها ويدفعها للنجار ، ثم يدفعها النجار الى من يركبها (1)

ويحسن ان نذكر كذلك تحسن حالة ابي عبد الله المادية اذ امتلك عدة ضيعات (2) واصبح يستضيف العزابة عنده (3) ، وقد اوصى عند وفاته بخمسمائة دينار (4) .

وقبل ان نحدد تاريخ وفاته ، يحسن ان نذكر ان نشاطه هذا لم يمنعه من الزواج من عائشة من بني ينجاسن (5) ، التي انجبت له ثلاثة ابناء :

ابو العباس احمد

ابو يعقوب يوسف

ابراهيم بن محمد

قد اشتهر منهم ابو العباس بما خلف من مؤلفات (6)

---

(1) سير الوسياني ص 59 ـ سير الشماخي ص 517 مع اختلاف في التعبير

(2) سير الشماخي ص 388

(3) سير الوسياني ص 81

(4) سير الشماخي ص 391

(5) كتاب السيرة ج 2 ص 18 . الطبقات ج 2 ص 164 . سير الشماخي ص 468

(6) قد ترجم لاحمد ويوسف الدرجيني في طبقاته ج 2 ص 227 .

« وتوفي رحمه الله سنة 440 : 1048 ـ 1049م (1) ، وقد حضر بجانبه عند احتضاره تلميذه عبد السلام بن منظور فقال له : الى من تتركني يا اخي فقال له : « الدعاء الدعاء فصار يرددها ... حتى فاضت نفسه الى رحمة الله (2)

وقبره معروف الى الآن قرب غاره ببليدة عمر ومشهور بقبر سيفي محمد السائح (3)

ولم ينقطع النشاط اثر وفاته بل ظل في تزايد ، ناهيك ان احد اتباعه تطوع ببناء مسجد قرب الغار سنة 441هـ : 1049 ـ 1050م ، وجـاء الشيـخ نزوراس بن يوسف من الحج سنة احدى واربعين فوجد الناس يصلون فـي آجلو الغرب فقال لهم : « في الغار الى الآن » وامر ببناء مسجد آجلو الكبيـر وخطه بيده وصلاه سنة احدى واربعين واربعمائة . (4)

وقبل ان ننتقل الى حقيقة هذا النظام يحسن ان نذكر بعض مواقف ابي عبد الله اقواله وما قيل فيه تثبت ما لهذا الرجل من خبرة .

---

(1) سير الوسياني ص 32 . الطبقات ج 2 ص 173 سير الشماخي ص 392
(2) كتاب السيرة ج 2 ص 18 .
(3) ترجمة ابي عبد الله لابي اليقظان ص 68 « ودفن حذوها (تينيسلي) في ربوة تاتي على يسار الذاهب في الطريق المعبد من تقرت الى وارجلان نحو 20 كلم من تقرت ثم ينحرف على الطريق يسارا ... نحو 3 كلم ... »
(4) سير الوسياني ص 32 ـ 33

لقد عاش ابو عبد الله فترة حرجة من فترات الاباضية ، اذ هـي فتـرة انتقالية من عهد الظهور ومحاولة الظهور الى عهد الكتمان .

وهذا يحتاج الى سن قواعد جديدة ، مستمدة من القرآن الكريم ، وسنـة رسوله عليه السلام ، دون ان تعرض اهل الدعوة الى الخطر .

وهذه بعض مواقف ابي عبد الله مع تلاميذه ، ثم مع اتباعه ، تثبت قدرته على نهج هذا الطريق الجديد في الحياة .

تتفق كل المصادر ان ابا عبد الله هو الفذ ارسى قواعد الحلقـة (1) ، ويقول الشماخي : « اقامة الاباضية مقام الامام في جميع الامور والاحكام ... » (2) وشان الامام ان يكون قدوة حسنة

مـواقفه مـع تـلاميـذه

لقد لاحظنا تورعه عندما اقبل عليه الوفد الجربي ، غير انه قبل اقتراحهم ومن هناك شعر بثقل المسؤولية (3) ، وجعل يسعى الى تكوين « رجال عاملين بانفسهم » (4) .

الى جانب استشارة تلاميذه في مهمات الامور (5) ، انه كان يسعى الى تعويدهم الاعتماد على النفس ، اذ يعدون طعامهم بانفسهم ، ويقومون بجميع شؤونهم ، وكثرة التنقلات احسن دليل على ذلك ، خاصة اذا علمنا انهم يقطعون صحاري مترامية الاطراف ، فالمسافة بين تقرت ووارجلان لا تقل عن 200 كلم

---

(1) كتاب السيرة ج 1 ص 168 . الطبقات ج 1 ص 130 ج 2 ص 169
(2) سير الشماخي ص 384
(3) كتاب السيرة ج 2 ص 17 : « يشبه نفسه بالساعي في الحرب »
(4) كتاب السيرة ج 2 ص 22
(5) انظر انتقاله من تيغوس الى اريغ ص 12 . كتاب السيرة ج 2

وغرضه من هذا تعويدهم خاصة على تحمل مشاق الاسفار من اجل نشر الدعوة الاباضية .

كما كان يستعين بالنجباء منهم ، لاعدادهم للقيادة بعد وفاته ونذكر منهم

ابو الربيع سليمان بن يخلف (1)

ابو الخطاب عبد السلام بن منظور (2)

ابو يحيى زكرياء بن فصيل ابن ابى مسور (3)

وكان يعودهم عدم قبول الهدايا ، لانها تورث الذل فقال مرة بين تلاميذه وقد قدمت له هدايا (4) كما قال فى سياق آخر : « والله لاجد يدى هى العليا فاردها هى السفلى» (5)

ثم انه لا يؤثر نفسه على تلاميذه ، ويشاركهم فى جميع اعمالهم ، ومن ذلك ان احد العوام خصه بباكورة قثاء دون تلاميذه ، فامر ان تقسم عليهم جميعا (6)

ونجده كذلك مع تلاميذه ، يشاركهم فى كنس الغار ، وذلك حتى لا يتواكلوا ، ولا يمكن ان يفلح اى عمل اذا لم يشارك فيه القائد ، او لم يعين

---

(1) انظر ترجمته فى ما يلى
(2) انظر كتاب السير ج 2 ص 17 ما قاله ابو عبد الله له عندما دعاه الى ان يرافقة الى اريغ وقد ذكرنا انه حضر وفاته
(3) انظر ترجمة فى ما يلى
(4) كتاب السيرة ص 146 ج 1
(5) نفس المصدر ج 1 ص 146
6)كتاب السيرة ج 1 ص 32 الطبقات ج 1 ص 146 سير الشماخى 388

من ينوبه من الثقات . وقد طلب منه احد تلاميذه مرة ان يستريح لان الطلبة يكفونه المؤنة فاجابه « لا يحملون عنى ذنوبى » (1)

وكان يشجعهم على دراسة الكتب (2) ، ويحذرهم من تضييعها (3)

وكان يثبت عزائمهم عندما يرحل عنهم (4) ، وينصحهم عندما يغادرونه ليتحملوا المسؤولية ، واوصى بعض تلامذته عند وداعه : « ان وجدت من تقدم فى الامور فاتبعه ، وان وجدت من تتعاون معه فتعاونوا على البر والتقوى ، وان وجدت من يقتدى بك فكن اماما ، والا فالزم الطريق وحدك (5)

وتذكر المصادر كذلك سهره على راحة تلاميذه ، اذ كان يرتبهم عند النوم حسب نظام معين، ويترك مكانا لنفسه (6) ، وفى ليلة من الليالى سمع باكيا يبكى ، فتبين انه من صغار التلاميذ فما اصبح الصباح حتى ساله عن بكائه ، وتثبت فى حاله (7)

كما كان يراقب جميع حركاتهم ، فيجازى المحسن ويعاقب المسىء ، ومن ذلك انه بلغه ان احد التلاميذ اطال الوقوف مع خادم ، فامر ابا الربيع سليمان ابن يخلف ان يطرده دون ان يفضحه امام الجماعة ، فما كان من التلميذ الا ان انصرف (8)

---

(1) سير الوسيانى ص 32 الطبقات ج 2 ص 173 سير الشماخى 391
(2) كتاب السيرة ج 2 ص 36 الطبقات ج 2 ص 78
(3) كتاب السيرة ج 2 ص 40
(4) كتاب السيرة ج 2 ص 36
(5) نفس المصدر ج 2 ص 36
(6) كتاب السيرة ج 1 ص 31
(7) نفس المصدر والصفحة
(8) كتاب السيرة ج 2 ص 38 . سير الوسيانى ص 32

ولقيمة هذه المسؤولية ، جعلها ابو عبد الله من مشمولات شيخ الحلقة عندما رتب نظام العزابة .

هكذا نلاحظ انه « كان شديد الاهتمام بالتربية العملية لتلاميذه ، فهو يدربهم على القيام بمهام الامور ، ويعقد معهم الرحلات ، ويتولى فض المشاكل بحضورهم ، ويشاركهم فى عمليات الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ويعودهم العمل فى مصلحة الجماعة والذوبان فيها ، ويوصيهم الوصايا الكثيرة (1) .

(1) ابراهيم ابو اليقظان : ترجمة ابى عبد الله ص 31

معاملة ابي عبد الله انصاره

لايمكن ان يعيش اى مصلح فى عزلة عن الناس بين التلاميذ فحسب بل يقضى نصيبا من وقته بين الناس ، والمتتبع ترجمة ابى عبد الله يجد انه قام مقام الامام ، اذ هو المرجع فى الفتوى ، يقبل عليه العلماء ، ويستشيرونه فى ما استصعبوه ، وهو واعظ الامة ، والحاكم فى نوازلها ، وملجأ الوافدين من اهل الدعوة من كل مكان .

اما من حيث استشارة العلماء اياه فتظهر فى موقفه مع محمد السدراتى مقدم وارجلان وهو ما يلى : قال محمد السدراتى : « ألستم تقولون خير الرعاة راع ساوى بين القوية والعجفاء من غنمه » . فسكت ابو عبد الله عنه فاضاف : « اولستم تقولون ان الناس يصطحبون على المكروه لئلا يفترقوا » .

ـ فقال له (ابو عبد الله) : «فى ما أتى امور الدنيا ام فى امور الدين ام مطلقا ؟ » .

ـ فقال السدراتى : « انى ها هنا انتهى علمى وليس عندى زيادة لما عندك انت » فقال : « انما ذلك فى امور الدنيا كنزول المسافرين ورحيلهم ، وحسن المعاشرة وسيئها وصغائر الهفوات . واما فى امور الدين فلا ، ولو كان يسع ذلك فى امور الدين لما فارق السلف ولاتهم اذ فارقوهم فى الدين ، حتى اسرعوا بانفسهم الى الموت ، فماتوا فى مواطن شتى كاصحاب ابن وهب (الراسبى : جماعة النهروان) ، واصحاب ابى بلال (الشراة) ، وعبد الله ابن يحى الكندى (طالب الحق) ، والمختار بن عوف (ابو حمزة الشارى) وغيرهم ، انما ماتوا اذ لم يروا المقام والصبر على ما ياتون وهم يابونه ، رحمة

الله عليهم اجمعين (1)

فهذا راى ابى عبد الله فى موقف الاباضية تجاه الظالمين ، يبين منزلته العلمية ومبداه الصحيح

وتظهر فى مراسلة ابى عمران موسى بن زكرياء (2) اياه ليبين له موقف المسلمين فى مشكلة تتصل بالولاية والبراءة (3) : فاجابه « واما رجل لم يبلغك صلاحه الا مقترنا بحدثه فليس عليك منه شيء » (4)

وان كان ابو عبد الله مرجعا للعلماء ، لا يمكن ان تفوته وظيفة الامر بالمعروف والنهى عن المنكر قولا وعملا معتمدا على الترغيب مرة ، وعلى الترهيب اخرى ، وعلى ضرب الامثلة الملموسة لتقريب المفاهيم للعوام

فقد كان يذكر الناس بصلة الرحم « قطيعة الرحم كقطع عضو من الجسد لا يخاط ولا يربط (5)

وطاعة الوالدين « واتقوا الله فى والدتكم ، فان حقها عليكم عظيم ، فانه قيل لو حمل رجل والدته على ظهره الى مكة ـ المكرمة ـ فحج بها ، ما ادى حق ضربة واحدة ضربها برجله فى بطنها . » (6) كما كان يدعوهم الى المرونة : « كونوا للناس كما قال لقمان لابنه ، لا تكن حلوا فتبتلع ، ولا مرا فتلفظ » (7) ويحذرهم

---

(1) الطبقات ج 1 ص 145
(2) انظر ترجمته مع جماعة غار مجماج
(3) انظر الفصل الذى خصص لذلك فى ما يلى
(4) الطبقات ج 2 ص 170 نص الرسالة
(5) كتاب السيرة ج 2 ص 39 سير الشماخى ص 388
(6) كتاب السيرة ج 2 ص 20
(7) نفس المصدر والصفحة

من احداث الفتنة فى الجماعة « مثل الجماعة كالخشبة ، والمستتر برايه كالوتد يضرب فى وسطها ، يعنى تفريق الجماعة بسببه» (1)

لكن الى جانب هذا اللين ، فانه كان يعتمد عند الضرورة على الزجر ، ومن ذلك عقابه لجماعة اريغ عندما تهاونوا بامره (2) ، وزجره جماعة اساؤوا الادب مع قاضيهم ، وقد استشاروه من قبل فى توليته عليهم . فصاح فيهم الشيخ (ابو عبد الله) فتفرقوا كلهم ، وذلك بعد ان تبين خبرة القاضى فى ما قضى به (3) .

وقد يستعمل الشدة مع بعض الافراد الذين لا يخضعون لامره فى الحق ، وقد اطرد عند زيارته وارجلان رجلا امتنع عن تحمل مسؤولية مراقبة قومه (4)

ويروى ابو زكرياء ان اكثر مجالس ابى عبد الله فى التخويف والتحذير ، وقد شبه الانسان فى هذه الدنيا بمقتحم صحراء بما فيها من اهوال : « ما تقول فى طمينة اقتحمت بيداء ذات حر شديد فضل دليلهم ... كيف نجاة هؤلاء من العطب » (5) تلك هى حياة الانسان فى هذه الدنيا حسب راى ابى عبد الله

كل هذا جعل الناس يفدون عليه من كل مكان ، هذا ليتوب على يديه (6) ، والآخر ليستشير فى مشكلة شخصية (7) ، وغيره من طرابلس سنة 340 هـ : 1038 ـ 1039 م ليطلب معونة الجماعة فى سنة قحط (8)

---

(1) الطبقات ج 2 ص 171 . سير الشماخى 390
(2) انظر ص 36
(3) الطبقات ج 2 ص 162 . سير الشماخى 386
(4) كتاب السيرة ج 2 ص 30
(5) نفس المصدر ص 38
(6) كتاب السيرة ج 2 ص 41 الطبقات ج 2 ص 196 سير الشماخى 396
(7) كتاب السيرة ج 2 ص 39
(8) نفس المصدر ص 37

وجعلهم كذلك يقدمونه على انفسهم (1) ، ويعملون باشارته ، فهـذا احد اتباعه يرجع من وارجلان ، فيؤنبه ابو عبد الله لانه لم يزر اشهر علمائها ، فيرجع لاداء هذه الزيارة : « فعظم على ذلك ، ورجعت الى وارجلان زائرا لـه ولا حاجة لي غير رؤيته (2)

وقد بلغ عند اتباعه درجة عظيمة ، اذ نجد انهم ذكروا له عـدة كرامـات اطلعت على احدى عشرة منها .

هذه صورة لابى عبد الله بين العلماء والرعية ، فلنذكر نبذة من حياته الشخصية .

---

(1) كتاب السيرة ج 2 ص 41 . الطبقات ج 2 ص 196 «تاتى عصابة لصوص الى راعى غنمه ، فيطلب منهم ان ياخذوا غنمه ويتركوا غنم الشيخ ابى عبدالله»
(2) كتاب السيرة ج 2 ص 41 . طبقات الدرجينى ج 2 ص 196 . سير الشماخى ص 470

من حياته الشخصية

ان ما بلغه ابو عبد الله من درجة عند الناس لم ينسه ربه بل جعله يراقب نفسه ، ولا يغتر بزينة الحياة الدنيا ، وبما فيها من جاه

فتجده يسعى الى الترفع عن متاع الدنيا ، ومن ذلك ما ذكرنا من الغراء جماعة اريغ اياه (1) وهو كثير الاحتياط ، يريد ان يكون عزيز الجانب ، فيتورع حتى عن القليل من متاع الناس (2)

والى جانب هذا فانه كان لا ينسى نصيبه من العبادة ، اذ يقضى جـل ليلـه فى عبادة الله ، مشرفا على تلاميذه فى نفس الوقت ، اذ يتركهم نياما ويجدهم كذلك عند رجوعه فى الصباح الباكر : « واذا كان آخر الليل عند قيام التلامذة وجدوه قاعدا فى مكانه » (3)

هكذا كان ابو عبد الله اسوة حسنة لتلاميذه وانصاره ، ومهما وعظ لن يصل تاثير وعظه فى الناس الى درجة عمله الصالح . (4)

---

(1) انظر ص 37 اذ ذكروه فى اول الامر بحسن ضيعته
(2) كتاب السيرة ج 2 ص 31 . الطبقات ج 2 ص 165
(3) كتاب السيرة ج 2 ص 31
(4) ان ما ذكرته الى الآن من تفاصيل عن ابى عبد الله ليس من باب التقول، اذ اشرت دائما الى مصدر كل نص ، ولعل هذا لا يتماشى مع كثير من النظريات المادية التى تجحد كثيرا من جوانب الحياة الروحية ، وتعتبر هـذا مـن بـاب الخرافة ، لكن مهما يكن من امر يستحيل ان ننكر الجانب الروحى فى الانسان وتفاوته عند الناس .

يقول الدرجيني ويتبعه الشماخي في ذلك : « وله في كل فن تـواليف كثيرة ، واكثرها في الحجج والبرهان . » (1) غير اننا لم نعثر على اى منها ، سوى ما نقله الدرجيني عن نظام التعليم ، واسنده لابي عبد الله (2)

واما اقواله فقد اوردنا كثيرا منها ، غير انه يحسن ان نذكر له في هـذا الفصل ثلاث نصائح تبين كل منها رغبته في السهر على مصلحة الجماعة

الاولى : قدمها لرجل يريد احداث الشغب في بلاده : « ليس واحد افضل من جماعة الا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يا عبد الله ، ان من يتكلم وقد احتيج الى كلامه فقد ابتلى ببلية ، ومن تكلم ولم يحتج الى كلامـه فقد ابتلى ببليتين » (3) .

الثانية : قدمها لتلاميذه عند سفره الى طرابلس (4) « من حكم على نفسه كما يحكم على غيره فقد عدل. ومن اعطى من نفسه مثل ما يريد لها فقد انصف، لاخيك عليك مثل الذي لك عليه (5) .

الثالثة : اعلم ان الذين يزعمون انهم اهل الآخرة ، انما هم اهل الدنيا ، والذين يزعمون انهم اهل دنيا لا يصلحون للدنيا ولا للآخرة » (6) .

ولا اريد ان اطيل التعليق على هذه النصائح وغيرها مما لم يذكر ، لاختم بذكر بعض ما قيل في ابي عبد الله هذا .

---

(1) الطبقات ج 2 ص 159
(2) انظر نظام التعليم في ما يلي
(3) كتاب السيرة ج 2 ص 32 . الطبقات ج 2 ص 165 . سير الشماخي 388
(4) انظر ما سبق ص 43
(5) كتاب السيرة ج 2 ص 36
(6) نفس المصدر ج 2 ص 19

بعض ما قيل في ابي عبد الله

اشرنا في ما سبق ان الاباضية اقاموه مقام الامام في جميع الامور والاحكام والقدوة اما ان يمدح او يذم ، وقد يمدح ويذم في نفس الوقت .

ولم ترو لنا المصادر الا ما قيل في مدحه . فهذا احد بني وبليل يتمنى لو استمع اهل الدعوة لنصائحه في جميع ما يقوله ، لانه يعتبر كلامه كله حكمة ، اما للدين واما للدنيا ويقول : «انه حكيم زمانه» (1) .

وهذا تلميذه ابو الربيع سليمان بن يخلف يقول فيه «هو نذير من النذر الاولى ، وليس بنذير نبوة بل من الذين قيل فيهم: «ولوا الى قومهم منذرين (2)

وهذا محمد ابن ابي صالح النفوسي قال لبني مغراوة : « انتم اعظم منا بختا ، ومن قوة سعودكم ان انتقل اليكم ابو عبد الله محمد بن بكر ، فيه خمس خصال امتاز بها ، العلم والورع والعبادة والشجاعة والسخـاء ، ومن ذروة نفوسة » (3) .

خاتمة ترجمة ابي عبد الله

وكم وددنا ان نجد بعض آراء معارضه لتاتي الترجمة نقدية اكثر مما كانت لكن لا يمكن ان نتقول عليه فالمصادر ـ كما حاولنا ان نثبت ذلك بالنسبة لكلما ذكرناه ـ عندما نمعن فيها النظر ، تفرض علينا ان نقر ان هذا الرجل سعى الى الجمع بين سعادة الدنيا والآخرة ، في عقيدته واقواله واعماله .

وهكذا كان ابو عبد الله بفضل آرائه وسلوكه فاصلا واضحا بين طورين من اطوار تاريخ الاباضية طور الظهور ، وطور الكتمان ، واستطاع ان يكون في ثلث قرن من سنة 408 هـ : 1017 ـ 1018م الى 440 هـ : 1048 ـ 1049م جيلا تمكن بفضل النظام الذي اقام ابو عبد الله دعائمه ، من ان يحافظ على جميع مبادئه الاسلامية ، وبوصله الى الاجيال الموالية . فما هي حقيقة هذا النظام ؟

---

(1) كتاب السيرة ج 2 ص 40
(2) سير الوسياني ص 32 الطبقات ج ص 137 الاحقاف اية 29
(3) سير الشماخي ص 301

الفصل الثالث

حقيقة نظام العزابة

شـراح لفظـة العـزابـة

المعنى اللغوى : ان لسان العرب (1) خصص لمادة عزب صفحات يمكن ان نذكر منها ما يلى :

عزب يعزب برفع الزاى عزوبا برفع العين والزاى فهو عازب ، يجمع على عزاب برفع العين واعزب .

استعمل الفعل فى الاصل لمن يبعد بغنمه فى البوادى من اجل المرعى ، ومنها هراوة الاعزب .

ثم اطلق على الرجل الذى يتغيب عن اهله فى ماله . وعلى من لا زوجة له . واستعمل فى القرآن مرتين بمعنى الغياب :

« وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء » (2)

« لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السماوات ولا فى الارض » (3)

هكذا نلاحظ ان مادة عزب تدل على معنى البعد من اجل الدنيا – اما لرعاية الاغنام او فى طلب المال – وكذلك معنى الغياب .

المعنى الاصطلاحى : يقول ابو عمار عبد الكافى : «ومن هنا (الخمسون الاولى من المائة الخامسة هـ : القرن الحادى عشر م) ابتداء العزابة» (4) .

---

(1) ط بيروت 385 – 387 فى حرف الباء
(2) سورة يونس الاية 61
(3) سورة سبأ الآية 3
(4) طبقات ابى عمار : انظر بداية الجزء الاول من طبقات الدرجينى ص 6

ويؤيده الدرجيني اذ يقول : « واول ما استعمل هذا اللقب (**العزابة**) ، في ايام الشيخ ابي عبد الله محمد بن بكر رضى الله عنه لما اسس الحلقة (1) ورتب قوانينها (2) » اى في العقد الاول من القرن 5 هـ : الحادى عشر م .

العزابة : مشهورة بفتح العين

يقول الدرجيني : « **العزابة** واحدهم عزابي ، وهذه اللفظة استعملت لقبا لكل من لازم الطريق (3) ، وطلب العلم ، وسير اهل الخير ، وحافظ عليها وعمل بها ، فان حصل جميع هذه الصفات سمى عزابيا .

فان حافظ على السير والعمل بها فقط سمى به ، وان حصل العلم دون السير والعمل به ، والمحافظة عليه ، لم يسم بهذا الاسم » (4)

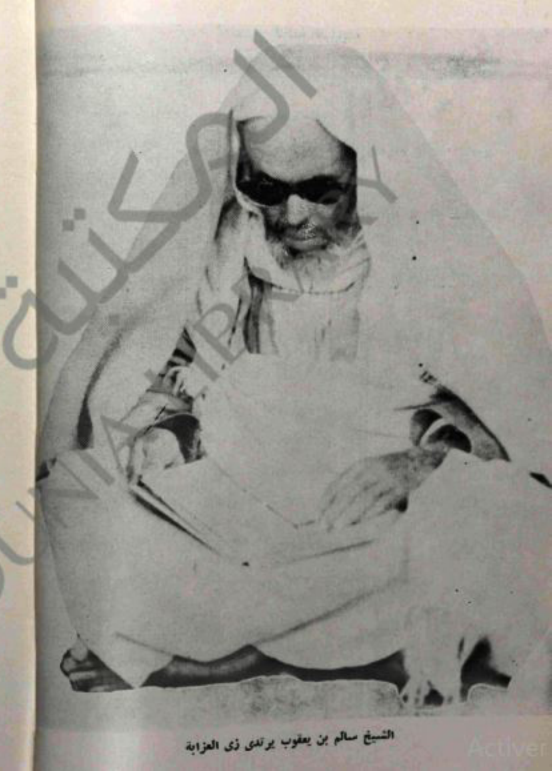
فنلاحظ حينئذ انها اخذت من معنى البعد ، الا انه بعد عن شهوات الدنيا وكمالياتها ، كما يقول ابو حيان التوحيدى فى شان الخليل بن احمد :

عزوبا عن الدنيا وعن زهراتها
وشوقا الى المولى وما واعده (5)

ويقول ابو عمار عبد الكافي مجيبا تلاميذه في هذا الشان : « اصل العزابة اشتقاقها من العزبة والعزلة والغربة والتصوف والتهجد على رؤوس الجبال ، وحاصل ذلك يرجع الى سير اهل الحلقة (6) ، وما يجب عليهم من سير بعضهم على بعض (7) .

---

(1) انظر الفهرس : قسم المصطلحات
(2) الطبقات ج 1 ص 3 و 4
(3) الطريق يقصد بها سير العزابة
(4) الطبقات ج 1 ص 3
(5) البحر الطويل
(6) انظر الفهرس قسم المصطلحات ص 317
(7) رسالة في نظام العزابة : ص 2



الشيخ سالم بن يعقوب يرتدى زى العزابة

وهذا الانقطاع ليس كاعتزال الصوفية والطروقيين (1) ، وانما هو ان لا يجعل للدنيا قيمة كبرى ، اقبلت او ادبرت ، على ان لا ينسى نصيبه منها ، وهو ايضا من اجل التفانى فى خدمة المسلمين ، وحفظ دينهم ، ناهيك ان العزابى واجب عليه ان يتزوج - وقد تزوج مؤسس العزابة - ويسعى لطلب قوته بكد يمينه ويكون دائما فى خدمة المجتمع كما سنبين ذلك .

ونلاحظ من كل هذا ، وخاصة من كلام الدرجينى ، ان الاساس فى اطلاق هذا اللقب ، المحافظة على السير والعمل بها ، اى الاخلاق الاسلامية الفاضلة المقتبسة من القرآن الكريم ، ومن سنة الرسول عليه السلام

ولاطلاق هذه التسمية شأن عظيم فى المجتمع الاباضى اذ يقال عادة ان لقبت به شخصا فقد ابلغت فيه القول . .

والعزابة هم جماعة ينتخبون من اهل الورع والصلاح والتفقه فى الدين والامانة والصدق يتولون الامر بالمعروف والنهى عن المنكر باليد (2) واللسان ، ويقومون بجميع الوظائف الدينية والدنيوية، احيانا فى المجتمع الاباضى لحفظه

---

(1) المسلك المحمود ص 239 - 309 : بين صاحب الكتاب الفروق بين نظام العازبة ، وحياة الطروقين ، وجمع آراء كثير من العلماء من عدة مذاهب فى ذمهم بعض اعمال الطروقيين .

(2) اشارة الى مبدا الولاية والبراءة .

مما عسى ان يدخله من بدع لا تتماشى والدين الحنيف (1) ، فهم حينئذ من العلماء العاملين كما قال الشاعر :

اجـدر النـاس بالعـلا العلمـاء
فهـم الصالحـون والاوليـاء

فالبـرايا جسـم وهـم فيـه روح
والبـرايا موتـى وهـم احيـاء

قـد راينـا لكـل دهـر عيونـا
ولعمـرى هـم للعيـون ضيـاء (2)

هذا مفهوم اللفظة اللغوى والاصطلاحى ، فما هى حقيقة هذا النظام ؟

---

(1) المسلك المحمود ص 349 . البحر الخفيف

(2) دائرة المعارف الاسلامية ط عربية : تعليق لابى اسحاق ابراهيم اطفيش م 3 ص 513 ويذكر ابو اسحاق صيغة اللفظة بالبربرية : اعزابن بكسر ففتح فشد ففتح فسكون مفرده اعزاب ، وذلك لانها اصطلح عليها فى مجتمع يتكلم اللغة البربرية فبربرت اللفظة .

حكم نظام العزابة عند الاباضية

ان نظام الامامة عند الاباضية يقوم على الشورى فى فترة الظهور واقامة الحدود (1) .

ونظام العزابة فى فترة الكتمان بمثابة مجلس الشورى فى فترة الظهور ، غير ان السلطة التنفيذية تختلف بين الفترتين،وقد ذكرنا انه يقوم على نخبة من اهل الخير والصلاح ، تتولى امور الدين والدنيا ، وتامر بالمعروف وتنهى عن المنكـر .

وقد ذكر الشيخ امحمد اطفيش ان « امر العزابـة لازم لتوقيف الواجب عليه من الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، واخذ الحق ممن عليه ولمن له ، واقامة الاحباس ، ومال المسجد . . .

واتفقوا انه لازم لابد منه ان قدر عليه ، واذا طلب انسان ان يكون فـى الحلقة (2) لزمته الاجابة ، وهو فرض كفاية ان قام به البعض اجزى عنه ولو كـان دونـه » . (3)

---

(1) انظر نظرية الامامة عند الاباضية فى شرح عقيدة التوحيد للشيـخ امحمد اطفيش من ص 419 ، 455

(2) انظر الفهرس : قسم المصطلحات ص 317

(3) جواب للشيخ امحمد اطفيش عن سؤال . والوثيقة بمكتبة الشيـخ باعمارة فى مليكة وادى ميزاب

والشيخ امحمد اطفيش متوفى سنة 1332 هـ : 1913 ـ 1914 م اشتهر عند الاباضية بقطب الائة لغزارة علمه ، تفرغ خاصة للتاليف ، وقد اتصلت باثنين من تلاميذه وما زالا على قيد الحياة ، وهما الشيخ ابراهيم ابو اليقظان بمدينة القرارة ـ ذكرناه مرات ـ والشيخ يوسف باكير ، شيخ عزابة العطف وقد حدثانى عن كثير من اخباره ـ انظر ترجمته فى كتاب نهضة الجزائـر الحديثة لمحمد على دبوزج 1 ص 239 ـ 388

ان هذه الفقرة تثبت ان امر العزابة واجب عند القدرة عليه ، وانه مقتبس من القرآن الكريم ، وسنة النبى عليه السلام ، ليعمل اعضـاء الحلقة بمقتضى احكام الشريعة فى الحدود التى لا تؤدى الجماعة الى الهلاك ، ذلك ان الكتمان ياخذ من الظهور (1) ، فان شعر العزابة ان لا ضرر عليهم فى اقامـة الحـدود يقيمونها ، وقد كان ابو صالح اليهراسنى يجلد العصاة (2) .

وان راوا ان ذلك يفزع عليهم السلطان ، ويشتت شملهم ، فانهم يكتفون بتطبيق مبدا من مبادئهم هو الولاية والبراءة وسنبين حقيقتهما فى ما يلى (3)

---

(1) الطبقات ج 2 ص 190

(2) انظر ترجمته فى ما يلى تعليق 4 ص 170

(3) لا ينبغى ان يفهم من هذا وجود طبقيـة اجتماعيـة بيـن الطرفيـن ، كمـا ذهبت الى ذلك دائرة المعارف الاسلامية عندما تحدثت عن العزابة عرضا ـ طبقة ارسطقراطية ـ

ان الفارق واضح بين الطرفين ، وهو الكفاءة العلمية ، وتحمل المسؤولية عند العزابة ، اما فى ما بقى ، فهم فى نفس المستوى بل فى اغلب الاحيان نجد ان العوام اغنى من العزابة بكثير .

وقد شاهدنا هذا عيانا فى وادى ميزاب فى جويلية 1971 حيث اضافنـا بعض اعضاء العزابة واضافنا بعض العوام .

تقسيم المجتمع الاباضى فى فترة الكتمان

ان متتبع كتب السير ، وما كتب عن نظام العزابة ، من انشائه الى عصرنا هذا ، يتبين ان العزابة يكونون فى المجتمع الاباضى بمثابة الراعى او الامام ، وبقية الناس هم الرعية .

وفى كل نظام من انظمة الحكم مهما كان نوعها لابد من وجود مبادىء يتبعها الآمر ، ويشرف عليها ويمتثل لها المأمور

وقد اطلق حديثا على القسم الاول الطلبة ، والقسم الثانى العوام فما هو نظام اهل الحلقة وما هى واجبات الرعية ؟

ان ما كتبه الشيخ ابو عبد الله عن نظام العزابة ، ونقلته عنه كتب الطبقات ، خاصة منها طبقات الدرجينى (1) وقد نقله البرادى فى كتاب الجواهر (2) بعد ان اعتنى بشرحه والتحذير مما قد يقع فيه العزابة من هفوات والشيخ ابو عمار عبد الكافى فى اجابته لبعض تلاميذه (3) يساعدنا على تقسيم هذا القسم الى ثلاث هيئات :

1) هيئة العزابة وتتفرع عنها هيئتان

- هيئة التلاميذ
- هيئة المحاضر

ولا يمكن لاى شخص ان ينتسب لاحدى هذه الهيئات الا بعد ان تتوفر فيه شروط معينة فلننظر اولا فى هيئة العزابة ؟

---

(1) الطبقات ج 1 ص 131 ـ 144
(2) الجواهر للبرادى من ص 207 ـ 218
(3) رسالة ابى عمار عبد الكافى

مجلـــس العـزابـــه

مجلس العزابة او هيئة العزابة او العزابة فقط او اهل الحلقة ، عبارات لها نفس المدلول ، وهي الهيئة العليا في البلاد الاباضية على الاطلاق في فتـرة الكتمان ، لها نفوذ روحي على العامة واسع النطاق ، والسلطة المطلقة في كـل ما له صلة بالدين (1)

واذا عرفنا ان الاسلام لا يفرق بين السلطة الروحية والزمنية يمكـن ان نتبين مدى نفوذ هذه الهيئة في المجتمع الاباضي

فما هي الشروط التي يجب ان تتوفر في الشخص ليرتقي الى هذه الهيئة وكيف يقع تعيينه ؟

وما هي الصفات التي يجب ان يتحلى بها عند ارتقائه ؟

1) الشروط التي يجب ان تتوفر في الشخص :

يقول ابو عمار عبد الكافي (2) : « لا يدخل احد الحلقة ، حتى تكون فيه اربع خصال :

أ) ان يكون اديبا كيسا (3)

ب) ان يكون مشمرا في طلب العلم

ج) لا يكثر دخول الاسواق

د) ان يغسل جسده بماء ويغسل قلبه بماء وسدر »

ويفهم من كلامه في نفس الرسالة انه ينبغي

أ) ان يكون حافظا كتاب الله (4)

---

(1) توفيق المدني كتاب الجزائر ص 105

(2) رسالة في العزابة ص 2

(3) الادب اشارة الى الاخلاق الفاضلة وقد لاحظنا الحاج الدرجيني على ذلك.

(4) رسالة ابي عمار ص 2

ب) وان يكون من قدماء التلاميذ (1)

ج) مستعدا للتضحية بكل ما لديه في سبيل الله ، وان اضطروا يمكـن ان لا يكون حافظا للقرآن الكريم وان يختار من عيئة المحاضر (2) ، وقد يختار من خيرة العوام في بعض الظروف .

مراقبة الشخص قبل اختياره :

تثبت لائحة اتفاقات عزابة غارداية انهم : « اذا ارادوا ان يدخلوا احـدا في الحلقة فلا يدخلونه حتى يتخذوا له رقيبا منهم يمتحنه ، وينظر احوالـه ، ويمارس اقواله » (3)

وتستمر هذه المراقبة مدة غير محددة قبل التعيين ، وكذلك مادام مبتدئا ، وهي عادة من طرف خفي .

2) طريقة التعييـــن :

اذا تبين الرقيب ان الشخص موفق قد توفرت فيه جميع الشروط يخبر اخوانه اعضاء العزابة ، فيعقدون اجتماعا يمعنون فيه النظر

فان اتفقوا ادخلوه وان لم يتفقوا يبقى الشخص في منزلتـه ـ دون ان يعلم بكل ما وقع ـ (4)

وان اتفقوا على شخص ، واراد التنصل من المسؤولية يلحون عليه ويتركون له مجالا للتفكير ، فان اتى بعذر قاهر يعفى ، وان اصر بدون عذر يعاقب ،

---

(1) اي ينتسب اولا لهيئة التلاميذ

(2) انظر ما يلي قسم نظام التعليم

(3) لائحة غارداية مصورة بمكتبتي الخاصة

(4) نجد في لائحة غارداية : «الادخال والاخراج لا يكونان الا بالاجماع والاتفاق»

ومن ذلك ان ابا عبد الله عين عند زيارته وارجلان عريفا (1) على اهل طرابلس فلما امتنع اخرجه الى الخطة (2) الى ان تاب فارجعه (3)

وعند تعيينه يجتمع كل اهل الحلقة ، ويحضرونه بينهم ويقولون لـه : **ادخل معنا واعنا على امور الدنيا والآخرة** (4) ، ومن ذلك الحين تلزمه امـور كثيرة فى مظهره الخارجي وفى كل حركاته وسكناته

مظهر العزابة الخارجي :

يقول البرادى راويا ما رتبه ابو عبد الله فى هذا الشان عن الدرجيني(5) «جعل للعزابة علامات ليعرفوا بسيماهم ، ويتميزوا من سواهم » (6) .

منها : اول ما يتجرد من طريقة اهل الدنيا بحلق شعر راسه ، ثم لا يتركه يطول ابدا ، فالعزابة من شانهم عدم (ترك) الشعر (7) .

ومنها : الا يلبس ثوبا مصبوغا (8) ، الا الابيض ولا باس بعلم الطرفين والطراز ما لم يتفاحشا .

ثم ان اقتصر على عباءة او ملحفة لم يشنه ذلك ولم يعبه بل ذلك به اليـق وان لبس ذلك على قميص كان اكمل مـا لم يكن مبتدئـا ، ولا سبيل الى اقتصاره على قميص دون اشتماله او التحافه وارتدائه (9)

---

(1) انظر قسم التعليم ص 117
(2) انظر قسم المصطلحات ص 318
(3) كتاب السيرة ج 2 ص 30
(4) رسالة ابى عمار ص 3
(5) قداعتمدت على البرادى بعد ان قارنت بين النصين لتوفره اكثر من الطبقات
(6) انظر البرادى ص 207 الجواهر : كل ما يتعلق بالمظهر الخارجي
(7) يشير خاصة الى شعر الراس اما اللحية فسنة واجبة عند الاباضية
(8) هذا من باب الاحتياط حتى لا يؤدى اختلاف الالوان الى ما لا تحمد عقباه
(9) اكمال اللباس يشتمل على قميص - يصل الى ما فوق الكعبين - ثـم ان العزابى مخير بين الاشتمال والارتداء والالتحـاف : انظر قسم المصطلحات

وان اعتم فالتلحى (1) على مـا جـاء فى الاثـر ، وليس العمامة بضربة لازب (2) .

فان اقتصر على العباءة او اللحاف غطى راسه ، والقى الطرف الاعلى من هدب حاشية الجانب الايمن على العاتق الايسر ، لا يلقى الهدب كله على العاتق الايسر ، فان ذلك مؤد الى انكشاف العورة .

ان هذا الزى يدل على البساطة والتواضع ، وليس فيه كبير كلفة وهـو اقرب الى زى الزهاد

ولا يمكن للعزابى ان يتخلى عن هذا الزى فى اى مكان يتصل فيه بالناس ومن ذلك ان ابا مسور اخرج شيخه ابا معروف الى الخطة (3) لانه وجـده فى جنانه لابسا سراويل لا غير فما كان من الشيخ الا ان اسرع بالتوبة (4)

ويشترط فى هذه الثياب ان تكون نظيفة طاهرة ، اذ يقول الوسيانى : « ومن سيرهم النقاء والتطهير للثياب » (5)

هذا مظهر العزابة ، فما هى الآداب التى يجب ان يتحلوا بها ؟

---

(1) التلحى هو ان يجعل العزابى جزء من العمامة تحت لحيته ، وقد خصص الوسيانى له فصلا فى سيره ص 70 ـ 71
(2) اى ان العمامة ليست ضرورة اذ يضيف انه يمكن الاستغناء عنها .
(3) انظر قسم المصطلحات
(4) سير الشماخى ص 265 انظر ايضا ترجمة ابى مسور فى ما يلى مع الملاحظ ان هذا قبل ارساء اسس النظام فمن باب اولى ان يكون بعد تاسيسه .
(5) سير الوسيانى ص 117

آداب أهل الحلقة وصفاتهم :

يقول ابو عمار عبد الكافي : (1) ومن ذلك الحين ـ عند توليه ـ تلزمه امور كثيرة :

1) فمنها ان يكون بعيدا عن اهله واولاده لانه اخذ الميثاق مع اصحابه (2)

2) ولا يلتفت لاهل الدنيا ولا يكثر الاجتماع معهم (3)

3) لا يوجد الا فى داره او جنانه او فى المسجد (4)

4) ويغمض عينيه عن الالتفات الى ما لا يحل له

5) ويغلق اذنيه عن استماع كلام اهل الدنيا

6) ان يبيع نفسه ايمانا واحتسابا (5)

7) ان يجتهد فى طلب العلم والادب ، لان الدين احتوى على الآداب ، ولا يكون مشغولا بالدنيا كثيرا .

ويذكر الوسيانى فى اماكن متفرقة من سيره بعض آدابهم سنكتفى بذكر بعضها ، اذ هى فى نهاية الامر كل الآداب الاسلامية ، وتذكر عادة بهذه الصيغ:

---

(1) رسالة ابى عمار ص 3 و 4

(2) ليس معنى هذا اعتزال الاهل مطلقا وانما هو تحذير من الوقوع فى قوله تعالى : «اعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة» . الانفال آية 88

(3) يذكر الوسيانى فى سيره ص 112 : « ومن آدابهم مجانبة الريب واهله والسفه والخنا واجتناب مجالس الاسواق ومشافقة النساء ومفاكهة الاماء » ويذكر البرادى فى الجواهر ص 218 : « ولا يخالط اهل الدنيا ، ولا يجلس اليهم الا ان دعت اليه الضرورة لايجدون بدا يجلسون اليه يستفيدون مصلحة فى دينهم ، والكبير اعذر فى مخالطتهم من الحدث فان الكبير اهل ان يهديهم ، والحدث اهل ان يضلوه ، ومن نهى عن الاكثار من ذلك فلم ينته فالخطة »

(4) دليل على ان العزابى عليه ان يكسب رزقه بنفسه ، لكن هذا لا يجب ان يشغلهم عن عمارة المساجد اذ هم الذين يعمرون الصف الاول ومجالس الذكر.

(5) هذا البيع يكون خاصة فى الاجتهاد فى القيام بحقوق المسلمين

الصدقــة والمعــروف ، العطيــة والهديــة

التواصى على اطعام التلاميذ ، شــدة العــزم

الحث علـى الصبـر ، قلة الكلام والالتفات

صيـام النوافــل ، قراءة القرآن جماعــة

التزاور فيمابينهم بالجمع الغفير ، التفقــد للسيــر

التذكير بما عليه الاوائل ، مراسلة من يغيب عنهــم

عيــادة المرضــى ، الاصلاح بين النــاس

الحــيــا ، المشى بالهون والرفق

النـــوم فى القيلولــة ، احتـــرام آداب الطعــام

ويجمع الوسيانى بعض هذه الاداب فى هذه الفقرة :

« ... كان ورعا فى الحلقة (1) اديبا اريبا عارفا للصواب حافظا للجواب وللختمات (2) مواظبا معتزلا عن اهل الدنيا مقبلا على الاخلاء متفقدا لامــوره متعبدا لربه ... » (3)

وهكذا تكون امور العزابة محفوظة من الادناس ، وجمهورهم مدحوض من الارجــاس (4) .

---

(1) و (2) انظر قسم المصطلحات

(3) سير الوسيانى ص 54

(4) نفس المصدر . ورد ذكر هذه الآداب من ص 111 الى 120

عقاب المذنب من العزابة :

يقول ابو عمار عبد الكافي : « فان لم يتفكر في ما يلزمه من الحقوق فقد دخل في المشنقة ، وادخل عنقه في الحلقة التي هي كحلقة الحديد » (1)

فالعزابة حينئذ يشتدون مع المسيء من بينهم اكثر من غيره ، لان العزابي اسوة ، وشان الاسوة ان تكون حسنة ، ويعلمون انه عندما يغضون الطرف عن بعض المعاصي ، يخشون مما يحذر منه ابوالربيع سليمان بن يخلف (2) ، وهو ان يتلاشى مذهبهم تدريجيا : « ذهاب هذا الدين ليس كرحيل الظعينة ، ترى حتى يغيب ، ولكن ذهابه يكون سيرة بعد سيرة ، وخلة بعد خلة ، حتى يخرج منهم وهم لايشعرون » (3)

وبما ان العزابة يعتبرون امناء على دين الله ، لا يريدون ان يمحى او ان يكون سبب نقصانه على ايديهم لما في ذلك من الوعيد ، فلذلك يقسون اشد ما تكون القسوة على المذنبين من العزابة ، ليحتاطوا في كل اقوالهم واعمالهم .

وقد ذكرنا ان العزابي يجب ان يغسل قلبه بماء وسدر ، اي من الغش والتكبر وما اشبه ذلك مما يحبط العمل .

هكذا سنوا طريقة في العقاب ، تختلف باختلاف الجرم فما هي ؟

عقاب مرتكب الصغائر :

ان فعل العزابي صغيرة فانهم يسترونها عليه ويحكمون حكمهم فيه سرا ويبعدونه شهرا او شهرين او عاما او عامين ، على حسب نظرهم » (4) .

---

(1) رسالة ابي عمار ص 3
(2) انظر ترجمته في ما يلي
(3) سير ابي الربيع سليمان بن يخلف ص 8 مكتبة الشيخ سالم .
(4) رسالة ابي عمار ص 3 : « لا يفضحونه ، ولا يدخلون وصمة تشينهم في الحلقة . »

عقاب مرتكب الكبائر :

ومن فعل كبيرة من اهل الحلقة وظهرت عليه بالبينة العادلة :

1) فان العزابة يبرأون منه في الحين .

2) ويخرجونه من ديوانهم ومن حلقتهم اذا كانت كبيرة واضحة من الافعال والاقوال اي ظاهرة للجمهور .

فان اقر بالتوبة ، واعترف بذنبه ، وتواضع للمسلمين ، ورد المظالم ، وندم على ما فعل قبلوا توبته فيكون من سائر الطلبة (1) ، يعقد في المجلس ويقرا الدولة (2) ان كان تلميذا .

واما الرجوع الى الحلقة (3) فعلى نظر هيئة العزابة ان راوا ان يردوه بعدما يؤنبونه ردوه ، وان راوا ان لا يردوه تركوه ، ولا يكون رده الا باتفاقهم فرده ، وتركه ، وتاخير رده ، وتعجيله انما يتعلق ب :

(1) عظـم الجـرم
2) القـدم في هيئة العزابة

فان دنس بذنبه العزابة او خشي من رجوعه الفساد (4) فلا يردونه ابدا ، خاصة اذا كان عضوا قديما في هيئة العزابة ، ممارسا لامورهم ... فالحكم يجزى من اول كبيرة ظهرت منه .

---

(1) يقصد عدم طرده من جماعة المسلمين
(2) و (3) انظر المصطلحات
(4) ومن سيرهم « ان من اخرج سترهم اخرجوه من هيئتهم فلا يعود ابدا » «ومن سيرهم اخراج من يستنكف عن قبول الحق وابعاده عن الوظيفة» رسالة في مبادئ عزابة غارداية ص 5

وان كان حديث الدخول في الهيئة غافلا عن الامور ... استتابوه في المرة
لى واجروا عليه الحكم في الثانية .

ثم مهما كان الذنب صغيرا او كبيرا ، ان ظهر للجمهور يستتاب عيانا ،
را منه عيانا ، وتقبل توبته عيانا .

وان لم تظهر عليه بين الناس لا يحل لهم اظهاره للخاص والعام ، ويجب
هم الستر عليه (1)

هذه طريقة العقاب ابتدأنا هنا قبل تفصيل الوظائف ، لنبين ما يترقب
عضو ان اخل بواجبه . وليس امرا هينا ان يوضع عزابي في البراءة في
جتمع الاباضي ، فكل من ينخرط في الهيئة سيظل جادا في عمله . فكيف
كون هذه الهيئة ؟

(1) رسالة ابي عمار ص 3

اعضاء هيئة العزابة

وعزابة الحلقة (1) في العرف الجاري بوادي ميزاب (2) ، عبارة عن جماعة مؤلفة من اثنى عشر عضوا ، وربما بلغ عددهم اربعة عشر : ولكل عضو خليفة

1 شيخ الحلقة
2 الامام : امام الصلاة
3 المؤذن
4 ثلاثة يقرئون الصغار في المحاضر (3)
5 اربعة او خمسة يغسلون الموتى
6 وكيلا المسجد
7 قاضي البلد (4)

وهؤلاء الاعضاء ينقسمون الى قسمين :

1) الاربعة السابقون في الهجرة (5)

2) بقية الاعضاء (6)

وقبل ان نفصل وظيفة كل منهم ، يحسن ان نعرف **طريقة اجتماعاتهم** :

— انهم يختارون زاوية في المسجد يقيمون بها لاجل العبادة ، وقراءة العلم ودراسته

— ولهم دار خاصة بجانب المسجد يعقدون فيها جميع اجتماعاتهم لايدخلها غيرهم .

ولهذه الاجتماعات آداب معينة :

(1) و (3) و (5) انظر قسم المصطلحات
(2) لم ينقطع فيها النظام منذ تاسيسه الى الآن
(4) قد يكون من الهيئة وقد لا يكون
(6) قد اعتمدنا على رسالة ابي عمار ص 6 ولائحة عزابة غارداية ص 1

1) استعمال السياسة والادب فى كلامهم

2) لا يرفعون اصواتهم

3) « فليتكلم الكبير ولينصت الصغير » (1)

وان اراد الصغير ان يتكلم بشىء . . . فليكلم به من هو اكبر منه ، ويبلغه الى الاكابر ، (2) فان وجدوا كلامه صوابا قبلوه ، لان قبول الحق واجب ممن جاء ، وكل من تكلم منهم نظروا فى كلامه ، فان وجدوه حقا وصوابا قبلوه ، والا يستنكف احد من قبول الحق ، ومن استنكف وانف اخرجوه من بينهم .

وان اجمعوا على سر وجب كتمانه

وان اجتمعوا على امر عملى وجب العمل به وتبليغه .

ويجب على العزابى ان يكون مستعدا لاى اجتماع ، فحالما تبلغه الدعوة وان كان نائما فى فراشه يستجيب ، وان اعرض وتهاون نفذوا فيه حكمهم بما ظهر لهم ، الا ان تخلف بعذر قاهر .

وواجبه ان ياتى ويستاذن الهيئة ، ويذكر عذره ، فان اذنوا له قام لحاجته وان لم ياذنوا له جلس كما يقول تعالى : «واذا كانوا معه على امر جامع لم يذهبوا حتى يستاذنوه (3) .

هؤلاءهم اعضاء العزابة

فما هى وظيفة كل واحد منهم ؟

---

(1) يقصد المبتدئين : ما سمى بقية الاعضاء (فى البحث)

(2) اشارة الى الاربعة السابقين

(3) سورة النور آية 24

وقد اعتمدنا خاصة رسالة مبادىء عزابة غارداية ص 5و9 فى ما يتعلق بالاجتماعات

وظائف العزابة

ان هذه الوظائف تنقسم الى قسمين :

1) قسم يتعلق بالحياة الاجتماعية

2) قسم يتعلق بالتعليم

اولا : وظائف العزابة فى المجتمع

وظائف الاربعة السابقين

« اما الاربعة السابقون فعليهم الحل والعقد ، وهم كالقطب لا يتحركون من موضعهم الى الموت ، وعند موت واحد منهم يتحول اقدم الجماعة لمنصبه » .

وهؤلاء الاربعة هم :

1) شيخ الحلقة

2) امام الصلاة

3) المؤذن

4) قدم بقية الاعضاء (1)

شيخ الحلقة

كيفية انتخابه :

اذا اراد العزابة تسمية شيخ الحلقة تشاوروا فى ما بينهم ، ونظروا اقدرهم على تحمل اعباء المشيخة ، واكثرهم كفاءة (2) ، وقد يطول امد التشاور والنظر

فاذا تم الاتفاق بينهم عرضوا الامر على من وقع اختيارهم عليه ، فقد يجيب وقد يمتنع ، فيلحون عليه ، وقد تدوم مفاوضتهم معه امدا طويلا .

---

(1) رسالة ابى عمار : ص 5

(2) ويكون اكثرهم علما وفهما وعقلا وادبا وورعا وحسبا ونسبا : لائحة عزابه غاردابة ص 1

فاذا قبل ورضى اجتمعوا فى يوم معين ، وفسحوا له فى مجلس المشيخة (وسط الحلقة) ، واجلسوه فيه ، والبسوه عمامة ، ثم مدوا ايديهم للدعاء ، فيدعو رئيس الحلقة وهو اقدمهم فيها يعنى اسبقهم دخولا . ويقرا الفاتحة ويدعو بما فتح الله ، والكل يؤمنون .

فان فرغ من الدعاء اصبح المطلوب للمشيخة شيخا رسميا منذ تلك الساعة ، واعلن بذلك فى المسجد ، وهذا هو قول العامة **« فلان فتحوا عليه شيخا »** (1)

ومن ذلك الحين تلزمه واجبات فما هى ؟

واجبات شيخ الحلقة

انه الغوث الكبير ولا بد من استشارته فى كل صغيرة وكبيرة ، فاذا انعدم هذا الشرط يعتبر الشيخ على غير بصيرة (2) ، فواجباته كبيرة ، منها ما يتعلق بحقوق العزابة والتلاميذ والعامة

1) ما يلزم الشيخ من حقوق المسجد والعزابة والعامة :

- عليه ان يرتب اهل الحل والعقد ، فيعين امام الصلاة والمؤذن وبقية الاعضاء .
- تعود اليه رئاسة المسجد
- النظر فى شؤون الحلقة
- حضور دعاء الاستفتاح قبيل الفجر
- زيادة من يصلح فى الهيئة عند الغياب او الموت او البراءة (3)

(1) لم اعثر على وثيقة قديمة فاعتمدت على نص حديث لشيخ حلقة بريان - احدى مدن ميزاب - وهو عبد الرحمان بكلى
(2) رسالة ابى عمار ص 5
(3) انظر ما يلى - قسم تعريف الولاية والبراءة ص 98

- وعظ العامة وارشادهم (1)

ويلح ابو عمار عبد الكافى على هذا الواجب فيقول :

« يجب عليه (شيخ الحلقة) ان ينصح لله ، ويعطى لله ، ويعمل لله ، ويحب فى الله ، ويبغض فى الله ، وبذلك ينزل منزلة الكاملين .

كما يجب عليه تعليم اصحابه الادب والسيرة الحسنة ، وان اهمل ذلك يكون على غير بصيرة

واذا لم يعلم ما يجب عليه فى حق نفسه ، ولا فى حق غيره كان اعمى يقود اعمى

كما لا ينبغى للشيخ ان يؤثر الدنيا وعرضها على الآخرة ، فيدنس عرضه ودينه طلبا لعطاء الناس » (2)

وسنتعرض للحقوق التى بينه وبين التلاميذ عند النظر فى نظام التعليم

واجبات امام الصلاة

ومن حلقة العزابة رجل امين :
حافظ للقرآن الكريم
متقن للقراءة
له دراية باحوال الصلاة وفرائض الطهارة ومبادىء العلوم الفقهية (3)

ويجب ان يكون افضل البقية فى العلم والادب والورع واتباع السنة (4) .

(1) اعتمدت خاصة لائحة عزابة غارداية ص 1
(2) رسالة ابى عمار ص 7
(3) لائحة عزابة غارداية ص 1
(4) رسالة ابى عمار ص 6

الى جانب امامة الصلاة ، يشرف على عقود الزواج (1) فى البلـد ، اذ تسجل فى المسجد .

ويجب انيكون لا شبهة فيه، ومنزلته فى الجلوس فىالمسجد ، ومجلسالذكر او العلم ، والمجالس العمومية تكون على يمين شيخ الحلقة (2)

ان وظيفته واضحة ، فلذلك يلزمه ان يجتهد فى ربط صلات الجماعـة بالمواظبة ، ويمكن ان ينوب شيخ الحلقة عند القدرة ، اذا غاب الشيخ (3)

واجبـات المـؤذن

ومن حلقة العزابة رجل امين ورع عارف بالاوقات (4)

يجب ان يكون فى الدرجة الثالثة فى القدم

جهورى الصوت

واشتراط الورع اساسى ، حتى لايغتنم فرصة طلوعه للصومعة للتطلع علـى عورات الغير

والى جانب الآذان :

يحضر عقود الزواج بالمسجد

وينوب الامام فى كتابتها (عقود الزواج) عند غيابه (5)

ويجلس فى كل المجالس على شمال شيخ الحلقة

هذه وظيفة المؤذن ، وبها ينتهى ذكر واجبات السابقين ، اذ لم تفصل المصادر وظيفة الرابع لانه يكون واحدا من الباقين .

(1) لائحة عزابة غارداية ص 3
(2) و (3) نفس المصدر ص 2
(4) لائحة عزابة غارداية ص 2
(5) لائحة عزابة غارداية ص 3

وظائف الباقين من هيئة العزابة

« والباقون ينظرون باعينهم ، ويحفظون ما يقول الاربعة » (1) ليستعدوا لتحمل المسؤولية فى ما بعد :

وهم : مقرئوا المحاضر (2)
وكيلا المسجـد
الغسالـون

وظيفـة وكيلى المسجـد

يشترط ان يجعلوا من لا مال له كثير ، ولا اولاد كثير . (3) وتوفر هذا الشرط واجب ، حتى يتفرغ الوكيلان لصالح المسجد ، ولا تشغلهما عن ذلـك زينة الحياة الدنيا

وهما رجلان امينان ورعان يشرفان على اوقاف المساجد والمقابر ، فيقومان بما يصلح بالوقف من جلب المنفعة ، ودفع الضرر

واجاب ابو القاسم البرادى (القرن الثامن هـ : الرابع عشر م) عن سؤال وجه له فى هذا الشان :

« المال اذا كان موقوفا على طائفة من الناس موصوفيـن معروفيـن دون غيرهم ، فعلى الوكلاء ان ينفقوه على اصحابه الموقـوف عليهـم ، علـى حسب الشروط التى شرطت فيه .

(1) رسالة ابى عمار ص 5
(2) انظر قسم التعليم ص 136
(3) رسالة ابى عمار ص 6

وهو المعروف في سير اهل الدعوة وآثارهم ب « تغميت » بفتح فسكون فكسر ومدفسكون . والامام فيه والقدوة هو الشيخ ابو عبد الله محمد ابن بكر (مؤسس نظام العزابة) ... واخذت عنه هذه السيرة في جميع بلاد الدعوة خلفا عن سلف » (1)

واشرافهما يتمثل في ما يلي :

– يامران من يخرج الاكل للعزابة ، والتلاميذ والصبيان
– يفرقان الاوقاف على الوظائف المرتبة لها ومن ذلك :
  – الوقف المخصص لانارة المسجد
  – الوقف المخصص لسقي الماء
  – الوقف المخصص لابتياع الحصر وما احتيج اليه
  – الوقف المخصص للصبيان والطلبة ومجالس الذكر الخ
– يتوليان جني الثمار في مواسمها : ويمكن ان يستعينا بمن يعمل باجرة
– يامران من يحسن الجامع ، ويمنع الصغار والدواب من ان يدخلوا في الصحن خشية النجاسة الخ (2)

يمكن ان نكتفي بهذا القدر ، اذ يصعب ان نستوفي ذكر كل عملهما ، فهما بمثابة المقتصد في المسجد

(1) دفتر رقم 1 بمكتبة الشيخ سالم ص 100
(2) لائحة عزابة غارداية ص 2

وظيفـة الغسالـين

« وهم اربعة رجال يتولون غسل الاموات وتكفينهم » (1) ويحافظ الاباضية ان يكون الغسالون من اهل الورع والتقوى ، لان حرمة الميت كحرمة الحي .

واقامة هذه الشعائر هي من حقوق الاموات على الاحياء ، ولا بد ان تكون حسب ما ضبطته السنة الشريفة

فواجب الغاسل ان يكون عارفا بهذه السنن عاملا بها

وهؤلاء يتولون غسل المتولين من اهل البلد ، واما من مات في براءة المسلمين فيعينون من يغسله من العوام ، ولا يتبعون جنازته

وتتلخص وظيفتهم في غسل الموتى : وتكفينهم ، وتشييع جنائزهم ، والصلاة عليهم في المقبرة قبل الدفن

ويمكن ان يكون الغسال مقرئا في المحاضر اذا توفرت فيه الشروط ، ذلك ان وظيفة الغسل لا تستلزم التفرغ الكامل (2)

(1) و (2) لائحة عزابة غارداية ص 2

ان نوازل البلد ترجع الى مجلس العزابة ، فربما يعقدون مجلسا للاحكام وربما يعينون قاضيا من بينهم ، او من كبار التلاميذ يقوم بهذه الوظيفة لوجـه الله ، فيسعى الى تسوية المشاكل

فان عجز يرجع الامر الى هيئة العزابة ، فتنظر في المشكلة وتفصلها بما يتماشى وكتاب الله وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم :

« ومن سيرهم ان ينصفوا المظلوم ... ويبلغوا كل واحد الى حقه ، ويسووا في حكمهم بين القوى والضعيف ، ولا يداروا احدا ، ولا يخافوا في الله لومة لائم ... يقفون في الحق اين كان ، ويقبلونه ممن كان (1)

ويشترط في هذا القاضي ان يكون عالما بفنون الاحكام ، وعلم الفرائض والتوثيق (2) وقد يكون عضوا من اعضاء الحلقة وقد لا يكون .

وسنذكر في الفصل الاخير من البحث بعضا من احكام عزابة جربة .

(1) رسالة «مبادىء عزابة غارداية» ص 7

(2) لائحة عزابة غارداية ص 2

لا ينبغي ان ننسى الجانب النسائي في المجتمع الاباضي . فالمراة ان لم تكن مطالبة بالقيام بكثير من الوظائف كالآذان وامامة الصلاة فهي مامورة بـان تعرف دين الله ، وان تعمل به ، وقد تزيغ احدى النساء عن جهل او عن علـم فمن يراقبهـا ؟

ان هيئة العزابة لم تهمل هذا الجانب بل خصصت للنساء هيئة نسائية تعرف باسم « الغسالات » .

وتكون هذه الهيئة خاضعة لمجلس العزابة ويشترط في افرادها ان يكن من الورعات الخيرات العاملات باحكام الله ، الممتثلات لاوامره ، المنتهيات عن نواهيه ، وكذلك متقدمات في السن

واطلق عليهن هذا الاسم لانهن يتكلفن بغسل النساء ... والاطفال الصغار الا ان وظيفتهن اوسع من هذا فهن الرقيبات على جميع احوال المراة من حيث العبادات والتعامل وهن اللاتي يربطن بين مجلس العزابة والوسط النسائـي وعليهن ان يراقبن الاعـراس ويتتبعـن سيـر النساء فان لاحظن عصيـانـا و تنطعا يبلغن الامر الى هيئة العزابة ، وهي تتولى النظر في الحكم

ولهذه الهيئة النسائية بيوتات خلف المساجد حتى يحضر افرادها صلاة الجماعة ويسمعن المواعظ مع كل النساء (1)

(1) لم اجد وثيقة قديمة في هذا الشان ، فاعتمدت على ما كتبه الاستاذ محمد علي دبوز في نهظة الجزائر الحديثة 1 ص 228 وهو كاتب معاصر مازال نظام العزابة قائما في بلاده بميزاب
وكتاب الجزائر لاحمد توفيق المدني ص 108

مجلس العزابـة الاعلى

لقد انتشر الاباضية فى الجنوب الشرقى من بلاد الجزائر « وارجـلان ، اريغ ، وادى ميزاب وفى الجنوب التونسى ، قصطيلية ــ قابس .. جربة وفى جبل نفوسة فى ليبيا .

وهذا جعلهم يعيشون فى قرى او مدن متقاربة ، فكان لكل مدينة مجلس عزابة .

لكن قد تقع بعض المشاكل التى يقتضى فيها التشاور بين كل المـدن لانها تمس كل الجماعة

فقد راى اهل المدن ان يكونوا مجلسا اعلى ينعقد فى اماكن معينة ولاسباب معينة

وقد وجد هذا بصورة واضحة فى وادى ميزاب ولا يزال موجودا وذلـك لقرب المدن بعضها من بعض

ويقول عنه الشيخ ابو اليقظان :

هو مجلس اعلى يتالف من كبار عزابة قصور ميزاب وعلمائها ، تنعقـد جلساته الدورية فى اوقات تختلف ، حسب مقتضيات الحال فى ما بين خمسة عشر يوما وما بين ثلاثة اشهر فى اماكن ثلاث :

2) روضة ابى مهدى عيسى بن اسماعيل (1) بمليكة
2) روضة ابى عبد الرحمان الكرثى (2) بمليكة
3) روضة عمى سعيد بن على الخيرى الجربى فى غارداية (3)

وينسب المجلس لكل مكان ينعقد فيه ، وهو مجلس واحد لا متعدد ، لـه نظامه الخاص

... نرى من قراراته ... ويوجد لدينا منها ما يرجع الى تاريـخ اول شعبان 807 هـ : 1406م وآخرها فى شوال 1326 هـ : 1903م انه مر بـاطوار :

---

(1) من رجال الخمسين الثانية من القرن العاشر هـ : السادس عشـر م
(2) من رجال القرن السادس هـ : الثانى عشرم
(3) انظر ترجمته فى قسم علاقة عزابة جربة بعزابة وادى ميزاب

1) **الطور الانشائى** : انشاء القوانين التى تضمن وحدة بين القرى

2) **الطور التنفيذى** : وفى هذا الطور يبدو ان مهمته السهر على تنفيـذ قراراته ، وتطبيق احكامه .

3) **الطور القضائى** : اصبح فيه محكمة عليا لاستئناف الاحكام وتعقيبها (1)

ويقول الاستاذ عبد الرحمان بكلى فى هذا الشان «كان لمجلس عمى سعيد (2) مظهـران :

1) كان محكمة استئناف يتركب اعضاؤها من سبعة علماء على نسبة عالم من كل قرية من قرى ميزاب ، تعينهم هيئتها الدينية ، وتختارهم ممن انتهت اليهم رئاسة العلم فى قراهم ، ترفع اليها احكام قضاة ميزاب فتصدر فيهـا حكمها النهائى ... (3)

2) كان مجلسا وطنيا يبت قضايا الامة ، ويصدر اتفاقات تتناول منـاحى الحياة فيها ، تشريعية كانت او اجتماعية او زجرية او سياسية تعتبر كقوانين نافذة المفعول ، تتولى تنفيذها السلطة الحاكمة فى كل قرية من قرى ميزاب(4)

وهذه الهيئة هى التى تعقد الولاية لشيخ وادى ميزاب « فيكـون بمثابـة الامام فى الظهور ، وهو الذى يتولى الرئاسة العامة فى حالة الدفاع ، وعقـد الصلح مع الغيرين ، وقيادة الشعب فى حالة السلم ولكنه مقيد بمشورة هذا المجلس (5) ، وشيخ هذا المجلس فى عصرنا هو الشيخ **ابراهيم بيوض (6)**

---

(1) الاباضية فى شمال افريقيا ج 2 ص 81
(2) قد اشتهر المجلس بهذا الاسم لانهم عادة يجتمعـون بروضـة عمى سعيـد الجربى
(3) الاباضية فى شمال افريقيا ص 86
(4) نفس المصدر ص 93 نقلها عنه الشيخ ابو اليقظان وقـد اطلعت عـلى النص بخط صاحبه
(5) كتاب الجزائر لاحمد توفيق المدنى ص 110
(6) انظر ترجمته فى ما يلى تعليق 1 ص 114

بقية صلاحيات العزابة

الحياة الاقتصادية :

نجد فى لائحة عزابة غارداية : « خطهم (العزابة) فى التوثيق اعنى من **يحسن منهم الكتابة بين العامة مثل ـ عقود البيع والشراء والاكرية ...** والمحاسبة والابراء وغير ذلك من انواع العقود » (1)

ان هذا النص دليل على ان الاسواق تكون تحت اشرافهم :

فيضبطون الاسعار

ويراقبون المنحرفين من التجار

ويشرفون على المذابح فيعينون الجزارين

ويراقبون الدلالة

ويعينون الصاغـــة

ويراقبون الحبوب والخضر الخ ... (2)

وهذه الوظفية هى عمل المحتسبين فى زمن الظهور

النظـر فى مصالح المدينة :

ان المدينة الاباضية تكون عادة على الشكل الاسلامى ، محورها المسجد وتحيط به دور السكن ، وبجانبه السوق ، ويحصنها سور من جميع الجهات .

وتذكر لائحة عزابة غارداية من بين اعوان العزابة « الطلبة الذين يسمون امسوردة»(3) بفتح ومد ففتح فرفع وشد ومد فسكون ففتح فسكون وتجمع عل ايمستردان . اى مساتير الحال : وهى مؤسسة تنبثق عن هيئات التلاميذ ، وكبار ابناء المحاضر البسطاء من الراسبين فى حفظ القرآن الكريم

(1) لائحة عزابة غاردابة ص 2
(2) وقد لاحظنا هذا عيانا فى جويلية 1971 م جمادى 1391 هـ
3) لائحة عزابة غاردابة ص 1

وهذه المجموعات تتولى اعمالا شاقة فى البلد لا سيما فى غاردابة (اكبر مدن ميزاب ولا تخضع كلها لنظام العزابة لوجود غير الاباضية بها) مثــل الحراسة وغيرهــا

... ولها نظام خاص .. واثر فعال فى حفظ الامر ، وهذا النظام ـ فــى الحراسة ـ معترف به رسميا (1)

حراســة المدينـــة :

وهذه الهيئة تعين كل يوم جماعة من شباب المدينــة يحرسون المدينــة بالتناوب ، وتتمثل وظيفتهم فى ما يلى :

- النظر فى سير الناس واخلاقهم
- يمنعون من يحاول ان يسرق
- يبلغون الى الهيئة العليا من يفحش فى القول او يحاول التجسس
- يفتحون ابواب المدينة فى الليل للمتخلفين من اهلها او للضيوف .
- يراقبون نظافة المدينة : وعندما يلاحظون تراكم الاوســاخ فى الازقــة يعلمون هيئة العزابة فتعلن حملة نظافة فى المسجد ، فينطلق جميع السكان لاداء هذا الواجب وقد اطلعت على حملة من هذا النوع فى زيارتى لمدينة مليكة فى وادى ميزاب جويلية 1971 م جمادى الاول 1391 هـ (2)

(1) تاريخ الاباضية فى شمال افريقيا ج 2 ص 104
(2) الظر ص (14)

الاشــراف على ما يتصل بالزواج

قد بينا ان الامام فى المسجد هو الذى يوثق عقود الزواج ، وبذلك يكون كل زواج تحت اشراف هيئة العزابة

ولا تكون هذه العقود الا فى محل مخصوص وهــو الجامع الكبير وبعــد صلاة الجماعة ... لما ورد فى الحديث من الترغيب فى اشهار النكاح

« ويعقد النكاح بين الزوجين ـ اما بحضورهما او بحضور وكيليهما ـ الامام بحضور المؤذن ويقيد احد الوكيلين رسم عقد النكاح وشروطه فى دفتر معد لذلك ... »

ولابد من استشارة الزوجة والتثبت فى رايها بواسطة ثقة (1)

ان هذه الوظيفة تساعد العزابة على تحديد المهور حسب ما تقتضيــه الظروف الاجتماعية .

وتمكنهم من الاشراف على حفل الزواج حتى لا تدخله المناكر ولا يكــون فى معصية الله (2)

كما انهم يتولون النظر فى نوازل الطلاق ، ويضبطون العقود فى دفاتــر معينة (3) .

---

(1) لائحة عزابة غاردابة ص 3
(2) انظر التوطئة من بحثنا هذا
(3) انظر تحقيق دفتر نوازل عزابة جربة ص 275

الاتصال ببقيــة الاباضيــة

بينا الحاج مؤسس نظام العزابة على الدعوة الى زيارة مواطن الاباضية فالعزابة حينئذ هم الذين يشرفون على هذه الزيارات فيعينون الوفود ، ويقومون بذلك بانفسهم فى الغالب

وقد لمسنا هذا بوضوح فى حياة ابى عبد الله وتلاميذه بعد . والزيــارات مستمرة الى الآن خاصة بين اباضية المغرب اى جبل نفوسه وجربــة ووادى ميــزاب

والقصد منها معرفة اهل الدعوة من اجل التناصح والتعاون فى سبيــل الله بقدر الامكان ، وسنلمس قيمة هذا فى تحول العزابة من موطن الى آخــر لاحياء العلم فيه فى حالة الضعف (1)

وان لم يتمكنوا من التزوار ـ خاصة مع اباضية عمان ـ يكون التشــاور بتبادل الرسائل (2) ، واغلبها فى طلب الفتوى او للتثبت فى بعض المسائل

---

(1) انظر الفقرة : صلة عزابة جربة بعزابة وادى ميزاب ص 200
(2) انظر نفس الفقرة السابقة مع مؤلفات العزابة ص 260

ان الناظر فى مؤلفات الاباضية يجد للعزابة نوعين من التاليف : جماعية وفردية .

الموسوعات :

هى خاصة من عمل العزابة ، وتذكر لهم كتب التاريخ موسوعتين فى الفقه

- ديوان عزابة جربة
- ديوان اشياخ نفوسة

وهذا دليل على تقدير العزابة للعلم من بداية القرن الرابع هـ : العاشر م (1)

المؤلفات الفردية :

تكون عادة من تاليف شيخ العزابة لانـه اعلم الجماعـة او بعض اعضـاء الهيئـــة (2)

(1) انظر قسم مؤلفات العزابة : ديوان جماعة الغار ص 260
(2) انظر قسم مؤلفات العزابة بجربة ص 267

لانجد فى ما كتب عن العزابة كلاما مباشرا فى هذا الشان ، الا اننا عندما نمعن النظر فى تاريخ الاباضية فى عهد الكتمان نتبيـن ان هـذه المهمة مـن مشمولات العزابة

وقد ذكرنا ان شيخ المجلس الاعلى يتولى عقد الصلح مع المغيرين ، والادلة التاريخية على هذا الاتصال متوفرة ، من ذلك اننا نجد بجربة اسرا حاكمة تابعة لنظام العزابة مثل اسرة السيومنى ويقول التيجانى فى رحلته فى القـرن الثامن هـ : الرابع عشر م : «ان امر وهبيتها الى عائلة بنى سمومن» (1)

وتثبت الاحداث التاريخية ان هؤلاء الحكام يستمدون سلطتهم من مجلس العزابة الاعلى ، ذلك انهم لا يقدمون على امر الا بعد اشارة العزابـة وتتمثـل وظيفتهم فى :

- تنفيذ احكام العزابة : من جلد وسجن وتعزير الخ ...
- المفاوضة مع السلط عندما تقوم بعض المشاكل
- الدفاع ضد الغزاة كما وقع ذلك مرات فى جربة ضد النصارى
- طلب النجدة من بقية الاباضية عند الضرورة

(1) انظر الفصل الاخير من البحث مواقف العزابة امام الاحداث الهامـة بجربة . ص 297

مبـــدا الـــولايـــة والبـــراءة

نظر العزابة فى المبادئ الاسلامية التى تساعد على تربية الامـة دون ان تعرضهم للخوف من السلطان فوجدوا ان مبدا الولاية والبراءة يتماشى وفترة الكتمان ومع حدود الشريعة الاسلامية (1) فعملوا به . فما هو هذا المبدا وكيف طبقة العزابة ؟

حقيقة مبدا الولاية والبراءة :

تخصص كتب اصول الديـن عند الاباضية بابـا كاملا لهذا الموضـوع ، واحببت ان اعتمد فى بحثى هذا على عالمين احدهما مغربى قديم والثانى عمانى معاصر

اما المغربى فهو تلميذ مؤسس نظام العزابة ابو الربيع سليمان بن يخلف المزاتى متوفى سنة 471 هـ : 1078 ـ 1079م ، وكتابه مخطوط بالمكتبة البارونية بحومة الحشان بجربة عنوانه **التحف فى الاصول** .

واما العمانى فهو عبد الله بن حميد السالمى المتوفى سنة 1332 هـ : 1913 ـ 1914 وكتابه هو « **مشارق انوار العقول** » وهو شرح لقصيدة من نظم المؤلف نفسه ، وقد خصص لبابى الولايـة والبـراءة من البيت 304 الى البيت 340 يعنى ستة وثلاثين بيتا نذكر منها :

ولاية المؤمن فرض حققـــا	**وهكـذا بـراءة الذ فسقـا**
والكل من ذين على اقسام	**ثلاثـة تـاتى علـى تمـام**
حقيقـة وهى التى قد نطقا	**بها كتاب او رسول حققـا**
والحكم بالظاهر فهو الثانى	**ثالثها عقيـدة الانسان (2)**

---

(1) انظر قصة الثلاثة الذين خلفوا فى سورة التوبة آية 118
(2) مشارق انوار العقول ص 18 والمنظومة من بحر الرجز

يقول ابو الربيع هذا : « اعلم ان الولاية والبراءة من الايمان ، لا يسـع الناس جهلهما ولا تركهما ، وهما فريضتان على العباد (1)

1 ـ الولاية : بفتح الواو لغة : من ولاه يليه وليا اى دنا منـه وقرب ، وكذلك وليه بفتح الواو وكسر اللام وفتح الياء فهى حينئذ : « القرب والقيـام للغير بالامر والنصر والاهتمام بالحفظ والاتصال . . . » (2)

شرعا : قال الشيخ امحمد اطفيش (3) : « وعلى هذا التعريف اللغـوى تنبنى الولاية الشرعية لان هذا التعريف اللغوى خاص بولاية العباد

والولاية الشرعية اكثر اتساعـا ، اذ تشمل ولايـة الله لعبـاده ، وهى توفيقه اياهم واعانتهم عليها ، ونصرته لهم على اعدائهم ، واصل الموافقة فـى الدين ، وحكمها الوجوب كما ذكر ابو الربيع لمن اتصف بصفة الايمان

« والدليل على فرضهما ـ الولاية والبراءة ـ والزامهما قوله عز وجـل لنبيه عليه السلام :

1) «فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات» (4) ان الوصل بين التوحيد وهو واجب والاستغفار دليل على وجوب الثانى والاستغفار ثمرة الولاية .

2) فبايعهن واستغفر لهن الله : (5)

فى الامر بالاستغفار دليل على الولاية ، والامر يشمل جميع المؤمنين . وقوله تعالى : ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا باموالهم وانفسهـم فى

---

(1) التحف فى الاصول ص 4
(2) مشارق انوار العقول ص 337
(3) انظر ص   من البحث
(4) سورة محمد آية 19
(5) الممتحنة آية 12

سبيل الله والذين آووا ونصروا اولئك بعضهم اولياء بعض (1) . والنصر في الدين هو عين الولاية (2) .

فالولاية واجبة على جميع المكلفين كما ان التوحيد واجب وقوله تعالى في شان علاقة المؤمنين ببعضهم «رحماء بينهم» (3)

2 ـ **البراءة** : من برىء بكسر الراء

لغة : برىء فلان براءة تباعد وتخلى عنه فيكون معناها البعد عن الشيء والتخلص .

شرعا : البغض والشتم واللعن للكافر لكفره .

حكمها : الفرضية : اى البراءة من الفاسقين مطلقا اى كانوا مشركين او اهل كفر نعمة (4) فالبراءة منهم واجبة .

والدليل على وجوبها قوله تعالى :

1) لقد كان لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا براء

---

(1) الانفال آية 72
(2) قد اعتمدت خاصة على كتاب مشارق انوار العقول
(3) الفتح آية 29
(4) الكفر عند الاباضية قسمان : كفر شرك وكفر نعمة .
كفر الشرك محله القلب ويخرج صاحبه من الدين .
وكفر النعمة : عملي : يطلقه الاباضية على عصاة الموحدين الذين ينتهكون حرمات الله . اعتمادا على القرآن الكريم واستنادا الى احاديث الرسول عليه السلام .
قال تعالى : ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين . آل عمران آية 97
ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون . المائدة آية 44
وقال عليه السلام : « من ترك الصلاة كفر »
وقال عليه السلام «ليس بين العبد والكفر الا تركه الصلاة» .
فكلمة كفر : اطلقت في هذه النصوص على المعصية مع ثبوت الايمان .

منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده (1)

2) لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ومن يتول فان الله هو الغني الحميد (2)

فالتأسي واجب لربطه برجاء الله واليوم الآخر فمن لم يتأس ينله الوعيد

3) وقوله تعالى : « اولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين » (3)

ولا تجب اللعنة الا في البراءة

واعلم ان الامة مجمعة على وجوب البراءة من اعداء الله جملة لكن اختلفوا في ثبوتها تفصيلا في الاشخاص .

« فمذهب الاصحاب (الاباضية) يرى ثبوتها في الاشخاص مستدلين ان العلة التي لاجلها وجبت البراءة في الجملة انما هي الاخلال بشيء من اوامر الله تعالى او ارتكاب شيء من نواهيه

فاذا وجدنا هذه العلة في شخص بعينه وجب علينا ان نجرى عليه الحكم الذي اوجبته هذه العلة . فثبت القياس قطعيا

---

(1) الممتحنة آية 4
(2) الممتحنة آية 6
(3) آل عمران آية 87

وذلك للقطع بان علة الحكم فى الاصل هى ما ذكرنا وهى مقطوع بوجودها فى الفرع ، فثبت الحكم قطعا » (1)

وقبل ان نتحدث عن ولاية الاشخاص وبراءة الاشخاص يحسن ان نبين حكم من لم يتثبت فى حقيقته اذ لا يمكن ان يكون فى الولاية ولا فى البراءة ، فنزله الاباضية منزلة اخرى : **الوقوف** .

الوقوف : لغة هو انتصاب القامة **واصطلاحا** هو الكف عن القدوم فى احد بولاية او براءة ، وهو فى موضعه واجب لقوله تعالى :

1) ولا تقف ما ليس لك به علم (2)

2) يا ايها الذين آمنوا اذا جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا (3)

ولقوله عليه السلام :

– وامر اشكل عليك فقف عنه

– المؤمن وقاف والمنافق وثاب

فوجوبه ثابت حينئذ بالكتاب والسنة (4)

ويقسم الاباضية الولاية والبراءة الى قسمين :

1) **ولاية الجملة وبراءة الجملة** : وهى ولاية اهل الطاعة من بداية الزمان

(1) مشارق انوار العقول ص 340
(2) الاسراء آية 26
3) الحجرات آيـة 6
4) مشارق انوار العقول ص 376 _ 377

والبراءة من اهل العصيان من بداية الزمان ... وهما عقيدة الانسان (1) ويتفقون فى هذا وبقية المسلمين

2) **ولاية الاشخاص وبراءة الاشخاص :**

«ان يقصد كل شخص بعينه ، والعمل بهما توحيد ، والترك لهما شرك»(2)

– وهذه من خاصيات الاباضية –

ويقول الشيخ عبد الرحمان بكلى مبينا قيمة هذا المبدا عند الاباضية :

«مسالة الولاية والبراءة تلعب دورا كبيرا فى الفقه الاباضى ولها دخل فى معظم ابوابه لان الاصحاب (الاباضية) فرقوا بين المتولى والموقوف فيه والمتبرا منه .

فاعتبروا المتولى امينا ثقة مصدقا فى اخباره وشهاداته ، تبنى عليه الاحكام ... ويتمتع ... بحصانة دينية تصون عرضه ، وتحفظ لـه غيبته وتوجب نصرته والاهتمام بشؤونه ...

بخلاف المتبرا منه ، فانهم يعتبرونه فاسقا لا يعمل باخباره وشهاداته ، مهدور الكرامة والحقوق ما لم يتب من جريرته

واما الموقوف فيه فيعتبرونه استصحابا للاصل من اهل الجملة ... اى كالمتولى معمول به لكن فى مقامات محصورة ...

واما بالنسبة **للكتمان** – بهما اكثر – فقد منعوا القصاص سواء فى الانفس او الجروح بل عدوا من اخذه آثما وان سقطت التبعة . ذلك انهم يتخافون اثارة سخط الجائر الذى يتربص بمن يشتم منه رائحة التطاول الى الاستقلال باعمال او احكام هى من خصوصيات السلطة الحاكمة ...

(1) نفس المصدر ص 346
(2) التحف فى الاصول ص 5

1) العيان : اى المشاهدة

2) الاقرار : بان يقر المكلف انه فعل كبيرة لم يتب منها على سبيل السرور

3) شهادة العدلين بان مكلفا ارتكب كبيرة

4) الشهرة التى لا دافع لها (1)

والطريق الذى تعتمد عليه الهيئة غالبا هو شهادة العدلين ، ويقول ابو الربيع سليمان بن يخلف :

« والبراءة لا يكون فيها حجة الا امينان ... ولا تجب البراءة الا برجلين مسلمين حرين ، او رجل وامراتين مسلمتين امينتين » (2)

موقف العزابة :

اذا ثبت قطعا ان فلانا اقترف جريمة تمرد فيها على احكام الله فى العقيدة او الشريعة ، وبلغ امره الى مجلس العزابة بشهادة عدلين يجتمعون وينظرون فى شانه ويلح الشيخ ابو عبد الله على معرفة الشاهدين « الشخص المدعى له معرفة جيدة اذ يقول : والامناء اذا شهدوا للرجل الذى فى هذا البيت او فى القبر انه مسلم ... لا يتولى بقولهم المذكور حتى يقولوا فلان بن فلان » (3)

فان كان الامر فى الولاية على هذا الوجه ففى البراءة ينبغى ان يكون اكثر لما يترتب عنها من احكام عملية

وكل من رمى احدا من المسلمين بذنب ولم يثبت ذلك ببينة شرعية يبرا منه هو .

(1) مشارق انوار العقول ص 348
(2) التحف فى الاصول ص 9
(3) ترتيب المعلقات ص 44

دعوة المذنب :

1) للدفاع عن نفسه :

ان هيئة العزابة تتثبت فى الدعوى فى اجتماعها الاول ، ثم تستدعى المدعى عليه لتتبين موقفه وقد يكون ذلك بحضور الشاهدين ونجد نصا يثبت هذا :

« وذكروا فى جوابات الامام (1) انه لا يبرا من مسلم وان شهد الشهود على براءته حتى يكون حاضرا يدافع عن نفسه » (2)

وذكر الشيخ ابو عبد الله رخصة فى هذه المسالة خاصة عند غياب المدعى عليه

2) ليستتاب :

« وذكر شيخنا (ابو عبد الله) عن الشيخ ابى زكرياء (فصيل ابن ابى مسور) فى متولى فعل كبيرة انه لا يبرا منه حتى يستتاب » (3)

باستثناء فاحشة الزنا فانه يبرا منه فى حين فعله ، ثم يستتاب لما فى هذه الفاحشة من ضرر

ويلح ابو الربيع سليمان بن يخلف على وجوب الاستتابة فيقول : « واستتابته واجبة والا كنا مثله » (4)

(1) تطلق عادة على احد الائمة الرستميين عبد الرحمان او عبد الوهاب او افلح
(2) التحف فى الاصول ص 20
(3) و (4) انظر التحف فى الاصول ص 7

على ان بعض علمائنا (1) قال ان الكتمان يأخذ من الظهور ولا العكس . فاذا ما قوى امر المسلمين حتى اصبحوا مرهوبي الجانب يدارون من قبل الجائر وامكنهم ان يستغلوا هذا النفوذ لخير دينهم فعلوا ، لكن فى حكمة ولباقة حتى لا يضروا من حيث ارادوا النفع ... (2)

تطبيق البراءة من الاشخاص

يصعب ان نضبط تاريخ بداية تطبيق هذا المبدا عند الاباضية — لانه سابق للكتمان — غير اننا نرجح انه ظهر من عهد امامهم الاول جابر بن زيد (3) عند نشأة علم الكلام والجدل فى شأن العقيدة .

ذلك اننا نجد نصا يثبت ان البراءة الشخصية معمول بها زمن ابى عبيدة المتوفى 145 هـ : 762 م (4) :

« قال ابو سفيان محبوب بن الرحيل وكان له ابن يدعى عبد الرحمان قال : الناس كلهم عندى اهل ولاية الا ما ظهر لى منه ما ابرا منه فقهاء المسلمون — اى الاباضية — ونهاه ابوه عن ذلك القول فلم ينته فخلعوه **وبرئوا منه** . واعلموا الناس أنه على غير طريقهم ، وذلك فى زمان ابى عبيدة » .

---

(1) هو عبد السلام بن منظور تلميذ مؤسس نظام العزابة الطبقات ج 2 ص 190
(2) هو شيخ هيئة عزابة بريان بوادى ميزاب وقد تلى على هذه الفقرة بنفسه من رسالة اجاب بها الاستاذ عمرو خليفة النامى يوم 7 جمادى الاولى 1391 هـ : 30 جوان 1971
(3) انظر ص 18 من البحث
(4) انظر ص 19 من البحث

وعن ابى عبيدة هذا نقلت مبادىء الاباضية الى المغرب (1) فيكون تطبيقه من فترة الامامة الاولى فى ليبيا ، اذ يعمل به فى جميع فترات الحكم الا ان فترة الكتمان تختص ببعض المظاهر حسب ما ذكرنا (2)

وقد جعلها الشيخ ابو عبد الله اسا من اسس نظام العزابة حتى تكون للهيئة سلطة روحية وعملية فى المجتمع الاباضى (3)

وقد سئل — ابو عبد الله — عن المشهور فعل الكبيرة هل يبرا منه فاجاب قائلا لسائله ما تقول انت فى امام المسلمين اذا فعل كبيرة ايبرأ منه .

فقال السائل : نعم

فقال ابو عبد الله : الامام اعظم من الشهرة وافضل (4)

ويقول ابو عمار عبد الكافى : « ومن فعل كبيرة من اهل الحلقة (5) ، وظهرت عليه البينة العادلة فان العزابة يبرؤون منه فى الحين » (6)

فان كان هذا بالنسبة للعزابة فما بالك بالعوام (7)

فكيف يكون هذا التطبيق ؟

موجبات البراءة :

ان يثبت بطريق من الطرق التالية ان مكلفا لم يمتثل لامر من اوامر الله وانتهك ما حرم الله

---

(1) سير الشماخى ص 116
(2) انظر آخر كلام الاستاذ بكلى « واما بالنسبة للكتمان ... » بالصفحة السابقة
(3) جعلها من مسؤولات شيخ الحلقة ص 82 من البحث
(4) ترتيب المعلقات للشيخ امحمد اطفيش ص 44
(5) انظر قسم المصطلحات ص
(6) رسالة ابى عمار ص 3
(7) انظر ما يلى مفهوم العوام ص 116

3) موقف العزابة في حالة التوبة قبل اعلان البراءة :

اذا اعترف المذنب بذنبه وتاب لله بين يدي هيئة العزابة رجع الى منزلته الاولى من الولاية اذا كان الذنب من الصغائر دون ان يعلم الناس

وان كان الذنب من الكبائر – مثل الزنا خاصة – فالبراءة منه واجبة ، وان تاب قبل ا نيبرا منه لم تقبل توبته (1)

ويلح العزابة على هذه القسوة حتى لا تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ، ومهما يكن من امر فان الامر يرجع الى مجلس العزابة يقرر حكمه حسب الظروف

وان اصر المذنب فهو في البراءة (2)

(1) و (2) انظر التحف في الأصول ص 7

4) اعـــلان البـــراءة

ينتهي اجتماع هيئة العزابة بامر شيخ الحلقة (1) باعلان البراءة ممن اتفقوا على التبرىء منه .

ويكون الاعلان بعد الفراغ من صلاة جامعة في المسجد الجامع ، فينادي شيخ العزابة وينوبه الامام بان فلانا بن فلان في براءة المسلمين لفعله كذا وكذا ولكسره حجر (2) المسلمين ، او لجلوسه في محل التهمة او انه سب الدين وغير ذلك مما هو من الرذائل (3)

حالة من يتبرا منه

قد ذكرنا ان البراءة هي مقاطعة الشخص وعدم مكالمته وزيارته والاتصال به وحرمانه من حقوقه الدينية والمدنية والاجتماعية

ومن حين الاعلان تقاطعه المدينة كلها ، لا تكلمه ولا تعامله ولا تزوجه . واذا كان تاجرا لا تشترى منه . واذا كان اجيرا لا تستخدمه ، ولا يدعونه الى مجالسهم ، واذا دعاهم لا يجيبون ولا يسلمون عليه ولا يردون على سلامه ، ولا يحضرون افراحه واتراحه ولا يعينونه بشيء اذا حلت به كارثة ، ولا يقبلون صدقته اذا جمعت الصدقات ، ولا يغسله العزابة اذا مات ، ولا يمشي الناس في جنازته ، يقاطعه حتى اهله وعشيرته .

وان هرب الى مدن اخرى يخبرون عزابة تلك المدينة ، فيعلنون البراءة منه ايضا (4)

(1) انظر قسم المصطلحات ص 317
(2) لعله يقصد ما حجرته الشريعة اى حرمته
(3) لائحة عزابة غارداية ص 3
(4) نهضة الجزائر الحديثة ج 1 ص 209 وقد عاين المؤلف كثيرا من الحالات

فاينما يول يجد نفسه فريدا ، فى بيته لا يجد من اهله الا الصـــدود والاعراض لما اصاب كل افراد الاسرة من فضيحة

وكل من يتصل به او يكلمه يلحق به

كل هذا يؤدى المذنب حتما الى ان تضيق عليه الارض بما رحبت وتضيق عليه نفسه فيبحث عن سبيل النجاة

كما ان عشيرته (1) تقف موقفا حازما لان العار يمسها هي ، فيوبخه افرادها ويدفعونه الى الاعتراف والتوبة

التوبة والرجوع الى حضيرة المسلمين

الاعلان عن التوبة :

لايكفي ان يعلن هذا المذنب توبته بين عشيرته مثلا فيبلغ عنه ما قال ، كما لا يكفيه ان حضر ان يدعي التوبة على الاطلاق بل لا يجزيه الا الحضور بنفسه مع الاعتراف بالذنب الذى برىء منه من اجل ارتكابه (2)

مكان الاعلان ووقته :

يجب على هذا المذنب ان يطاطىء راسه لهيئة العزابة فياتى المسجد الجامع ويقف تائبا عند سارية من السوارى بعد صلاة جامعة حيث يوجد جل اهل المدينة ليتبينوا ان العزابة لم يظلموه ، وليكون له درسا قاسيا حتى لا يعود الـــى انتهاك حرمات المسلمين ، وبذلك يتعظ كل الحاضرين ، فكل من تراوده نفسه بالعصيان يتذكر مثل هذا الموقف مع ما سبقه من هجران فى حالة البراءة فيقلع من حينه او يستتر ، وبذلك لا تنتشر المحرمات فى البلاد .

(1) انظر ما يلى قيمة العشيرة بالنسبة لنظام العزابة
(2) التحف فى الاصول ص 9

طريق الاعلان عن التوبة :

1) يجب على التائب ان يذكر اسمه واسم ابيه واسم عشيرته
2) ويعترف بذنبه الذى برىء منه من اجله بان يصرح انه ارتكبه
3) ويقول بصوت مرتفع « تبت الى الله والى المسلمين » ثلاث مرات (1)

اجتماع اهل الحلقة للنظر في توبته :

يجتمع اعضاء العزابة ويشترط حضورهم جميعا ، فيتشاورون فى امر هذا التائب ويكون قرارهم معتمدا على عاملين :

1) نوع الذنب : كبيرة او صغيرة
2) الاسراع بالتوبة او التراخي

فان كان الذنب صغيرة واسرع صاحبه بالتوبة يقبلون منه فى الحين ، وان كانت المعصية من الكبائر ، وتكبر صاحبها ، وتراخى عن التوبة يسكتون عنه الى ان يتوب فى المسجد الجامع عدة مرات يحددونهـا فيما بينهم حسب هذين العاملين

قبـــول التـــوبـــة :

عندما تقبل الهيئة توبته يدعوه شيخ المسجد او نائبه فيلومه على قدر سيئته، ثم يلقى درسا مناسبا للمقام فى مضار الخمر ان برىء من الشخص من اجل شرب الخمر مثلا الخ ...

وهنالك يقع الاعلان ان فلانا بن فلان من عشيرة كذا فى ولايـة المسلمين وهذا من عمل شيخ الحلقة ،

وبذلك تعود حياة هذا المذنب الى مجراها الطبيعي ، ويخرج مـن هـذه الاغلال الى روح الاخاء والمحبة التى فطر عليها الانسان اذ هو مدنى بالطبع .

(1) ويكون كل هذا بالبربرية غالبا حتى يفهم جميع الناس ، والكلمة الاخيرة : توبغ بيسملمان

البراءة الجماعية واغلاق المسجد

قد يتكتل العوام صفا واحدا ـ خاصة في فترات الضعف ـ ويتالبون على هيئة العزابة ، فما هي قوة اثنى عشر رجلا امام رعية كاملة .

فاذا وقع مثل هذا الاصرار فان العزابة يلازمون المسجد دون ان يقوموا باعمالهم المالوفة ، ويمتنعون من دخول الاسواق والبلد حتى يستجيب الناس لحكمهم .

وذهب الشيخ ابو عبد الله الى اكثر من هذا اذ هاجر اريغ عندما لم يمتثلوا لامره ، ولم يرجع اليهم الا بعد التوبة .

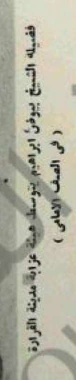
ويروى الوسياني حدثا من هذا النوع :

« وقال اجتمع بنو مغراوة باسرها وذلك ان العزابة اخرجوهم (الى) الخطة (1) لشروط عليهم» ..

فما كان من هؤلاء الا ان اجتمع الصالحون منهم وتابوا بين يدي العزابة فقال نائبهم :

« عيارنا ناقص ... وعيار عزابتنا واف ـ يعني انهم مفضلون عليهم في كل امر ـ وفتوانا عند عزابتنا ، ورؤساؤنا هم عزابتنا ، ونحن لهم تبع » فردوهم من الخطا والحمد لله رب العالمين . (2)

ان هذه الطريقة تحفظ سلطة مجلس العزابة رغم عدم اقامتهم للحدود وتساعدهم على امتلاك زمام الامور بايديهم .



فضيلة الشيخ بيوض ابراهيم يتوسط هيئة عزابة مدينة القرارة
(في الصف الامامي)

---

(1) انظر قسم المصطلحات ص 318
(2) الوسياني ص 54

يقرر ابراهيم بيوض (1) في جواب عن اسئلة وجهها اليه احد المهتمين بدراسة عن الاباضية انه يصعب ضبط تاريخ لبدء العمل بمجلس العشيرة .

الا انه يثبت ان نظام العشيرة متين الارتباط بمجلس العزابة ، ذلك ان العزابة يراعون في اختيار الاعضاء ان يكون معهم عضو او اكثر من كل عشيرة يشترط ان تتوفر فيه الكفاءة اللازمة .

ويعتبر ان نظام العشائر اقدم من مجلس العزابة لامرين :

1) **كفالة الايتام** : ان كفالة الايتام ترجع عند الاباضيـة الى العشيرة لا كما عند المالكية حيث يرجع الامر الى القاضي ، والايتام موجودون في كل زمان

2) **دية القتيل خطا** : تسمى العشيرة العاقلة لانها تؤدي دية القتيل اذا قتل خطا عن القاتل ، وكان هذا من عهد الدولة الرستمية وقبلها ، حيث تنادي الحكومة العشيرة لاداء الدية .

فهذان دليلان يثبتان وجود نظام العشائر قبل نظام العزابة .

---

(1) مقابلة مع الاستاذ كوبرلي ـ من الاباء البيض ـ بمدينة القرارة يوم السبت 13 مارس 1971 15 محرم 1391 .

والشيخ ابراهيم بيوض هو شيخ المجلس الاعلى بوادي ميزاب حاليا بدا نشاطه العملي بمدينة القرارة 1339 هـ : 1921 م واهتم خاصة بالتدريس فكون جيلا عاملا .

وهو رائد النهضة الميزابية والساهر على تطبيق نظام العزابة بكل مرونة. ما يزال على قيد الحياة انظر ترجمته نهضة الجزائر الحديثة ج 3 خاصة من ص 6 الى ص 81

ان الرابط الروحي متين بينهما ، اذ لكل عشيرة في المدينة مجلس خاص من افرادها يهتم بجميع شؤونهـا : الايتـام ـ الارامل ـ الفقـراء ـ مآتـم ـ اعراس ـ الخ .

وهذا المجلس يجتمع في دور مخصصة لذلك تسمى دور العشائر ـ دار العشيرة ـ (2) وفيها تقام افراح كل اهل العشيرة غنيهم وفقيرهم واتراحهـم ولكل عشيرة دار في المدينة .

فعندما يتبين اعضاء مجلس العزابة فساد احد افراد عشيرة ما يطلبون من عشيرته ان تؤدبه .

فيدعوه مجلس العشيرة ويسعى الى اقناعه فان اقتنع فلا باس عليه وان لم يمتثل يجددون الدعوة ثلاث مرات .

وعند الاصرار يعلم مجلس العشيرة هيئة العزابة فيبراون منه ولا يقبـل توبته الا بعد الخضوع لامر العشيرة .

وبهذا التعاون بين الطرفين يضمن الصلاح في المجتمع .

---

(2) قد نزلنا بكثير من هذه الدور في جويلية 1971 جمادى الاولى 1391 انها مجهزة تجهيزا عصريا بها المثلجات والمراوح الكهربائيـة وجميع لـوازم الراحة الخ ..

قسم العوام

قبل ان ننتقل الى الحديث عن اسس نظام التعليم يحسن ان نذكر بعض واجبات العوام لما لها من صلة بصلاحيات العزابة الاجتماعية .

ان العوام هم الناس الذين يشتغلون باعمال الحياة لا يرتبطون بميدان التعليم او القيام بمهام دينية ، ولو كانوا من فطاحل العلماء .

وهذا المصطلح ليس فيه استنقاص لهؤلاء الناس وهو بمثابة كلمة الرعية والناظر فى المصادر التى تتحدث عن العزابة يجد انها لا تخصص لهم فصولا لانهم ليست لهم وظائف معينة

ان واجب هؤلاء الامتثال لجميع اوامر مجلس العزابة فى الشؤون الدينية والدنيوية ، كتعيين المواسم الدينية ، وتحديد المهور ، وتقرير بدء العمل فى المواسم الزراعية الخ .

ولهم مواقف هامة فى المشاركة فى المشاريع الخيرية من بناء المساجد ، وتنظيف المدينة ، ـ عند اعلان العزابة ـ وحفر الآبار وبناء السدود ، وجميع ما يعود بالنفع على المدينة .

وبهذا يستقيم الامر فى المدينة ، ويستتب الامن ، وتحترم حدود الله تعالى

نظام التعليم

ان طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ، فلا يمكن لمجلس العزابة ان يسكت عن اداء هذا الواجب ، وقد راينا انه يهتم بالكبيرة والصغيرة فى المجتمع الاباضى ، فما هى نظم التعليم حينئذ ، وكيف يشرف عليها العزابة ؟

اننا نجد الجواب عن هذين السؤالين فى الفصل الذى نسبه الدرجينى لمؤسس نظام العزابة : «ذكر لمع من سيرة اهل الحلقة (1)» وقد نقله عنه البرادى بالحرف الواحد (2) .

لقد قسم الشيخ ابو عبد الله الحلقة (3) الى صنفين :

آمر ومامور

الآمر اثنان :

شيخ الحلقة .

العرفاء .

المامور ثلاثة :

طلبة القرآن .

طلبة فنون العلم والادب .

العاجزون .

---

(1) الطبقات ج 1 من ص 132 ـ 145

(2) الجواهر 207 ـ 218

لقد شرح هذا المستشرق الايطالى روبناتشى كما يشير لويكى فى دائرة المعارف الاسلامية فصل حلقة ص 97 لم اطلع عليه ، وشرحه الاستاذ على يحيى معمر فى كتابه : الاباضية فى موكب التاريخ الحلقة الثالية القسم الثانى ص 137 ـ 147

(3) ان التلامية يعتبرون عزابة صغار اذ ينتخب اعضاء الحلقة منهم ، ويظهر هذا خاصة فى تعبير الوسيانى فى سيره .

4) جمع الطلبة بالاضافة الى يوم الجمعة يوم الاثنين والخميس ، فيحظى ويذكر ويورد امثالا حكمية وحكايات زهدية .

ثم يفحص جميع من حضر ، ويسال عن احوالهم .

ويقلد من العرفاء من حمدت افعاله فاستحسنت ، ومن عيب عليه شيء من احواله :

فان كان كبيرا فالى الخطة .

وان كان صغيرا فيؤدب ، ويختارون زاوية تكون موضعا لتاديبهم ، ثم يجتهد الشيخ فى عدو ما يجلد .

ويهتم خاصة بالسؤال عن حفاظ القرآن ، وعلى عريف القرآن ان يعلمه بما تبين عن كل تلميذ (1) .

5) **النظر فى قبول التلاميذ الجدد** : اذا قدم قادم من بلد قريب او بعيد فلا يخلو ان يكون عابر سبيل او طالبا للاقامة والدخول فى زمرة المامورين .

فيشاور الشيخ فى كلا النوعين :

فان كان عابر سبيل يعامل معاملة الضيوف

وان كان يريد الدخول فى الحلقة :

---

(1) هذه ثلاث حصص اسبوعية : للوعظ والارشاد والنظر فى سير النظام وعلى جميع الآمرين والمامورين ان يحضروها ليتعرفوا على القرارات الاسبوعية

وفى هذه الحصص يستوحى شيخ الحلقة مواعظه من احداث الاسبوع ، ثم يجازى المحسن ويعاقب المسيء

ان هذه المجالس شبيهة بمجالس الادارة غير انها اوسع ويعلن فيها الشيخ بنفسه القرارات الجديدة

والقصد من هذا ان تفض المشاكل فى حينها حتى لا تتراكم ، ولحضور الشيخ هذه الحصص بنفسه قيمة كبرى اذ يعلم كل واحد ان الحل والعقد بيده فيذعن كل فرد ويسعى الى احترام النظام

يبحث الشيخ عن احواله :

فان سمع منه نقيصة فالطرد لا غير

وان لم يسمع الا خيرا فليدخل مع اهل الحلقة – التلاميذ – له مالهم وعليه ما عليهم فان تعذر الاطلاع على احواله لبعد الدار فليتوقف حتى يتبين امره (1)

6) تولية عرفاء الاوقاف والاذن فى ما يشترى او يباع او يدخر (2)

---

(1) هذا يثبت ان للشيخ وحده قبول التلاميذ الجدد او رفضهم . ويستعين فى ذلك بالعرفاء لمراقبة جميع حركات هذا الآتى فى مدة معينة

ان الشرط الاساسى للقبول هو السيرة الحسنة ، ذلك حتى يتماشى ونظام التدريس خاصة فى القسم الداخلى . اذ لهذا الغريب ان يبيت بالبيوت المخصصة لذلك

فسيعيش صباح مساء مع التلاميذ – النوم الاكل والدراسة – والعدوى فى سوء الاخلاق سريعة وحتى ان لم يكن هذا فانه يؤذى بقية التلاميذ .

والناظر فى النظم العصرية يجد ان مدير المعهد يطلب ملف التلميذ ويهتم خاصة بالسيرة وان لم يجد شيخ العزابة ملفا كتابيا فى عصره فانه يعتمد على شهادة الثقات .

فيسال من يعرف هذا التلميذ وان لم يتمكن من ذلك يراسل اهل الجهة التى وفد منها التلميذ وفى الغالب ياتى التلميذ برسالة من ثقات بلاده تثبت صلاحه

فان ثبت صلاحه قبل ، وان ثبت طلاحه يرفض ، واذا كان مجهولا يكون فى الوقوف – اى يرسم الى ان ياتى الخبر اليقين

(2) ان حصص التولية والعزل هى غداة الجمعة والخميس والاثنين ولا يكون هذا اعتباطا : اما بالنسبة للتولية فانه يختارهم من اوساط معينة حسب الوظيفة التى ستسند اليهم ، وهم بمثابة القيمين المشرفين على رعاية النظام ما عدا عرفاء القرآن فمنهم من يختار من التلاميذ خاصة عرفاء القرآن الكريم ومنهم من يختار من صالح العاجزين – عن حفظ القرآن الكريم – او من التلاميذ مثل عرفاء الطعام وعرفاء اوقات الختمات وعرفاء اوقات الدراسة وشيخ الحلقة

7) هو الحكم بين المختلفين

والمنصف بين المتباغضين فيأخذ من الظالم للمظلوم (1)

ان البرادى يتوقف عند هذا الحد ، الا اننا اذا نظرنا فى ما كتبه ابو عمار عبد الكافى وما قرره عزابة غارداية يمكن ان نضيف :

بمثابة المقتصد ايضا اذ لا يمكن ان تشترى اللوازم او تباع او تدخر الابامره :

اشتراء لوازم التلاميذ ، ادخار ما يفوق الحاجيات مما يتصدق به عليهم اهل الخير

وكل هذا يكون فى مخازن الجامع تحت اشراف وكيلي المسجد فهما يعينان الشيخ على اداء هذا الواجب .

(1) يقول ابو عمار عبد الكافى فى شان علاقة الشيخ بالتلاميذ : « ... ويجعلهم فى قلبه منزلة واحدة » ص 6 السيرة . فى هذا النص دعوة الى المرونة واضحة حتى يتفهم الشيخ جميع مشاكل التلاميذ ولا يسعى الى فضحهم لان ذلك يورث البغضاء فى نفوسهم

فيعمد اول الامر الى توبيخهم راسا او مع بعض العرفاء فيكون ذلك بمثابة مجلس تاديب

واذا لزمت الشدة فالعقوبات محددة :

اما بالجلد فى الزاوية على الطريقة الشرعية « ضربات على اليدين او على الاكتاف »

واما ان يوضع فى الخطة : براءة داخلية على قدر الذنب وصغره وقدم التلميذ وجدته

وبهذا يحترم التلاميذ قانون النظام

وقد تقع مشاكل بين العرفاء او بين العرفاء والتلاميذ فالشيخ هو الحكم الفصل فى ذلك بان يسوى بين الطرفين بالتى هى احسن اذ الانسجام بين العرفاء وبين العرفاء والتلاميذ واجب والا ينخرم النظام .

8) ترتيب دروس التلاميذ (1)

9) تعيين اوقات القراءة (2)

10) اختيار فقهاء المحاضر من بين التلاميذ (3)

11) ادخال من تاهل من اهل المحاضر الى قسم التلاميذ (4)

12) النظر فى التلاميذ لتبين من تتوفر فيه الكفاءة ليعين فى اهل الحلقة (5)

13) تفقد احوال التلاميذ ، فمن كان منهم فقيرا نظر له فى من يتبرع له بالخدمة والاطعام (6)

---

(1) ان هذا الترتيب يقابل ضبط البرامج فى المصطلح العصرى ويقول ابو عبد الله : « انظروا فى هذه المسائل لئلا تعبدوا غير الله وانتم لا تشعرون » التوحيد . الاصول والديانات والشرعيات سير الوسيانى ص 69 انظر قسم التعليم عند عزابة جربة

(2) ان عزابة غارداية يقصدون جدول الاوقات :

« ويعين اوقات القراءة — الدراسة — لهم مثل ما هو جار —

أ) من وقت طلوع العامة من السكنى فى الاجنة اوائل ديسمبر يدرس امام المحراب بالجامع من بعد صلاة الصبح الى دخول افريل

ب) فيدرس خارج المسجد فى الصحن من بعد صلاة الظهر الى وقت العصر » لائحة غارداية ص 1 . ان هذا خاص بعزابة غارداية ولكل موطن ما يناسبه

انظر جدولا اكثر دقة من هذا قسم التعليم عند عزابة جربة

(3) انظر ما يلى عن المحاضر

(4) اى نقلة التلاميذ من مستوى الى آخر

(5) على الشيخ لتلاميذه ان يكون على بصيرة فلا يدخل احدا مع العزابة حتى يكون تلميذا مع التلاميذ منذ زمان يتعلم الادب والسير ، وهو فارس فيهما حافظ للسنة ، اديب فى افعاله ابو عمار ص 7 رسالة فى نظام العزابة

ويجب ان يستعد الشيخ لذلك اذ قد يموت عزابى فجأة او يبرأ من واحد منهـــم

(6) انظر ترجمة ابى مسور فى ما يلى — جواهر البرادى ص 218

ثانيا : مهام العرفـاء :

العرفاء : جمع مفرده عريف

من عرف فلان على القوم برفع الراء . عرافة بكسر العين اى دبر امرهم وقام بسياستهم وعلى هذا التعريف اللغوى ينبنى المفهوم **الاصطلاحى** : اذ تتمثل مهمة العرفاء فى الاشراف على مصالح التلاميذ ورعايتهم ومراقبتهم سواء اثناء الدراسة او خارجها (1)

ويصعب ان نضبط تاريخ نشأة هذه الوظيفة غير اننا نرجح انها متقدمة على نظام العزابة ، ذلك ان كل نشاط يحتاج الى اعوان يشرفون عليه ، ونشاط التدريس كان قائما من زمن جابر بن زيد (93 هـ : 711 ـ 712م)

وقد ذكر ابو زكرياء هذه الوظيفة عند حديثه عن حلقة ابى القاسم «وكان ابو القاسم قد اتخذه عريفاء (2)

ويقسم ابو عبد الله العرفاء الى صنفين : ـ المنفرد وغيـر المنفرد ـ (3)

---

(1) ان هذه المهمة مثل عمل القيمين بمعاهدنا
(2) كتاب السيرة ج 2 ص 173
(3) بالنسبة لمهام العرفاء انظر الجواهر من 209 ـ 213

1 ـ العريفان المتفردان :

1) عريف اوقات الختمات والنوم (1)

ـ ترصد حزب الغدو ... فاذا كمل او كاد دعا جميع من فى المسجد الى الختمة ، (2) فيدعو اسنهم ، ويدور الدعاء فان انقضى وتخلف احد فالخطة .

ـ فاذا كان وقت الضحى نادى بنوم الهاجرة فاذا ناموا وتكلم احد بحيث يؤذى النائمين فالخطة . ومن ابى بغير عذر كان تركه النـوم ذريعـة الى ترك قيام الليل فيتحتم عليه النوم والا فالخطة (3)

ـ ينادى الى الختمة عند الغروب فيجتمعون على اكبرهم فيحلق معه مـن يليه فى السن والمعرفة ، ويكونون حلقا متعددة لا يقل عدد اصحابها عن الثلاثة ولا يتجاوز العشرة .

فاذا استداروا وذكروا الله قرا قارئان آية من القرآن الكريم ، ثم يديرون الدعوة كالعادة ويؤمن من حضر . ومن تخلف فالخطة (4) .

---

(1) ان هذه الوظيفة مثل مهمة المشرف على دق الجرس عند انتهاء حصص الدراسة والمشرفين على التلاميذ عند النوم . الجواهر 209 ـ 210 .

(2) اعلان انتهاء الحصة الصباحية بطريقة اسلامية وهى حضور دعـاء الختم . ومراقبة المتخلفين لان حضور كل التلاميذ واجب ومـن تخلف بـدون عذر يعاقبه .

(3) مراقبة التلاميذ عند النوم ـ القيلولـة ـ والدليـل على وجوب نـوم القيلولة معاقبة من لا يمتثل لذلك ، والعقاب بيـد العريف فى اول الامـر وان تكرر سوء تصرف التلميذ يصبح بيد شيخ الحلقة وعلى العريف ان يعلمه .

(4) ان هذا النداء يكون بعد استراحة ما بين العصر والمغرب فعلى التلاميذ ان يحضروا صلاة المغرب وعلى اثرها يقسم التلاميـذ حلقـا حلقا فيقرؤون مـا تيسر من كتاب الله ، ثم يجتمعون عند صلاة العشاء حلقة واحدة لدعاء الختم . والحضور واجب .

ـ اذا صلوا صلاة العشاء ، وقراوا ما يسر الله ، وحان الوقت ولـم تكن ليالى الاحياء نادى بالدعاء وهى ختمة ليست باكيدة ... والمتعارف ان حضورها على الكفاية . ويدعون دعاء خفيفا . فاذا دعوا فالمستحب الذى وصفه الشيخ ابو عبد الله ان يبدؤوا نصحهم من كتاب فى الوعظ والا ففى ما فتح الله .

ويقرأ قليلا بحيث يستمعون وهم مجتمعون (1) .

ـ ثم ينادى بالنوم . فاذا ناموا وتكلم احد او تحرك فالخطة الا ان يكون فى مطالعة كتاب بعيدا عن النائمين ، فما على المحسنين من سبيل (2) .

يمكن ان نلاحظ بعد تبين مهمة هذا العريف ان البرادى تتبع الاوقات فى ذكر عمل العريف ويمكن ان نقسم عمله تقسيما آخر :

1 ـ الدعوة الى الختمات : الصبح ـ المغرب ـ العشاء ـ

2 ـ الدعوة الى النوم والاشراف على النائمين : فى القيلولة وفى الليل .

---

(1) اول ما يلاحظ فرض الاحياء على التلاميذ فى مناسباته ـ الاعياد الاسلامية ـ وذلك لغرس روح التفانى فى عبادة الله فى التلاميذ منذ الصغر .

اما فى بقية الليالى فللتلميذ الحرية للمراجعة مدة وجيزة ليتمكن من لم يتم عمله من تدارك ذلك .

ثم ينهون يومهم بمواعظ حتى يحاسبوا انفسهم ، ثم على اثرها يكون دعاء الختم .

وحضور هذه الختمة ليس واجبا وذلك لتبين مدى اجتهاد التلاميذ عندما يختبرون ، وفى هذ اعداد للمستقبل حيث سيختارون مواقفهم بانفسهم .

(2) ان العزابة يلحون على الجد فى طلب العلم فلذلك يرخصون لكبار التلاميذ ان يسهروا الليالى خاصة عند اقتراب مواعيد الامتحانات .

ومهمة هذا العريف ان يراقب هؤلاء واولائك حتى يستقيم النظام . ونلاحظ ان هذا العريف اذا دعاهم للنوم يكون مسؤولا على تنبيههم عند قدوم شيخ الحلقة فى آخر الليل .

هكذا نتبين ان لهذا العريف مهمة عظيمة . فهو المشرف على التلاميذ فى جل اوقاتهم ، يمكن ان نشبهه بالقيم العام للمبيت ، وهو اقوى شخصية بعد الشيخ فى نظام التعليم ، واهم عنصر فى التربية اذ يراقب سلوك التلاميذ من قريب ويعرف كنههم .

فان كان عالما بفنون التربية قوى الشخصية يفيد التلاميذ احسن افادة وان كان عاجزا يضر اكثر مما ينفع .

وان قامت امامه مشكلة عويصة يرجعها الى الشيخ ويحسن ان نختم الحديث عن هذه المهمة بذكر طريقة النداء .

لم نجد نصا يثبت ذلك غير ان النداء فى بيوت الله لا يكون بواسطة جرس او ما شابهه .

ولعله يكون بالاتفاق على ذكر جملة معينة تستعمل للتنبيه يذكرها العريف مرات محدودة ربما تكون كلمة التوحية : «لا اله الا الله محمد رسول الله» بصوت جهورى يسمعه الحاضرون رغم اشتغالهم .

اما فى التنبيه من النوم فانه يستعمل لفظة بربرية اذ هى اللغة المستعملة فى الحديث اليومى .

اكر : تنطق بطرق مختلفة حسب الجهات ، ومعناها قم . بفتح ففتح وشد فسكون فى جربة ووارجلان .

وتقلب الكاف فى وادى ميزاب فتصبح **اشار** فتح مخفف فسكون ففتح ومد فسكون .

وهذه الطريقة معمول بها الى الآن فى وادى ميزاب .

ب) العريف المتكفل بالطعام :

ان وظيفته شبيهة بمهمة قيم المطاعم فى المبيتات غير انها اوسع كما سنبين :

تنقسم مواضع الاكل الى قسمين :

1 ـ فى مطعم المسجد

2 ـ خارج هذا المطعم : الضيافات (1)

وفى كلا الحالتين تتعلق بالعريف مهام محدودة :

1 ـ الاشراف عل الاكلتين الرئيسيتين :

1) ترتيب جلوس التلاميذ عند الاكل (2)

ب) ان غاب احد نهاه واوصاه فان عاد فالخطة (3)

ج) يراقب زيهم اذ على التلاميذ ان يشتملوا الشملة المعروفة عند حضور الطعام (4)

---

(1) هذا دليل على اكرام العوام للتلاميذ ويكون ذلك اما فى الاعراس او المأتم او فى دعوات خاصة وقد يكون الاكرام هذا من العزابة ايضا اذ كل يرجو ثواب الله ونفهم هذا من رواية البرادى : « فما كان خارجا لا يخلو ان يكون فى موضع عزابى او موضع دنيوى» الجواهر ص 210

(2) لعل هذا التنظيم يكون حسب مستوياتهم ، او يمزج العريف بين الصغار والكبار . وعلى التلاميذ الطاعة وملازمة النظام الذى يقرره هذا العريف من بداية السنة ، وقد يتغير فى الضيافات بامر العريف دائما .

(3) تسجيل الغيابات والتدرج مع الغائبين من اللين الى الشدة حتى يحافظ التلاميذ على النظام ، ولا يدعى احد بان الطعام غير صالح او ما الى ذلك

(4) على كل تلميذ ان يحافظ على نظافة ملابسه ، وتكون الشدة خاصة مع المبتدئين حتى يتعودوا على النظافة . وكل من يهمل هذا الزى الخاص يعاقب ويسمى هذا الزى شملة الطعام .

د) فاذا اعتدل جلوسهم دعا بالماء وغسلوا (1)

هـ) فمن نهم عيب عليه فى غير ذلك الموضع وحذر ان يعود ، فان عاد فالخطة (2)

و) الاشراف على توزيع الطعام والفاكهة وما فتح الله به من هدايا (3)

ز) فاذا طعموا تقدمهم العريف ، فان وجد منهم من يده فى الطعام انتظره فاذا فرغوا اذن فى الانصات الى الدعاء (4)

---

(1) هذا حسب السنة النبوية الشريفة التى تدعو الى غسل الايدى قبل الاكل وبعده ، فيعين العريف عادة المبتدئين للقيام بهذا العمل حتى يتعودوا التضحية فى سبيل المصلحة العامة .

(2) مراقبة سلوكهم اثناء الاكل لتبين مدى تطبيقهم لآداب الاكل ، وهذا السلوك يختلف باختلاف الموضع اذا كانوا فى مطعم المسجد او عند عزابى او فى رحلة لا يطالبون بالتحفظ بل يميلون الى الانبساط والملحة ولهم الحق فى اقتراح طيب الطعام وازدياد الادم ونحو ذلك .

وان كانوا فى محل دنيوى عليهم بملازمة التحفظ وافراط الحذر «ويجعلون الشعار بينهم حسان او حسان بن ثابت اى احسنوا آدابكم واخلاقكم وهى كلمة يقولونها اذا دخل عليهم غير الصف تحذيرا ان يطلع على ما يعيبونه عليهم» الجواهر ص 210

وعلى هذا العريف ان يرجى ملاحظاته الى وقت آخر حتى لا ينغص التلاميذ اثناء الاكل ، وفى هذا احترام لشخصية التلميذ وان كان صغيرا ، ولا تكون هذه الملاحظة الا اذا تفاقم الامر . وذلك باشارة يصطلحون عليها لينتبه المخطىء .

(3) هذا الاشراف يكون فى مطعم المسجد اذ لا يخلو ان يكون الطعام

1 ـ مما يعالجه وحده (والامر بسيط)

2 ـ او يحتاج فيه معينا :

ففى الحالة الثانية يستعين بمن استحسن ومن ابى بغير عذر يعاقب ، وان اراد ان يعين من يؤدى هذا العمل فعليه ان لا يخص بذلك من يعلم منه كثرة الانقطاع الى الدرس بل يختاره من ضعاف المواهب ، وهذا يكون خاصة بالنسبة للحوم والفواكه اما بقية الطعام فانهم ياكلون فى قصعة واحدة ولا يتجاوز عدد الحلقة ستة عادة .

(4) اعلان انتهاء الاكل وان انتهى احدهم قبل غيره فعليه ان لا يتحول عن مكانه ريثما ينتهى زملاؤه ، وعلامة الانتهاء تعيين كبير القوم للدعاء ، فتكون الخاتمة بذكر الله تعالى والدعاء بالخير للمضيف فى الضيافة .

2) الاشراف على الوجبتين الاضافيتين :

«منها (شروط اكل الفاكهة) ان لهما وقتين ويشارك فيهما جميع التلاميذ – تلاميذ المبيت والخارجيون –

ا – عند الضحى وقت استكمال كتابة الالواح وتصحيحها .

ب – بعد العصر بمقدار ما يقرا فى اللوح مرة او مرتين .

ويعلن وقت هاتين الوجبتين عرفاء القرآن بعد تصحيح الالـواح ، واذاك يتحرك عريف الطعام فيعرف نوع الفاكهة – اذ قد يكون من العزابة من لـه شوق الى تلك النافلة –

ثم يعين فرقة لتوزيع الفاكهة – قد تكون قارة وقد تكون بالتناوب –

ويتعين على التلاميذ ان يجلسوا حلقا ، ومـن الشرط ان يكون فى كـل طائفة عريف يكون اسنهم وانبههم لا تعدو عرافته ذلك الوقت» الجواهر ص211

وعند قدوم فرقة التوزيع يتعين على كل تلميذ ان يلقى ثلاثـة امثلـة ابتداء من العريف المؤقت ثم كذلك ميامنة الى ان يكمل الدور .

وان تردد احدهم فله الحق فى الفاكهة ان تدارك نسيانه قبل تحول فرقة التوزيع .

وان لم يتمكن من ذلك يحرم من الفاكهة بالنسبة لتلك الوجبة ولا ينبغى ان تكرر الاسئلة .

هكذا عوض ان يقضى التلاميذ الاستراحة – الصباحية والمسائية – فى هرج ، يعيشونها فى جو كله مرح وحبور مع الاستفـادة المادية والروحية فى نفس الوقت اذ مهما كانت الاسئلة بسيطة فانها تركز كثيرا من الحقائـق فى اذهان التلاميذ ، ويشارك فى هاتين الوجبتين بقية العرفاء والمعلمون والعزابة ، ويختلطون غالبا مع التلاميذ .

لا يجب ان ننسى فى خاتمة الحديث عن هذه الوظيفة ذكر ما يتخلل هذه الوجبات من مواعظ ، اذ يروى الوسيانى فى سيره ص 112 «وياخذ العزابة كل ليلة مسائـل يوردونها على الطعام ... » وذلك حتى لا ينسوا فضـل اللـه عليهـم .

2) العرفاء غير المنفردين :

ا – عريف اوقات الدراسة :

يكون واحدا او يكون اكثر ، وانما هو على قدر الاحتياج اليه ، وواجبهم لا يختلف كثيرا عن عمل القيمين الخارجيين فى معاهدنا .

مراقبة تحركات التلاميذ :

1 – ان ابطا احدهم (1)

2 – ان اشتغل بغير الدراسة (2)

فالخطة اى العقاب

3 – وان غاب عن الحضور لاجتماع قراءة المواعظ فالخطة اى يعاقب .

اوقات الدراسة الواجبة :

1 – الاستفتاح للتلاوة قبل الفجر (3)

---

(1) تسجيل تاخر التلاميذ عن وقت بـدء الدروس او الحفظ فـان لاحظ العريف تلميذا يعبث يعاقبه .

(2) اننا نعلم ان المدرسة هى بيت الله تجتمع فيه الحلق حول المعلميـن وقد تكون حلقة احدهم كبيرة فلا يتمكن من مراقبتهم ، او قد يسىء احدهـم الادب مع شيخه فعلى العريف ان يراقبهم من حيث لا يشعرون . وقد يستعين بهم المعلم حتى لا يشتغل عن الدرس بعقاب المنحرفين .

(3) انظر مهمة الشيخ الثالثة ص 82

2 ـ الاوقات المعينة للدروس الصباحية ، وهي من صلاة الصبح الى آخر الضحى وتتخللها استراحة قصيرة لتناول الفاكهة (1)

3 ـ مجلس الشيخ للاسئلة عند انتهاء الدروس الصباحية (2)

4 ـ الاوقات المعينة للدروس المسائية : « فيتقدم اصحاب الالواح بين الظهر والعصر » (3)

5 ـ تلاوة ما بين المغرب والعشاء : «وبين المغرب والعشاء ان ابطا او غاب ... فالخطة (4)

6 ـ حصص الوعظ في المسجد (5) وهي يوم الجمعة والخميس والاثنين او عند الضرورة .

وعلى هؤلاء العرفاء ان يهتموا بالتلاميذ في الحصتين الثانويتين الاختياريتين :

1 ـ ما بين العصر والمغرب

2 ـ قبيل النوم وقد تسند هذه لعريف النوم .

ان مهمة هؤلاء العرفاء هامة ايضا وان كثر عددهم يرجع امرهم الى واحد منهم يعينه شيخ العزابة .

---

(1) يكون هذا بحسب ما يعينه شيخ الحلقة

(2) انظر مهمة الشيخ الثانية ص

(3) الجواهر ص 213

(4) نفس المصدر ص 213

(5) انظر الجواهر ص 213

ب) العرفاء من حملة القرآن :

ان اسمى غاية في التعليم الاسلامي هي حفظ القرآن الكريم ، فلذلك اعتنى المسلمون بتحفيظه لابنائهم منذ الصغر فما هي الطريقة التي سلكها العزابة لاعانة التلميذ على حفظ كتاب الله ومراقبته حتى لا يتكاسل ؟

ان هذه المهمة لما لها من شان لا يعين لها العزابة عريفا واحدا وانما يعينون لها عددا وافرا حسب الامكان . واشترطوا في عريف القرآن عدة شروط :

1 ـ شروط عريف القرآن :

ـ يجب ان يكون متخلقا بجميع اخلاق العزابة .

ـ يجب ان يكون حافظا لكتاب الله حفظا جيدا (1)

ـ يجب ان يكون عارفا بقواعد اللغة (2)

بعد ذكر الشروط يجدر ان نشير الى ان عدد التلاميذ لا يجب ان يقل عن اثنين ولا يتجاوز العشرة بالنسبة لكل عريف (3)

وان كل من التحق بعريف ليس له الحق ان ينتقل لغيره الا باذنه (4)

---

(1) ان الالحاح على حفظ عريف القرآن واجب اذ عليه يقوم حفظ جماعة كاملة . الجواهر ص 212 ـ 213

(2) ان تصحيح الالواح يتطلب دراية بقواعد الرسم والنحو والصرف ليدلل للتلاميذ عندما يقعون في بعض الاخطاء .

(3) « والجماعة التي ترتبط بكل حافظ يكون اكثرهم عشرة واقلهم اثنين وهذا حسب الاختيار .. واما مع الضرورات وعدم (وجود) الرجال فلا حد لاكثرهم ولا لاقلهم » الجواهر ص 212

وتحديد هذا العدد دليل على حرص العزابة على تيسير الحفظ على التلاميذ واجبارهم . لكن الضرورة تزيل هذا الحد حتى لا تستفيد جماعة على حساب البقية .

(4) ان هذا الشرط مطابق لقواعد التربية اذ لو ترك الاختيار للتلميذ لا يستقر ، وهذا من شانه ان يحرمه من حفظ القرآن الكريم .

2) واجبات عرفاء القرآن :

– تعيين نقيب (1) يحفظ اصحابه ، ويستدعى العريف عند الاستعراض وتصحيح الالواح (2)

– استعراض ما حفظ فى الحصة السابقة (3)

– املاء الآيات عند الكتابة (4)

– تصحيح الالواح بعد الكتابة (5)

– استعراض ما حفظ فى ذلك اليوم (6)

– مراقبة حفظهم احيانا (7)

---

(1) انظر قسم المصطلحات ص

(2) يتحتم وجود هؤلاء المعينين عند الضرورة ومعونتهم ثانوية فى حالات الاختيار الا انها تكسبهم تجربة حسنة ، والنقيب بمثابة رئيس القسم يراقب التلاميذ عند غياب العريف

(3) «... اذا كان وقت الضحى .. يستدعى (النقيب) العريف ... فاذا حضر استاذنه .. فى حفظ ما كتب بالامس» الجواهر ص 212

ان هذا الحفظ يكون بعد شىء من المراجعة ويشمل جميع التلاميذ ولا يكون ذلك للصدقة لان عددهم قليل

(4) قد يكون التلاميذ فى مستوى واحد فيكون الاملاء ميسورا ، وقد يتفاوت مستواهم فعلى العريف ان يكون قوى الانتباه . ونجد من يستطيع ان يملى على ثلاثين تلميذا تختلف سورهم

(5) لهذا التصحيح هدفان : التثبت فى ما املاه ومراقبة اخطاء الرسم .

(6) لم نجد نصا يثبت هذا

(7) « عليه ان يختبرهم احيانا فى ما حفظوه ليعلم كنه اشغالهم ورغبتهم واجتهادهم فان وجد غلطا ركيكا :

فان كان لقلة فهم التلميذ وضيق باعه وعلم انه امر سماوى امره بالاعادة.

وان كان التلميذ ذكيا فهما وعلم ان ذلك لحب البطالة وترك الدراسة اجتهد فى تعزيزه . الجواهر 213

وان لم تحدد النصوص كم من مرة تكون هذه المراقبة فان العرف الجارى الى الآن فى الكتاتيب : مرة فى نهاية كل اسبوع مساء الاربعاء .

– مراقبة الغيابات (1)

– عقاب كل متهاون حسب قاعدة معينة (2)

– تبليغ الشيخ ما قد يحدث من مشاكل يوم الاجتماع وتبشيره بتقدم التلاميذ (3) . وبهذا يتمكن التلاميذ من حفظ كتاب الله تعالى كما ينبغى .

---

(1) « واذا تخلف احد بغير عذر حتى يحفظ اصحابه ويكتبوا سطرا او بعض سطور فالتاديب » الجواهر ص 213

(2) لقد ضبط العزابة نظام العقوبات وذلك دليل على مدى اعتنائهم بحفظ كتاب الله ومهما يكن من امر فان ذلك يرجع الى اجتهاد العريف

اذا توقف احدهم حين الحفظ :

فان كان مبتدئا اقيل له خمس عشرات

فان كان فوقه الا انه فى اول قلم (اول مرة) اقيل له ثلاث عشرات

وان كان فى الاعادة فعشرة واحدة فان زاد فعلى ما يجتهد العريف .

والمعروف الاشهر :

. اذا كان صغيرا فالزاوية والجلد

. واذا كان كبيرا فالخطة والطرد . الجواهر ص 213

(3) «.. ولذلك يسال الشيخ عن احوالهم حين التفحيص (كذا) يوم الاجماع فلا ينبغى له (عريف القرآن) ان يقول.. الا ما علم عن كل واحد منهم» الجواهر ص 213 .

وبهذا يتحتم على العريف ان يعتنى اعتناء كبيرا حتى يدقق ملاحظاته بحضرة الشيخ اذ يخشى على نفسه من العقاب عندما تقل ملاحظاته وهذا دافع خارجى الى جانب الحافز الباطنى اذ يعتبر عمله لوجه الله .

فقهاء المحاضر (1)

يحسن ان نبين شروط هؤلاء وواجباتهم قبل ان ننتقل الى الحديث عن المامورين ، وان لم يذكروا مع الآمرين فى طبقات الترجيني . وذلك لارتبـــاط وظيفتهم بمهمة عرفاء القرآن الكريم .

شروط فقهاء المحاضر

الى جانب الشروط التى يجب ان تتوفر فى كل عزابى — اذ هم من اعضاء الهيئه — يجب ان يكونوا :

1 — عارفين بعلم الخط

2 — قادرين على ضبط القراءة فصحاء اللسان (2)

وظيفة فقهاء المحاضر

1 — تعليم الخط وحروف الهجاء

2 — تصحيح الالواح

3 — تعليم بعض السور

4 — تاديب الصبيان (3)

---

(1) انظر قسم المصطلحات كلمة محضرة ص 319

(2) ان هؤلاء الفقهاء بتجربتهم يكونون للصغار بمثابة الآباء ، واشتراط فصاحة اللســان خاصــة اساسى — اذا علمنا ان الصغــار يتكلمــون البربرية فى منازلهم — حتى يلقنوا ذلاقة اللسان منذ الصغر .

(3) ويؤدبون الصبيان حسب ما توجبه الحالات :
واذا سب صبى زميله او ظلمه او رماه بالتراب او تغيب عــن الــدرس والعقاب يبدأ بالانذار واللوم ثم يضرب الصبى ضربات خفيفة على الكتافه لا تتجاوز السبعة ..... لائحة عزابة غاردابة ص 2

ان عدد هؤلاء ثلاثة وقد يعينهم بعض الغسالين فى اداء هذه الوظيفة اذا توفر فيهم هذان الشرطان (1)

ثم على فقهاء المحاضر ان يعلموا الشيخ بمن تاهل ان يرتقى الى صــف التلاميــذ .

ولهم وظيفة اخرى هى رفع الامية عن الكبار (2) اذا لزم الامر .

---

(1) لائحة عزابة غاردابة ص 2 س 25

(2) نفس المصدر ص 2 س 18

والمأمور ثلاثة :

1 ـ طلبة القرآن الكريم

2 ـ طلبة فنون العلم والادب

3 ـ العاجزون (1)

ان هذا يدفعنا الى تقسيم الدراسة الى مرحلتين

الاولى : لحفظ القرآن الكريم وبعض المبادىء

الثانية : دراسة بقية العلوم

المرحلة الاولى :

ان المرحلة الاولى تسبقها مرحلة تحضيرية ، هي تحت اشراف العزابة من قريب اذ يكون معلموها من اعضاء العزابة وهم فقهاء المحاضر (2)

وهي بمثابة الكتاتيب عندنا ، اذ يتمكن فيها التلميذ من تعلم الخط وحفظ بعض السور ، ثم يرتقي الى صف طلبة القرآن الكريم باذن شيخ الحلقة .

طلبـة القـرآن الكـريم :

يكون هؤلاء تحت اشراف عرفاء القرآن الكريم .

وهذه المرحلة هي بمثابة التعليم الابتدائي غير ان الاهتمام يركز على حفظ القرآن اكثر من بقية المواد .

---

(1) الجواهر ص 208 والحديث عنهم من 213 ـ 215

(2) انظر قسم المصطلحات ص 319

على هؤلاء ان يظهروا بزي خاص في المسجد ـ اي عند الدراسة ـ حتى يتميزوا عن غيرهم وهذا الزي هو «ان يشتملوا فلا يظهر من اجسادهم شيء» .

ويسندون الواحهم الى الاساطين ويقابلونها غير مستندين وقد ابيح لهم الاستناد في غير هذين الوقتين « ما بين الظهر والعصر وبعد العصر والافضل لهم ترك الاستناد » (1) .

ان في هذه الهيئة كلفة في الظاهر لكنها مناسبة لذلك العصر اذ تفرض على طالب القرآن ان يبقى دائما مستعدا لان الاستناد قد يؤدي الصغير الى النوم .

اوقات الدراسة

ان هؤلاء يقضون جل وقتهم في حفظ كتاب الله لا يتعرضون لغير شأنهم ـ هذا ـ الا ما قد عناهم من العبادات وفرائض الاسلام كالطهارة والصلاة والصيام وما اشبه ذلك والاخلاق (2)

ان مدة مواصلة الدراسة في هذه المرحلة مرتبطة بمدى قدرة التلميذ على الحفظ

فمنهم من يتمكن من استظهار القرآن من التاسعة من عمره ومنهم من لا يتمكن ولو بقي الى العشرين .

ولا بد لمن حفظ ان يستظهر القرآن على غير عريفه قد يكون امام المسجد، وقد يكون غيره يعينه العزابة لامتحان طلبة القرآن في آخر السنة الدراسية .

وهذا الحفظ يمكن طالب القرآن من ان يرتقي الى الدرجة الثانية فهو بمثابة مناظرة الدخول الى التعليم الثانوي

---

(1) الجواهر ص 213

(2) الجواهر ص 214 . كان ينبغي ان نضبط اسماء بعض الكتب المعتمدة لكن ارجينا هذا الى قسم تطبيق عزابة جربة هذا النظام ص 260

ويحسن ان نلاحظ هنا اننا لم نجد نصا يثبت تحفيظ الفتيات كتاب الله رغم وجود عالمات اباضيات ومجلس الغسالات فلسنا ندري كيف يصلن الى ذلك

والنظام المعمول به الآن في وادي ميزاب هو تخصيص حصص للفتيات في المدارس الخاضعة لنظام العزابة لتحفيظهن كتاب الله مع تعليمهن بعض المبادىء – حتى قراية سن البلوغ –

المرحلة الثانية

طلبة فنون العلم والادب (1)

قد ذكرنا ان من مهام الشيخ : «ادخال من تاهل من الطلبة في حزب التلاميذ» (2) .

فما هي الصلة بين قسم التلاميذ وطلبة فنون العلم والادب ؟

ان النصوص القديمة والحديثة تثبت ان كلمة التلاميذ تطلق على من دخل في الطريق سواء اكان طالب فنون العلم او مقتصرا على الصلاح فقط .

والدخول في الطريق – تفيد هنا الارتقاء الى الدرجة الثانية في التعليم – يستلزم حفظ القرآن الكريم وهؤلاء هم المتخرجون من قسم طلبة القرآن .

فبهذا تكون كلمة تلميذ اوسع مفهوما من طلبة فنون العلم والادب اذ تشتمل صنفا آخر هم العاجزون .

لكن وان كانت اوسع يمكن ان نطلقها على هذا الصنف وطلبة فنون العلم والادب، لانها تشملهم .

فما هي حقيقة قسم التلاميذ ؟ (3)

شروط الدخول :

الى جانب السيرة الحسنة وعمارة المساجد والمحافظة على دين الله لا بد ان يكون طالب العلم حافظا للقرآن (4)

---

(1) الجواهر ص 214 ـ 215
(2) انظر مهام الشيخ المهنة عدد 11
(3) انظر قسم المصطلحات ص 317
(4) قد تقوم بعض الضرورات تحتم دخول الاولاد في هذا القسم دون حفظ القرآن مثل قبول بعض الاباضية الذين اقل عندهم نظام العزابة .

كيفيـة الارتقـاء :

عندما يتبين عريف القرآن ان فلانا استظهر القرآن الكريم يعلم رئيس التلاميذ .

ثم يقع اعلام هيئة العزابة ويكون هذا في آخر السنة الدراسية

وعندما تاذن له هيئة العزابة :

ـ يعرض كتاب الله على امام المسجد

ـ يقيم اهله وليمة ايذانا بختم القرآن ، تجتمع فيها هيئة العزابة وهيئة التلاميذ .

وفي هذا الاجتماع يملون عليه عهدا اساسه الدعوة الى المحافظة على السيرة الحسنة والمثابرة فى طلب العلم (1) .

ويدخل الصف فى السنة المقبلة .

وتتفق النصوص على تقسيم هؤلاء الطلبة الى قسمين :

ـ اصحاب اللويحات ـ اصحاب الكتب

1 ـ اصحاب اللويحات : « فان اتفق ان يكونوا اصحاب لويحات ، صغار فى السن ، فينبغى لهم التاسى بطلبة القرآن فى ترك الاستناد » (2)

2 ـ اصحاب الكتب (3) : ان لهؤلاء امتيازات عن غيرهم لانهم اقتربوا من درجة النضج العقلى .

---

(1) كتاب الجزائر احمد توفيق المدنى ص 111 ـ 121

(2) الجواهر ص 214 « لم اعثر على تفاصيل فى هذا الشان ويبدو ان هؤلاء الصغار تملى عليهم بعض المتون التعليمية اما فى التوحيد او الطهارات او الصلاة ... فيتامرون على حفظها قبل دراسة الكتب

(3) الجواهر ص 214

أ ـ شانهم الاستناد فى اركان المسجد والابواب والاساطين وحيث استحسنوا (1)

ب ـ لهم ان يجتمعوا للبحث والمناظرة ما لم يفض بهم ذلك الى توفير الصدور ، ويكون هذا دابهم (2)

ج ـ لابد ان يكون لهم وقت معتاد للحضور على الاساتذة .

د ـ ثم اذا كانت ختمة القرآن وحضر الشيخ فان هناك طرقا (للسؤال) كلها حميدة فما هى ؟

طرق طرح السـؤال

ان التلاميذ مخيرون بين ثلاث طرق وهى :

ـ اما ان يتداولوا وضع السؤال يوما يوما ، فمن افضت اليه النوبة سال.

واما ان يسال افصحهم لسانا واكثرهم بيانا .

---

(1) ان لهؤلاء الحرية فى ضبط مكان مراجعاتهم وهذا بالنسبة للمطالعات الفردية اذ لا بد من توسيع الثقافة بهذه الطريقة بعد حضور دروس الشيخ ، وتكون هذه الحصص تحت رقابة عرفاء الدراسة .

(2) ان هذه الاجتماعات الخاصة تعينها هيئة التلاميذ ، قد تكون فى المسجد ، وقد تكون فى دار خاصة بجوار المسجد تسمى دار التلاميذ ، تكون بها مكتبة خاصة بهم تكون شاملة لشتى المصادر فى مختلف العلوم ـ وقد اطلعنا على كثير من دور التلاميذ فى وادى ميزاب جويلية 1971 جمادى الاولى 1391.

وهناك يمكن ان يستعينوا ببعض شيوخهم ليديروا بينهم النقاش .

كما يمكن لهم استقبال الضيوف وما الى ذلك من النشاط الذى يعود عليهم بالنفع مثل تنظيم بعض الرحلات .

وهذه الدار خاصة بهم لا يدخلها احد الا باذنهم ما عدا العزابة ليتفقدوا نشاطهم على حين غفلة ويتبينوا مدى اتباعهم السيرة الحسنة ـ انظر الاباضية فى موكب التاريخ الحلقة 2 القسم 2 ص 146 .

ـ واما ان يسأل اكثرهم اجتهادا (1) .

وبعد ان يطرح السؤال تختلف طريقة الجواب .

ـ فان كان الجمع ـ عاما ـ يعيد السؤال من على يمين الشيخ ومن يليه فقط للتخفيف والاختصار .

ـ وان كانوا اماثل يحيل كل مسؤول على يمينه حتى يعـود السؤال الى الشيخ (2) .

فان علم (الشيخ) ان في المجلس من هو اعلم منه في تلك المسالة اذن لـه في الكلام فان ابى تكلم وحده (3) .

واجبـات كـل سـائل

1 ـ ان ينبه الشيخ اذا غفل .

2 ـ يذكره اذا نسي .

3 ـ يفتتح له اذا استراح .

---

(1) يبدو ان اختيار احدى هـذه الطرق يتفـق عليها التلاميـذ والشيـخ مسبقا ، وهذا من شانه ان يدفع كل تلميذ في ان يفكر في اسئلته مسبقا فـلا يرتجلها عفوا .

(2) ان الدروس تكون عامة يوم الخميس والجمعة والاثنين ، وتكون خاصة في بقية ايام الاسبوع ، قد يحضرها بعض العوام غير ان نسبتهم قليلة .

فان كان عاما وجب ان يعاد السؤال مرتين فقط «ويكره ايراد ما يستبشع من المسائل الشواذ» الجواهر ص 215 .

وان كانت خاصة بطرح السؤال : قد يتطوع احدهم بالاجابة وفي هـذا تعويد لهم على تحمل المسؤولية ، وبذلك يشارك كل تلميذ بما عنده ، ويرجع الامر الى الشيخ المدرس .

(3) هذا يدل على التواضع ، ويكون غالبا عند حضور بعض الضيوف من علماء الاباضية ، وفي تقديم العلماء ابا عبد الله في مواطن عديدة دليل على ذلك

4 ـ يطلب توضيحا اذا احتاج الى زيادة ايضاح ، وعلـم مـن الحاضرين استزادة كشف (1) .

ثم تتوالى الاسئلة الى ان يعلن الشيخ انتهاء الحصة ، ومن اضطر للقيام يستأذن من يليه فان اذن له قام ، وان لم يأذن له اقام (2) .

انتهـاء المجلس

اذا هم الشيخ بالقيام ركع وركع اصحابه ركعتي الضحى ، وشيعوه تكرمة له وتأنسا به ، وان ثقل عليه ذلك تركوه . (3)

---

(1) الجـواهر ص 214 وفي هـذا بعث لانتباه التـلاميـذ وتعويـد لهـم على النقد النزيه .

(2) ان المراد من هذه الطريقة عدم اضجار الشيخ اثناء الدرس .

(3) الجواهر ص 215 .

اوقات الراحة

لقد بينا اوقات الجد والعمل ، ولاحظنا انها تاخذ نصيبيا وافرا من اوقات التلاميذ فلو تواصل هذا باستمرار لارهق التلاميذ ، فلابد حينئذ من الراحة .

والبرادى يفصل الحديث عنها . واذا علمنا ان العزابة يشرفون على كل ما يجرى فى المدينة فلا بد ان تكون لهم رعاية التلاميذ بعد الدروس .

الراحة اليومية :

آخر النهار (1)

وقت اكل المعاش (الخارجيون) : من آخر الضحى الى الظهر ، وبعد صلاة العشاء .

اوقات التاهب للصلاة .

اوقات صلاة النوافل ليلا ونهارا . (2)

---

(1) ان التلميذ يكون حرا بعد صلاة العصر ليستعيد نشاطه لتلاوة الليل ، ومن اراد ان يراجع دروسه فلا يجبر على الراحة .

(2) يقول البرادى :

وهى خمس تسليمات بالليل .

ومثلها بالضحى .

وان زدت فلك وان انقصت فلا اثم عليك .

فى هذه الاوقات تجد التلاميذ يقتدون بشيخ الحلقة واهلها ومعلميهم دقبلون على النوافل اقبالا غريبا .

الراحة الاسبوعية (العطلة) :

يوم الخميس (1)

يوم الجمعة .

العطل الرسمية

كل ايام المواسم الدينية :

– راس السنة الهجرية

– عاشوراء

– المولد النبوى الشريف

– الاسراء والمعراج

– عرفة

– يوم العيد

العطلة السنوية :

شهر رمضان المعظم ؟ (2)

---

(1) يوم الخميس والجمعة يعطل العمل ، غير انه يتحتم على التلاميذ الحضور لموعظة الشيخ ، وتكون عادة مرتبطة بصلاة الفريضة التى لا يمكن ان يتخلف عنها التلاميذ ، بقيت مسالة اهملها البرادى وهى غسل الملابس .

فهل تعين للتلاميذ امراة تقوم بهذا العمل ؟ كلا ان على التلاميذ ان يعتمدوا فى ذلك على انفسهم ، فيكون ذلك غالبا يوم الخميس حتى يقبل عليهم يوم الجمعة وهم على غاية من النظافة .

اما الاستحمام فيكون فى ميضاة المسجد حيث يوفر لهم الماء الحار والبارد سواء فى الصيف او فى الشتاء ، وهم احرار لارتياد الحمامات يوم العطلة الاسبوعية

(2) لم اجد وثيقة فى هذا فاعتمدت على العرف الجارى .

المواضع التى يجب ان يرتادها التلاميذ (وقت الراحة)

المواضع التى لا ينكر التصرف اليها :

كمواضع المياه

ومواضع الاشجار .

وامثالها من الاماكن .

كل هذه الاماكن تنفسح فيها النفوس .

المواضع التى يجب اجتنابها :

اجتناب الاماكن التى يكثر فيها مرور النساء .

الابتعاد عن مواطن الخساسات (وهذا بالنسبة للمدن الكبرى)

يكره الاكثار من التصرف فى الطرقات والاسواق فان دعت ضرورة فليكن من طريق نافذة ووقت لا ريبة فيه . (2)

---

(2) الجواهر صفحة 216

العاجزون

نـوعهـم :

فمنهم الطرد والعميان والزمناء والهرمون وذوو الافهام القاصرة (1) .

واجبات قاصرى الفهم :

أ ـ شانهم اصغاء الاسماع ليحصلوا الفوائد والاخلاق الحميدة ، ويظهرون التلهف والاشتياق .

ب ـ عليهم حفظ السير والمحافظة على الاوقات وان اجهدوا انفسهم ظفروا ببعض المراد (2) .

واما القاصرون :

فمنهم القانط التارك الملوم .

ومنهم من الياس عندهم معلوم .

واما الزمناء والعميان ـ قاصرو الفهم ـ فقد نطق بعذرهم القرآن .

---

(1) الجواهر ص 214 ـ 215

(2) اراد الشيخ ابو عبد الله ان يرعى هؤلاء العجز لان عجزهم طبيعى حتى لا يكونوا عناصر فاسدة فى المجتمع عندما يطردون بسرعة .

(2) عليهم خاصة ان يحسنوا اخلاقهم حتى ينتخبوا عرفاء للطعام «فينفعهم الله بخدمة اهل الخير ويوفيهم اجورهم» .

خاتمة القسم النظري

هذه حلقة العزابة كما اسسها الشيخ ابو عبد الله محمد بن بكر في العقد الاول من القرن الخامس هـ : الحادي عشر م وقد اهتم بتطبيق قواعدها بنفسه، ثم ورث تلاميذه هذا النظام **وتوارثته اجيال الاباضية الى يومنا هذا** .

وبفضل اشرافها على كل حاجيات المجتمع الاباضي كبيرها وصغيرها ، وعلى نظم التعليم ، استطاعت الاقلية الاباضية ان تعيش محافظة على كيانها ، متصدية لجميع انواع المناكر خاصة في وادي ميزاب حيث صمدت امام كيد الاستعمار ، وفرضت عليه كثيرا من الامتيازات .

وانحلالها بجبل نفوسة وبجربة ادى الى انحلال الاوساط الاباضية وتفسخ كثير من ابنائهم .

وهكذا تتبين ان نظام العزابة هو محرك المجتمع الاباضي في فترة الكتمان.

فكيف طبق في جربة منذ قيامه بها الى انخرامه ؟

الفصل الرابع

تطبيق نظام العزابة في جربة

من منتصف القرن الخامس الهجري
الحادي عشر مسيحي إلى آخر القرن
الثاني عشر الهجري : الثامن عشر مسيحي

ابو مسور

قد اثبتنا فى المدخل التاريخى دخول الاباضية جزيرة جربة وسنحاول فى هذا الفصل تتبع تطبيق نظام العزابة **الوهبية** (1) بها منذ نشاته الى انخرامه فمن هو داعى **الوهبية** الاول بجربة ؟

تتفق كل المصادر انه **ابو مسور اليهراسنى** فماذا تذكر عنه هذه النصوص ؟

اسمه : **يسجا** بفتح فسكون ففتح فسكون ومد .

كنيته : ابو مسور (2)

والده : يوجين برفع ومد فكسر ومد فسكون .

قبيلته :

يرجع الى قبيلة بنى يهراسن بفتح فسكون ففتح ومد ففتح فسكون حسب ابى زكرياء (3) وابى عمار عبد الكافى «4» اما بقية النصوص فبحذف الهاء (5) .

يبدو انها قبيلة بربرية كانت تعيش بين الجنوب الشرقى التونسى والجنوب الغربى الليبى (6)

---

(1) **الوهبية** : هم اتباع عبد الوهاب بن رستم امام الرستميين الثانى ، ناصروه عندما انشق عليه يزيد بن فندين سنة توليته 171 هـ : 787 ـ 788 م وكل من بقى من الاباضية بشمال افريقيا وهبية .

(2) تسكت المصادر عن سبب هذه التكنية الا انها تذكر بلفظة امزوار البربرية ومعناها : الاول

(3) كتاب السيرة ج 1 ص 158 .

(4) طبقات ابى عمار عبد الكافى ص 6

(5) سير الوسيانى ص 12 الطبقات ج 2 ص 119 سير الشماخى ص345

(6) لم تعرف المصادر هذه القبيلة .

يضعه ابو عمار عبد الكافي ممن اشتملت عليهم الخمسون الاولى من المائة الرابعة وتبعه في ذلك كل المؤرخين (1) .

فتكون حياته بين النصف الثاني من القرن الثالث هـ : التاسع م والنصف الاول من القرن الرابع هـ : العاشر م (2) .

الوضع السياسي في شمال افريقيا :

ان هذا التاريخ التقريبي يمكننا من ان نثبت ان ابا مسور عاش فترة حرجة من تاريخ الاباضية بشمال افريقيا اذ ادرك انحلال الدولة الرستمية سنة 296 هـ : 909 م. ووجد الشيعة في محاربة جميع المذاهب الاسلامية .

وهذا من شانه ان يغرس في نفسه حب امرين :

اما الجهاد بالسيف او باللسان وقد اختار ابو مسور الطريق الثاني .

وهذا من شانه ان يغرس في نفسه حب احد آمرين

هذا ابو مسور وهذه الحالة السياسية بشمال افريقيا فما هي مراحل حياة الرجل ؟

---

(1) طبقات ابي عمار ص 6

(2) مؤنس الاحبة في اخبار جربة : خلط المرزوقي في تعليقه ص 90 بين ابي مسور هذا وابي مسور يصليتن النفوسي .

نشـــاة ابى مســـور

ابو مسور في جبل نفوسة :

ان اول ما تذكر المصادر تعلمه بجبل نفوسة (1) ولا شك ان والده فضلها على جربة لان اهلها **نكار** (2) آنذاك ، وجبل نفوسة منبع علم الاباضية .

ونرجح انه تعلم به قبل واقعة مانو 283 هـ : 896 ـ 897 م اذ درس على عالمين هما غير العالمين اللذين اقاما العلم بالجبل بعد هذه الواقعة وهما : اي شيخيه

ابو زكرياء يحيى بن يونس السدراتي (3)

ابو معروف ويدران بن جواد (4) .

---

(1) كتاب السيرة ج 1 ص 158

(2) هم الجماعة التي ثارت مع يزيد بن فندين سنة 171 هـ : 787 م وانكرت امامة عبد الوهاب بن رستم : انظر كتاب السيرة ج 1 من 39 ـ 49 الطبقات من 32 ـ 39 ، سير الشماخي 146 ـ 151 ويعرفهم الشماخي في السير ص 280 : « **النكار** هم فرقة من الاباضية اتبعوا في الكلام عبد الله بن يزيد (الفزاري) ، وياخذون في الفقه بقول ابن عبد العزيز وابي المؤرج .. وخلافهم انكار امامة عبد الوهاب » .

(3) الطبقات ج 2 ص 103 يعده من الطبقة الخامسة النصف الاول من القرن الثالث هـ : التاسع م .

(4) يعتبره ابو عمار من علماء النصف الثاني من القرن الثالث هـ : القرن التاسع م ص 6 .

وقد كان مقبلا على تلقى العلوم مجتهدا فى ذلك (1) ولم يمنه فقره عن هذا الجد وكان يكتفى بالقليل من الطعام الى ان تفطن شيخه ابو معروف لفقره فامر من اهل نفوسة من يتكفل بمؤونته (2) .

والى جانب هذا الاجتهاد لقد حافظ على السيرة الفاضلة قولا وعملا اذ تجاسر على اخراج شيخه ابى معروف الى **الخطة** لانه لم يظهر مرة فى زى محترم (3) .

زيارته جزيرة جربة :

وصادف ان قحطت بلاد نفوسة فى تلك الفترة فاضطر الاباضية الى لاستعانة باهل الدعوة فى اماكن اخرى .

واتفقوا على ارسال ابى مسور الى جزيرة جربة اذ بلغهم خبر رخص الطعام بها .

فقام ابو مسور – وكان اذ ذاك شابا حدث السن – (4) بهذه المهمة فاتصل ببعض اغنيائها وطلب اعانتهم ، واثر رجوعه اقبل كثير من اهل نفوسة على جربة فاكرمهم اهلها (5) .

---

(1) كتاب السيرة ج 1 ص 158

(2) كتاب السيرة ج 1 ص 158

(3) الطبقات ج 2 ص 110 انظر شرح كلمة الخطة قسم المصطلحات ص 318

(4) كتاب السيرة ج 1 ص 120 سطر 7

(5) نفس المصدر ص 119 ص 120

زواجه بجبل نفوسة واستعداده للرحيل :

ولما راى النفوسيون حسن سيرته زوجوه نفوسية انجبت له هناك ابنه **فصيل** (1) .

ولما اكتملت ثقافته واراد المسير الى اهله واجتهد فى نسخ الكتب (2) ليستعين بها فى مستقبل حياته ، وهذا دليل على ما فى نفس الشاب من طموح

وتسكت المصادر عن نشاطه فى اهله عندما رجع اليهم ، وتنتقل بسرعة للحديث عن نشاطه بجزيرة **جربة** التى اختارها لتكون موطنا لدعوته ، ولعل هذا الاختيار ناتج عن معرفته السابقة لها ، ولعله وجد فى اهلها بعض الاستعداد فى تلك الزيارة .

ابو مسور فى جربة

حالة جربة السياسية والاجتماعية :

ان جربة فى مثل هذه الفترات الانتقالية فى تاريخ بلاد المغرب تكون ملجا لكثير من المغلوبين لمناعتها بالبحر ، وسياوى اليها خاصة الاباضية من كثير من المواطن ، سواء من جبل نفوسة او بلاد الجريد وغيرها .

فرق الاباضية بها :

لقد اجتمعت بها ثلاث اتجاهات اباضية :

1 ـ الخلفية : (3)

---

(1) انظر ترجمته فى ما يلى ص 177 كتاب السيرة ج 1 ص 159 . الطبقات ج 1 ص 125 .

(2) كتاب السيرة ج 1 ص 150

(3) **الخلفية** : هم اتباع خلف بن السمح ابن ابى الخطاب عبد الاعلى : عين خلف هذا واليا على حيز طرابلس دون ترقب امر الامام عبد الوهاب ، فامر هذا بعزله ، فشق عليه عصا الطاعة مع جماعة فحاربهم والى الامام وهو ابو عبيدة الى ان شردهم زمن الامام افلح فى 13 رجب سنة 221 هـ : 837 م كتاب السيرة ج 1 ص 62 ، الطبقات ج 1 ص 48 .

L'ORGANISATION DES AZZABA CHEZ LES IBADHITES WAHBITES DE JERBA

Malgré les recherches de nombreux savants, l'histoire des Ibadhites reste encore imparfaitement connue. Cela est dû à plusieurs causes dont la principale est la rareté des manuscrits publiés. Un grand nombre d'entre eux se trouve à Jerba, ce qui m'a permis de découvrir des renseignements encore inconnus. Une telle donnée m'a encouragé à préparer une étude sous le titre "*l'organisation des Azzaba chez les Ibadhites Wahbites de Jerba*". Elle a été présentée à la Faculté des Lettres de Tunis, sous la direction de M. le professeur M. Talbi, sous forme d'un mémoire en langue arabe, mémoire que je résume ci-après.

Pour cette recherche, j'ai eu recours à différentes sources de documentation :

I En Tunisie

(1) *A Jerba*, j'ai d'abord rassemblé toutes les données qui se rapportent à notre étude. J'ai pu consulter trois sources principales :

(a) *L'Epitre d'Al-Hilâti*

(voir le premier supplément)

(b) Le registre des *jugements* des Azzaba entre le IIème et le 13ème siècle de l'hégire, (voir chaiptre 4 : Histoire de l'organisation des *Azzaba* à Jerba)

(c) *Kitab at-Tuhaf* de Abu ar-Rabi Sulayman ibn Yakhlaf al-Mazâti, traitant les principales thèses du dogme ibadhite (ousoûl ad-dîn), ce qui aide à définir le principe d'al-Walaya *wal-Bara'a*.

(2) En second lieu, j'ai longuement visité les principales mosquées où se réunissaient les Azzaba pendant diverses époques.

(3) J'ai enfin contacté les différents cheikhs de Jerba, parmi lesquels le cheikh *Salem ben Yakoub* qui est un des spécialistes en la matière.

II Au Mzab

Au Mzab, où l'organisation des Azzaba existe jusqu'à nos jours, j'ai pu compléter les renseignements fournis par certains manuscrits de Jerba, en entrant en contact avec les cheikhs ibadhites (par exemple cheikh Bayyoud Ibrahim, cheikh de la *Halqa* de Guerara et du Mzab; cheikh Aboul Yaqdhane Ibrahim, historien) ce qui m'a permis de comprendre certains détails concernant le fonctionnement de la *Halqa*. J'ai pu également, à cette occasion, juger de près l'efficacité de l'organisation des *Azzaba* dans la société ibadhite.

III En Libye

Pour Noufousa, en Libye, je me suis contenté de m'adresser à M.A.K. Ennami qui prépare une thèse de doctorat à Cambridge sur l'évolution de la pensée ibadhite à travers l'histoire. Il m'a donné plusieurs renseignements importants. J'ai aussi étudié les œuvres du cheikh *Ali Yahya Maammer*, notamment ses recherches sur les Ibadhites, ouvrage en deux tomes : l'un sur les Ibadhites en Libye, l'autre sur les Ibadhites en Tunisie.

L'ouvrage qu'on lira ci-après se présente comme suit :

ونجمهم في افول خاصة اثر اعتقال ابي منصور والي جبل نفوسة قائدهم ولد خلف (1) **بجربة** .

واذا علمنا ان ولد خلف هذا اصبح وهبيا في ما بعد تتبين انهم بقوا بدون قيادة ، وامة بدون رئيس يدب اليها التلاشي بسرعة ، وهذا ما وقع **للخلفية** بجربة .

2 ـ النكار : (2)

ان مبدا هؤلاء لا يبعد كثيرا عن مبدا الخلفية ، ذلك ان هؤلاء انكروا امامة عبد الوهاب الرستمي والآخرين رفضوا قرارا من قراراته

فلذلك ما ان شعر النكار بضعف الخلفية حتى اجتهدوا في نشر مبادئهم وها هو امامهم خلف بن احمد يسعى بكل ما اوتي من قوة ان يكتسب انصارا لدعوته ، وتثبت المصادر انه « **كان ذا مال كثير يمضي باحمال الدقيق يطعم الناس لكي يرجعوا الى مذهبه**» (3) .

3 ـ الوهبية : (4)

ان هؤلاء كانوا اقلية ، مما ادى النكار ان يسخروا من ابي مسور في مجالسهم «**بقولهم غريب غريب**» (5) .

وقد كانت هذه الفرق تتعايش خاصة في المجالس العلمية ، لان الفروق بينهما في حقيقة الامر سياسية وليست مذهبية عقائدية .

وحضور ابي مسور في جمع وافر من اهل الجزيرة حضره وهبيتها ونكارها دليل على ذلك (6) .

---

(1) كتاب السيرة ج 1 ص 74 و 84 .
(2) انظر ما سبق
(3) كتاب السيرة ج 1 ص 158 .
(4) انظر ما سبق
(5) الوسياني ص 12 الطبقات ج 2 ص 119
(6) الوسياني ص 12 الطبقات ج 2 ص 119 سير الشماخي ص 345

ولا شك ان ابا مسور فكر في هذا الوضع ، وعزم على تبليغ مبادئ الوهبية لنصرة هذه الاقلية في الجزيرة .

نشاطه بجربة :

لا شك انه حال وصوله اتصل بمن يعرفهم من وهبيتها ، وظل يحثهم خاصة على حضور المجالس العلمية .

وكان يغتنم فرص الاجتماعات العامة ، فيقف واعظا ويقول الوسياني في هذا الشان : «ان عادة اهل الجزيرة آنذاك اذا احتفلوا كان محفلهم واحدا وهبيتهم ونكارهم» (1)

«وكان يتغافل ـ في مثل هذه المجالس ـ عن سخرية النكار وينزه سمعه من ان يصغي اليهم وينزه لسانه عن اجابتهم» (2) .

واستمر على هذه الحال فترة من الزمن صابرا في سبيل نشر مبدئه الى ان يبلغ الخبر وهبيةبادية **زواغة** وجبل نفوسة وجبل **دمر** وهم يعلمون درجة ابي مسور العلمية ، ويعرفون حقيقة ما ذهب من اجله ، فارسل كل منهم رسولا يؤكد لابي مسور تاييد كل جماعة اياه ، وانهم جميعا رهن ارادته (4) .

---

(1) نفس المصادر السابقة
(2) الطبقات ج 2 ص 199
(4) سير الوسياني ص 12 ، الطبقات ج 2 ص 119 ـ 120 ، سير الشماخي ص 345 .
وتتفق هذه المصادر ان الرسل وصلوا صدفة واحدا اثر واحد « ولم يفرغ من قراءة كتاب الا واذا بكتاب آخر » وفي هذه الصدفة شيء من الغرابة تدفعنا الى التفكير في اتفاق اهل هذه المواطن وقول الوسياني « وكانهم تواعدوا » يوافق ذلك . والتشابه بين نص الرسائل قد يدعم هذا الافتراض .
وهؤلاء الناس من اصحاب ابي مسور اذ تعلم بنفوسة ، وله بجبال دمر بعض زملاء الدراسة .
زواغة : برفع الزاي : مدينة تقع غربي طرابلس بنحو خمسين كيلومترا على شاطئ البحر ، ويطلق عليها اليوم اسم صبراتة ، واليها كان يرجع اكثر السكان البداة في السهل المنبسط بين البحر والجبل : الاباضية في موكب التاريخ الحلقة 2 القسم 2 ص 149 الى 165 .

وهذا نص احدى الرسائل وهى متشابهة : « ياشيخ بلغنا ان النكار يتحركون ويأتمرون عليك ، ويلوكون امرك ، فان صح هذا فاخبرنا نصرخك بعسكر يكون أوله عندك وآخره عندنا » (1) .

وكان ابو مسور يقرر اثر قراءة كل رسالة ان لا علم له بذلك وانفض المجلس الذى وردت فيه الرسائل ، وفى نفس كل من حضر اثر (2) .

ازدهار دعوة الوهبية بجربة :

لقد كان لهذا التاييد اثر عظيم فى نفوس النكار ، فانتقلوا من السخرية والاحتقار الى الاحترام العظيم .

وكل جماعة تتبع قائدها ، وتقلده فى مواقفه فما هى مواقف خلف بن احمد امام النكار من ابى مسور ؟

لقد تبين خلف منزلة ابن اخته العلمية والاجتماعية ، وكان ابو مسور يحترم خلف ويزوره فى منزله لما بينهما من قرابة ، ويحضر كذلك مجالسه العلمية ، وشان العلماء اذا تبينوا حقيقة بعضهم يسود بينهم الاحترام .

ثم انه اصبح يخشى جانبه بعد ان تبين ما له من انصار ، فلو عارضه لتقاتل الاخوة ـ **الوهبية والنكار** ـ من اجل متاع الدنيا فلذلك رأى من الصالح ان يؤيده ويلين معه .

ومن ذلك ان ابا مسور «اختلف والنكار فى غياب خلف عن جربة فلما قدم ساله اصحابه واعلموه براى ابى مسور فصوب رايه وخطاهم (3) .

دمر : سلسلة جبلية فى الجنوب الليبى والتونسى يمتد من جنوب طرابلس الى جنوب قابس ويطلق الاسم خاصة على الجهة الغربية ، انظر لترنو تعليق رقم 66 على كتاب السيرة المجلة الافريقية 1960 . وتقابل جهة بنى خداش الآن وما زالت بعض الاسر تحمل هذا الاسم .

(1) سير الشماخى ص 345 .

(2) ان ابداء هذه الملاحظة يحتمل تاويلين : (1) ان ابا مسور اراد ان يبرر موقفه ويثبت انه لم يؤلب عليهم الجماعة ـ (2) انه يريد ادخال الرعب فى قلوبهم .

(3) الطبقات ج 2 ص 120 ، سير الشماخى ص 346 .

ومما يؤكد التاييد الكامل ما يردده خلف هذا بعد الواقعة فى كل مجالسه :

« **ابو مسور ابن اختى امامنا اجمعين لحمى ودمى** » (1) .

هكذا احترم اهل جربة ابا مسور فتعزز جانب الوهبية به وكثر اتباعهم ، ولكلمة خلف عن ابى مسور «امامنا» وفى نص آخر «رئيس الكل» (2) اثرها الفعال فى نفوس اتباعه .

وبهذا استطاع خلف مع ابى مسور ان يقضى على بقايا الخلفية «**فلم يبق على مذهب خلف بن السمح احد**» (3) .

---

(1) الوسيانى ص 12 ، الطبقات ج 2 ص 120 ، سير الشماخى ص 345 مع اختلاف فى التعبير .

(2) الطبقات ج 2 ص 120 .

(3) كتاب السيرة ج 1 ص 158 ، الطبقات ج 1 ص 215 .

تحديد القسم الذى سيطر عليه ابو مسور

لا وجود لنصوص تثبت حدود رقعة الوهبية والنكار ، غير ان متتبع هندسة المساجد (1) يمكن ان يضع حدودا تقريبية بين الطرفين :

« يمر الحد الفاصل بينهما من الشمال الشرقى الى الجنوب الغربى من الجزيرة .

فهو يبتدىء شمالا بين مسجدى الهوارى ومدراجن بحومة مزراية ، وينتهى بالنسبة لحومة صدغيان الى جنوب جامع بوليمان .

ثم ياخذ الحد الى الغرب من مدرسة صدغيان مغربا يمر على حدود مساكن حومة والغ اليوم ، ثم ياخذ طريقه على مسجد قوجيل بحومة بنى ديس (بنى ديغت) ، ثم يغرب الى جنوب الحارة الصغيرة

ثم ياخذ الى القبلة غربى حومة الماى ، ثم ينعطف شرقا الى غربى جامع الشهود ، ويشق حومة سدويكش الى ان ينتهى الى شمال ورسيغن الى ان يصل الى شمال جامع سيدى ياتى ، وحومة رباتة داخلة فى قسم الوهبية لان الشيخ عيسى الربانى تلميذ ابى مسور (وبربانة مسجد باسمه جدى عيسى) .
واما اراضى ملينة فانها كانت غير مسكونة ...

---

(1) انظر التوطئة .

واما الجهة الشرقية الجنوبية فانها مواطن النكار » (1) .

هكذا استطاع ابو مسور بفضل ما اوتى من قدرة ان يكون حوله جيلا عاملا يساعده فى جميع المواقف .

---

(1) انظر الخريطة آخر البحث .

قد نقلت هذا النص عن الشيخ **سالم بن يعقوب** مؤرخ جربة اليوم ولد بحومة غيزن فى طالع هذا القرن م ، تعاطى التجارة اول الامر ثم درس بجامع الباسى – حومة والغ – بجربة على الشيخ عمر بن مرزوق من كبار المصلحين بها متوفى 4 جمادى الاولى 1381 هـ : 13 ديسمبر 1961 م . ثم واصل تعلمه بجامع الزيتونة فاتصل بما يطيب له من حلقات اذ لم يسجل اسمه فى دفاتر الجامع وكان آنذاك يتلقى دروسا خاصة على الشيخ محمد بن صالح الثمينى شيخ الاباضية بتونس توفى فى 1391 هـ : 1971 م.

وبقى بتونس ثلاث سنوات من 1348 هـ ـ 1351 هـ : 1929 ـ 1933 م . ثم انتقل الى مصر حيث بقى خمس سنوات 1351 ـ 1357 هـ : 1933ـ1938م. يتنقل بين حلق جامع الازهر ، ويتلقى دروسا خاصة عند الشيخ ابى اسحاق ابراهيم اطفيش توفى 1386 هـ : 1963 م . وعكف هناك على مكتبة الاباضية بوكالة الجاموس بحى طولون بالقاهرة ، فنسخ من مخطوطاتها ، نصيبا وافرا كما نسخ عدة نصوص من المكتبة الوطنية بالقاهرة .

ثم رجع الى جزيرة جربة فعكف على التدريس فى شتى المساجد ، وتمكن من جمع كثير من المخطوطات التى لا يعرف لها كثير من الناس قيمة .

وزائر مكتبته الآن بغيزن يتبين انها جامعة من كل شىء بطرف ، خاصة فى باب التاريخ والاسلاميات وكل ما له صلة بالاباضية .

وما زال على قيد الحياة عازما على الكتابة فى تاريخ جربة من اقدم العصور الى اليوم والمادة متوفرة عنده الا انه لم ينسقها الى الآن .

فاصبح مرجع الفتوى (1) يستنصحه القوم (2) في شؤونهم فيجلون رايه ويعملون بـه (3) .

كما انه كان في جل المواقف يبين لاتباعه بالقول والعمل حقيقة الدين والدنيا اذ يقول : « انما الدين بالورع والحرج ، والدنيا بالسياسة والتلطف والرجل بالعقل (4) .

وقد مات له ولد ، فاغتنم الفرصة ليبين لهم حقيقة الصبر : «ما لم يصح ويدع بالويل والثبور لان البكاء قد يكون بالرافة والرحمة ورقة النفس» (5) .

وبذلك ذاع صيته ، واقبلت على الجزيرة وفود الاباضية من عدة جهات للنظر في عدة مسائل ، ومن بينها وفد افريقية الـذي تنـاقش مـع ابي مسور في مسالة من مسائل الطهارات (6) .

رغبته في نشر العلم وتاسيس الجامع الكبير

لقد التف حول ابي مسور كثير من التلامذة يتتبعون دروسه ، ويذكر الوسياني انه كان يكرمهم ويمرح معهم في بعض الحالات .

« وضع ابو مسور اليواسني طعاما بين يدي العزاب (اي التلاميذ) بعد ان غسلوا (ايديهم) وخرج ولم يقل لهم كلوا فامسكوا عن الاكل حتى دخل عليهم بعد وقت فوجد ايديهم مرسلة فقال : «مالكم لم تاكلوا ؟ اخشيتم ان اغرمكم كلوا وان شئنا غرمناكم» (7) .

---

(1) سير الوسياني ص 13 و 21 ، الطبقات ج 2 ص 120 .
(2) الوسياني ص 13 ، الطبقات ج 2 ص 120 ما يقرا عند المحتضر .
(3) سير الوسياني ص 13 :من نصائحه لاحد تلاميذه .
(4) كتاب السيرة ج 2 ص 56 .
(5) سير الوسياني ص 13 ، الطبقات ج 2 ص 102 .
(6) سير الوسياني ص 25 و 26 ، الطبقات ج 2 ص 130 .
(7) سير الوسياني ص 63 ، الطبقات ج 2 ص 120 ، سير الشماخي ص 346

واشهر تلاميـذه :

1 ـ ابنه فصيل
2 ـ ابو محمد ويسلان ابن ابي صالح اليهراسني
3 ـ ابو محمد عبد الله من مانوح اللمائي (1)

ولما شعر بتزايد عدد التلامذة اسس لهم مـاوى يجمع شملهم ويكون مدرستهم «فشرع في بناء الجامع الكبير» فكان خاتمة اعماله اذ توفاه الله قبل ان يتمه (2) .

وفاة ابي مسور

تسكت المصادر عن تاريخ وفاة الشيخ ابي مسور ، ولعلنا نرجح انها تكون في اواخر النصف الاول من القرن الرابع هـ : العاشر م .

ويقول الحيلاتي (3) : « وقبره (ابي مسور) مشهور بقرب مسجد الفاهمين ـ بحومة قلالة ـ ذهب لزيارة خاله ياتي المستاوي ـ اي خلف ـ فعاجلته المنية هناك » .

ذلك هو ابو مسور ، فهو اول من اشتهر بالعلم من بني يهراسن يعتبره الاباضية ممن يتولون بالشهرة .

ذاع صيته في الاوساط الوهبية فتمكن مـن تركيـز اسس هـذا المبنا بجربة ، واقام اشهر مدارسه ـ الجامع الكبير ـ فكانت اشهر المراكز العلمية الوهبية ، تخرج منها علماء كثيرون اشهرهم مؤسس نظام العزابة كما ذكرنا .

كما اسس مدينة حومة السوق (4) ، وله محراب هناك وكان يتعبد فيه معروف الى الآن بجانب معتمدية جربة .

فمن سيواصل هذا النشاط بعده ؟

---

(1) انظر ترجمة كل منهم في ما بعد .
(2) كتاب السيرة ج 1 ص 150 ، الطبقات ج 1 ص 125 ـ انظر بسطة عن الجامع في قسم التعليم عند عزابة جربة ص 241
(3) رسالة في مشاهد علماء جربة ص 1
(4) يسميه الشماخي سوق الخميس في السير ص 404



مدخل غار مجماج حيث الف ديوان جماعة غار مجماج بحومة مجماج

جماعة غار مجماج

مجماج بفتح فسكون ففتح ومد تنطق الجيم حاليا حسب اللهجة المصرية ، ويطلق الاسم على جهة من جهات الجزيرة غربى الحارة الصغيرة .

ولسنا ندرى هل ان الجماعة نسبوا الى الجهة او نسبت الجهة لهم ، الا اننا نرجح الراى الثانى ، ذلك ان هذه اللفظة بربرية مفادها جماعة مختلطون كانهم شخص واحد ، ويبدو ان اول من اختلط هناك هم السبعة المذكورون فى كتب السير .

ومفردها فى اللهجة الميزابية اتجموج وتجمع على اتجموجن .

ولا يزال الغار معروفا الى الآن وقد بنى على خمسة امتار جنوبه مسجد يسمى جامع الغار او جامع ابن بيان لان هذه الاسرة تكفلت به فى العهد الاخير (1) .

وهو غار بسيط متواضع لا يسع اكثر من عشرة اشخاص ، سقفه طبيعى من طين ، فيه كوة من الجهة الشمالية سدت الآن . ويمتد من الشمال الى الجنوب ، لا يتجاوز طوله اربعة امتار ، وعرضه متران ، وارتفاعه قرابة المترين

هذا غار مجماج فمن هم السبعة الذين اجتمعوا فيه؟ ومتى كان اجتماعهم؟ وما هى صلتهم بالعزابة ؟

(1) انظر الصورة وموقع الجامع بالخريطة

صلة جماعة الغار بنظام العزابة

انها مشكلة تقوم امام الباحث ، ويصعب ان تقول فيها قولا فصلا فى بحثنا هذا لغموض المصادر القليلة التى بين ايدينا فى هذا الشان .

هل رتبت الحلقة مع جماعة الغار ؟

هل كان عملهم صدى لنشاط مؤسس نظام العزابة ؟

هل رتبت الحلقة بعدهم ؟

لا يمكن ان اجيب عن هذه الاسئلة وغيرها الا اننى افترض ـ بناء على انهم من طبقة ابى عبد الله مؤسس نظام العزابة (1) اى النصف الاول من القرن الخامس هـ : الحادى عشر م ـ ان التفكير فى نظام يتماشى والكتمان دفعهم الى مثل هذا الاجتماع .

واشتهار مؤلفهم « **بديوان العزابة** » يجعل الباحث يفكر فى ربطهم بهذا النظام : وتتفق المصادر انهم سبعة :

1 ـ ابو عمران موسى بن زكرياء المزاتى الدمرى
2 ـ ابو محمد عبد الله بن مانوج اللمائى الهوارى
3 ـ ابو عمرو النميلى الزواغى
4 ـ ابو يحيى زكرياء بن جرناز النفوسى
5 ـ جابر بن سدرمام بفتح ففتح وشد فسكون
6 ـ كباب بن مصلح المزاتى
7 ـ ابو مجبر توزين المزاتى (2)

---

(1) طبقات ابى عمار ص 6
(2) كتاب السيرة ج 2 ص 2 عندما ترجم للمائى ـ سير الوسيانى ص26 ـ الطبقات ج 2 ص 191 ـ سير الشماخى ص 401 مع ترجمة ابى عمران .

لقد ترجمت المصادر للثلاثة الاول ، ونقلت خبرين عن الرابع ، وخبرا عن الخامس (1) ، اما البقية فاكتفت بذكر اسميهما فقط عند تعداد جماعة الغار

ولعل تتبع اخبار من ترجم لهم تمكننا من ضبط تاريخ تقريبى لاجتماع هذه اللجنة للتاليف

ابو عمران موسى بن زكرياء المزاتى الدمرى (2)

ذكر انه من علماء النصف الاول من القرن الخامس هـ : الحادى عشر م . ويرجعه الوسيانى الى **مزاتة** (3) ، جبل دمر واثبت انه من **تيجديت** (4) يعنى انه نشا بها .

انه اتصل بابى القاسم الحامى (5) ، ولعله درس عليه ، وقد اعترف له اقرانه بالقدرة العلمية حيث قال احدهم فى مجلس عام : «قد جاء من هو خير منـــا» (6) .

ابو عمران بجربة :

قد قرأنا ان ابا عبد الله رجع من القيروان سنة 408 هـ : ـ 1017 ـ 1018م وعلمنا انه اقبل يبحث عن الشيخ ابى عمران هذا ليتعلم عنده الفروع وكانت قسطيلية ، ما يقابل الجريد حاليا ، اول موطن اتجه اليه لانه يرجح وجوده هنـــاك .

---

(1) نقلها الشماخى عن المصادر السابقة فى السير ص 400 و 401
(2) تعرض له كتاب السيرة عدة مرات الا انه لم يفرد له فصلا ، سير الوسيانى ص 26 ـ الطبقات ج 2 ص 191 ـ 194 ـ سير الشماخى 400 و 401
(3) **مزاتة** : قبيلة بربرية ترجع الى اللواتيين تعيش فى الجنوب التونسى انظر لترتو تعليق (107) ترجمة كتاب السيرة بالمجلة الافريقية سنة 1960 .
(4) **تيجديت** : موضع معلوم بقبلة (كذا) اريغ ـ جهة تقرب ـ ليست ببعيدة عنه : سير الشماخى ص 488 .
(5) هو الذى قتل بامر المعز الفاطمى ، وثار ابو خزر ليثار له
(6) كتاب السيرة ج 2 ص 15 ـ الطبقات ج 2 ص 193 ـ سير الشماخى ص 402 .

ولم نعثر على ما يثبت التقاءه بجربة مع تلاميذ ابى عبد الله او منهو اسن منهم ، وكان ابو محمد ويسلان ابن ابى صالح اليهراسنى (1) يأسف على عدم حضوره دروس الشيخ ابى عمران هذا لانه درس على والده ابى صالح (2) .

ونجد نصا آخر يثبت انه راسل ابا عبد الله محمد بن بكر من (؟) فى مسالة من مسائل الولاية والبراءة (3) .

وبهذا نرجح ان اقامته بجربة كانت قبل سنة 408 هـ : 1017 ـ 1018 م . وانه اتى فى بداية الامر ليدرس بها على ابى صالح اليهراسنى (4) وهو معاصر لابى مسور .

ويبدو انه كان السبب فى تاليف «ديوان العزابة» ان صدقنا الرؤيا التى راى فيها ان اصابعه اصبحت نورا ، فعبرت له انه سيحيى دين الله بيده (5) ولعل ذلك يكون عندما انهى دراسته بجربة ، اما قبيل راس القرن الرابع هـ : العاشر م بقليل او بعده بقليل .

---

(1) انظر ترجمته ص 188

(2) كتاب السيرة ج 2 ص 54 ـ الوسيانى ص 193 ـ الطبقات ج 2 ص 192 ـ سير الشماخى ص 401

(3) كتاب السيرة ج 2 ص 48

(4) ابو صالح بكر بن قاسم اليهراسنى : من علماء النصف الثانى للقرن الرابع هـ : العاشر م ، سبقه ابو مسور بعشر سنين وهو اسن من فصيل ابن ابى مسور بعشر سنين ، فهو معاصر لهما . وقد درس معهما فى جربة بعد ان انتقل اليها من بادية بنى يهراسن . وقد درس عليه ابو عبد الله محمد بن بكر ، اذ يقول احد زملاء ابى عبد الله مذكرا اياه : «قد افتاها لنا ابو صالح فى دف، سدرة» كتاب السيرة ج 2 ص 54 . وكان داعية للوهبية اشتهر بشدته على الطغاة ، وله ابن درس عليه سيكون له دور هام فى اقامة نظام العزابة فى جربة .

انظر سير الوسيانى ص 13 الى 16 ـ الطبقات ج 2 ص 135 ـ سير الشماخى 366 ـ 370

(5) سير الوسيانى ص 26 ـ الطبقات ج 2 ص 192 سير الشماخى ص 401

فيكون تاليف هذه الموسوعة الفقهية على راس القرن الرابع هجرى : القرن العاشر مسيحى .

وتروى المصادر كثيرا من النصوص تثبت قدرة ابى عمران العلمية مما جعله يكون من العناصر الاساسية فى تاليف « **ديوان العزابة** » (1)

هذه الترجمة الاولى مكنتنا من الوصول الى تاريخ تقريبى لوضع هذا المؤلف فى اطاره التاريخى ولعلنا نجد فى بقية التراجم ما يؤيد ذلك .

---

(1) نفس المصادر والصفحات عدا الطبقات ص 191

ابو محمد عبد الله بن مانوح اللمائي الهواري (1)

هو ايضا من علماء النصف الاول من القرن الخامس هـ : الحادي عشرم (2).

كان في اول حياته راعي غنم ، ثـم توجـه الى جربة حيث درس عـلى ابي مسور وابي صالح وابي موسى عيسى بن السمح الرباني (3) وعاصر ابن ابي مسور ، اذ يقول فيه : «لو كان الوحي ينزل في هذا الزمان على احد لاستحق ابو زكرياء ان ينزل عليه» . (4)

ثم عاد الى البادية (5) حيث اقبل عليه الاباضية افرادا وجماعات ، واشتهر خاصة بالنصح والافتاء .

واريد ان اقف خاصة عند صلته بالعزابة : يروي الوسياني انه مرت به حلقة عزاب فنظر اكبرهم سنا فقال له علمهم السير (6)

واوصى العزاب ان يعودوا بفضلهم على فقرائهم وضعفائهم ، العالم على الجاهل والمقرئ على المتعلم ...

كما ذكر مرة : «لا اسال العزاب الا على ما بينهم ، اما العلم فقد فاتهم ، واذا كانوا ينظرون في امورهم وحوادثهم ويتفقدون شؤونهم ـ السير والآداب وآثار الصالحين ـ يوم الاثنين ويوم الخميس ثم عزمهم واجتهادهم ، وارجـو

---

(1) كتاب السيـرة ج 2 ص 2 و 3 . سيـر الـوسياني ص 21 ـ 23 . الطبقات ج 2 ص 181 ـ 183 . سير الشماخي ص 396 ـ 398

(2) طبقات ابي عمار ص 6

(3) ابو موسى عيسى بن السمح الرباني تلميذ ابي مسور ، اشتهر خاصة بشدته ضد النكار (انظر سير الوسياني ص 99) ، ترجمت له كل المصـادر . انظر سير الشماخي 373 .

(4) كتاب السيرة ج 1 ص 160 ـ الوسياني ص 17 ـ الطبقـات ج 1 ص 125 .

(5) يبدو انها القريبة من جزيرة جربة من الجهة الغربية .

(6) كتاب السيرة ج 2 ص 6 ـ سير الوسياني ص 21 .

لهم ان ينفعوا وينتفعوا» . (1)

ان هذه النصائح وخاصة الاخيرة منها تدل على انه ادرك نظام العزابة ، اذ يحدد الوعظ في يومي الاثنين والخميس كما ورد في نظام التعليم الذي سنه مؤسس نظام العزابة ، وهذا لا يتنافى وواقع حياته ، اذ نعرف ان الله مد في عمره الى ان عزم على ان لا يفتي للناس العلم (2) .

ثم ان هذا النص الاخير يبين لنا امتداد اللمائي بفترة حياته الاولى ، اذ يشير الى ان العلم قد فات هذا الجيل ، وكأني به يعيش على ماضيه ككـل انسان تقدم في العمر ويتذكر ايام اللقاء في غار مجماج حيث كـان الجـد والاجتهاد .

كما ان الوسياني يضيف نصا آخر يوحي بان اللمائي التفت حوله حلقة «وعن عبد الله (بن مانـوح) قال لمـن حولـه من العـزاب (3) يحثهـم على النوافل .

ولعل الوسياني يطلق كلمة عزاب على التلاميذ وتحليق التلاميذ ، فيكون ذلك بدون ترتيب نظام العزابة ، اذ تسكت بقية المصادر عن ذلك تماما .

ومهما يكن من امر فاننا نرجح ان اللمائي عاش فترة نشأة نظام العزابة وما سبقها من تمهيد ، ولعل **«ديـوان العزابـة»** يكون من الاعمـال الاولى التي جمعت شمل جماعة ، ووجهتهم في اتجاه واحد ، وبينت في ما بعد قيمة ثمرة الاعمال الجماعية المنظمة .

هذه الترجمة الثانية مكنتنا من تقريب جماعة الغار من نظام العزابة .

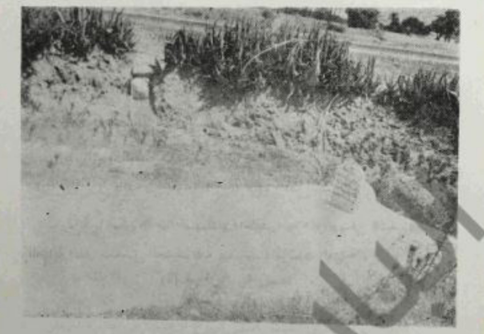
ولننظر في ترجمة النميلي لعلها تساعدنا عـلى الالحـاح عـلى التاريخ التقريبي الذي ابتناه في الترجمة السابقـة .

---

(1) سير الوسياني ص 21

(2) كتاب السيرة ج 2 ص 8 «اني ساترك الناس قبل ان يتركوني»

(3) سير الوسياني ص 63



قبر الشيخ ابى عمرو النميلى متوفى 431 هـ شمال جامع ابى مسور (بجواره)

٣ ابو عمرو النميلى الزواغى (1)

ولد ابو عمرو النميلى سنة احتلال الشيعة جربة 311 هـ : 932 ـ 924 م بجربة ، ومات بها شهيدا سنة هجوم المعز بن باديس الصنهاجى عليها سنة 431 هـ : 1039 ـ 1040 م .

فكانت حياته بين حادثتين قاسيتين على جربة ، لكن رغم هذه القسوة السياسية لم يخل القرن الرابع هـ : العاشر م كما ذكرنا من العلماء، وكذلك النصف الاول من القرن الخامس هـ : الحادى عشر م .

ومع هذا تذكر المصادر ما يثبت منزلة النميلى العلمية ، اذ كان ابو صالح اليهراسنى (2) يسند اليه التفسير فى المجالس العامة (3) .

ولم تفصل المصادر حوادث حياته لانها تهتم عند الحديث عنه بقسوة المعز بن باديس وتقتيله علماء جربة .

وما يهمنا بالنسبة للبحث هو مشاركته جماعة غار مجماج فى تاليف **ديوان العزابة**

وتاريخ استشهاده سنة 431 هـ : 1039 ـ 1040 م وعمره مائة وعشرون سنة يمكننا من ان نثبت تاريخا تقريبيا لهذا الاجتماع لعله يتماشى مع ما ذكرنا .

---

(1) كتاب السيرة ج 2 ص 2 ـ سير الوسيانى ص 18 ـ الطبقات ج 2 ص 142 ـ سير الشماخى 372

(2) انظر ترجمته فى ما سبق ص 170

(3) سير الوسيانى ص 24

يصعب ان تكون المشاركة فى آخر العمر ، فى مثل هذا العمل ، ويمكن ان نقدر انها كانت قبل المائة ، فيصل بنا هذا الى تاكيد التاريخ الذى ذكرناه مع ابى عمران وهو قبيل سنة 400 هـ : 1009 م او بعدها بقليل اى على راس القرن الرابع هـ : العاشر م.

وبهذا وصلنا الى تقريب هذا النشاط من عمل العزابة وتقدير التاريخ التقريبى الذى قام فيه ، وهذا يصعب ان يوصلنا الى ان نقرر انهم سبقوا ابا عبد الله فى ترتيب الحلقة .

واقصى ما يمكن ان يقرره الباحث هـو ان التوجـه لمثل هذا النشاط العلمى جعل علماء الاباضية يفكرون فى الابتعاد عن النشاط السياسى والتفرغ لخدمة مصالحهم

اما بالنسبة لبقية جماعة غار مجماج فان المصادر لم ترو من اخبارهم الا القليل ولا نرى فائدة فى تكرار ما روته عنهم كتب السير .

وغاية ما يمكن ان يقال عنهم انهم اجتهدوا مع اخوانهم فى تاليف **ديـوان العزابة** الذى سنفصل الحديث عنه عند تعداد مؤلفات العزابة .

ابو زكرياء فصيل ابن ابى مسور اليهراسنى (1)

لقد فصلنا الحديث عن ابى مسور لانه داعى الوهبية الاول بجربة ولولاه لما تمكنا من الحديث فى هذا الموضوع .

وقد ورد اسم ابنه فصيل هذا مرات كثيرة فى هذا البحث اهمها نسبة سيرة العزابة الى مسور اى المسورية لان فصيل هذا هو صاحب الاقتراح (2) فوجب حينئذ ان نعرف كيف توصل الى التفكير فى مثل هذا النظام واختياره احد تلامذته ، لما راى فيه من كفاءة لتاسيسه

نشاته الاولى

ذكر انه ولد فى جبل نفوسة وانتقل مع والده الى مواطن بنى يهراسن ، ثم الى جربة حيث رعاه وغرس فيه روح الاجتهاد والجد .

فصيل فى افريقيـة (3)

لقد كان ابو مسور عليما باشهر شيوخ الاباضية فى عصره فارسل ابنه الى الشيخ ابى خزر يغلا بن زلتاف ، اذ يقول الدرجينى نقلا عن ابـى زكرياء «وكان ابو زكرياء (فصيل) قد قرا بافريقية على ابى خزر رحمه الله».

---

(1) كتاب السيـرة ج 2 ص 164 ـ 168 . سيـر الـوسيـانى ص 16 ـ 18 . الطبقات ج 1 ص 125 ـ 130 ج 2 ص 143 ـ 145 . سير الشماخى ص 371 ـ 372 .

(2) انظر ما سبق ص ؟

(3) افريقية يطلقها مؤرخو الاباضية على ما يسميه العوام اليوم افريقيا جهة باجة

فاجتهد فى طلب العلم وحصل خاصة علم اصول الدين ، ثم اضطرته الحالة السياسية عند ثورة ابى خزر (1) ان يرجع الى جربة ليستعد لخوض المعركة الا انه بلغه خبر الهزيمة وهو فى طريقه اليها ، فاثرت فى نفسه وكر راجعا الى جربة علة يشارك والده فى نشاطه العلمى .

نشاط فصيل بجربة

سنذكر بعض مواقفه التى تبين قيمة هذا النشاط : ان اول عمل افتتح به حياته العلمية هو اتمام بناء الجامع الكبير الذى اسسه والده فى النصف الاول من القرن الرابع هـ : العاشر م (2) .

ثم تولى التدريس فيه مستعينا بعدد من علماء الجزيرة من بينهم ابو محمد كاموس ، والشيخ ابو عمرو النميلى والشيخ ابو صالح اليهراسنى .

والتحق التلاميذ بالجامع الكبير من عدة مواطن لما بلغهم مما فيه من احسان اذ يروى عن فصيل نفسه انه كان يصرف الدنانير بالدراهم ويجعلها فى القراطيس ويضعها سرا فى اوعية التلاميذ (3)

كما كان يحض القوم على الانفاق على التلاميذ بضرب كثير من الامثلة الملموسة نذكر من بينها قوله : «منزلة التلاميذ كشجرة الخروب لا ينبت حولها نبات .

(1) و (2) كتاب السيرة ج 1 ص 159 ـ الطبقات ج 1 ص 129
(3) سير الوسيانى ص 7 ـ الطبقات ج 1 ص 154 ـ سير الشماخى ص 371 .

ومن اهم تلاميذه الاولين

ابو عبد الله محمد بن بكر مؤسس نظام العزابة
ابو محمد ويسلان ابن صالح اليهراسنى (1)

وهكذا ازدهر النشاط فى الجامع الكبير احسن ازدهار واقبلت الوفود العلمية الى جربة لتنسج على منوالها .

الوفود التى زارت جربة زمن فصيل :

والى جانب اقبال التلاميذ فقد اقبل الاباضية افرادا وجماعات من شتى الجهات ليتثبتوا فى بعض المسائل العلمية .

فهذا رجل من مزاتة يكثر التردد على جربة الى ان قال فيه فصيل : « نعم الرجل ابو توزين زيارته ، وحوائجه حوائج (2)

وهذا وفد يقبل من وارجلان يراسه عمران بن زيرى يستقبله فصيل بعد صلاة الظهر ، ويظهر له المودة والاكرام (3)

(1) انظر ترجمته ص 188
(2) كتاب السيرة ج 2 ص 57
(3) كتاب السيرة ج 2 ص 25

ان فصيلا كان قدوة حسنة يحاول ان يتحاشى الفتن بقدر الامكان فقد حاول ان يثيره احد النكار بقوله : «يا ابا زكرياء نحن وانتم كلنا نكار لانا قد انكرنا على علي ابن ابي طالب ما فعل في التحكيم ، فاجابه فصيل باختصار دون ان يطيل معه الجدال لست بنكاري (1) . وكان كذلك مقصد الفقراء فلا يرد احدهم خائبا بل يستخلص عبرا من هذا الانفاق ولا يثقل عليه (2) .

مواقفه السياسية

ذكروا انه اراد ان يشارك في ثورة ابي خزر ، لكن الثورة قد فشلت قبل ان يلتحق بالمعركة

ولعل هذا الفشل جعل هذا الشاب يغير اتجاهه في الحياة اذ اصبح يدعو الى مداراة الحكام بقوله :« من حرث زرعا وحصده .. واطعمه الجبابرة بمنزلة من اطعم الاولياء ، لكليهما حظه من الثواب ، وكلاهما يكتب عند الله صدقة كما روى في الخبر»

لكنه كان يتدارك دائما امره فاذا فعل شيئا من ذلك تبرع بالطعام مثله للعزابة فالاول وقاية للعرض وابقاء للحرمة والثاني تكفير عن الاول (3) .

وسنتعرض لموقفه مع حملة المعز بن باديس عند الحديث عن مواقف عزابة جربة من السلطة الحاكمة .

(1) نفس المصدر ج 1 ص 162
(2) نفس المصدر ج 1 ص 164 . الطبقات ج 1 ص 128
(3) سير الوسياني ص 17 ـ الطبقات ج 2 ص 144 ـ سير الشماخي ص 371 .

ارساله الوفد الجربي ليبحث عن ابي عبد الله

لعل مرونته السياسية هذه جعلته يفكر مليا في وضع الاباضية اينما كانوا في شمال افريقيا .

فتيقن ـ وقد توالت عليهم الهجومات ـ ان عهد الظهور قد مضى ، وان لا سبيل الى الرجوع اليه في تلك الفترة والدولة الحاكمة ـ الصنهاجيون ـ في اشد عنفوانها .

فلابد حينئذ من التفكير في طريقة تحفظ كيان الاباضية دون ان تكون خطرا على السلطان حتى لا يحاربها .

وقد علم في قرارة نفسه انه دبت اليه الشيخوخة ، ويعسر عليه ان يقيم هذه الطريقة ويسهر على تطبيقها مدة طويلة .

ففكر مليا وجعل يستعرض في ذهنه تلامذته فلم يجد احسن من ابي عبد الله بن بكر ، وقد توسم فيه الخير منذ صغره .

ولاشك ان هذه الفكرة قد الحت عليه فعرضها على من حوله من الشيوخ والتلاميذ فنالت اعجابهم .

فارسلوا وفدا على راسه فلذتا كبد فصيل : زكرياء ويونس ، وابن اخته ابوبكر بن يحيى (1) .

وفي ارساله اقرب الناس اليه دليل على مدى اقتناعه بنجاعة ما وجههم من اجله ، وعلى ثقته الكاملة في تلميذه ابي عبد الله الذي يعلم عنه انه يوشك ان ينهي دراسته .

(1) كتاب السيرة ج 1 ص 160 ـ سير الوسياني ص 17 ـ الطبقات ج 1 ص 125 .

وهكذا شارك الوفد الجربى فى تاسيس نظام العزابة وكان اول من طبقه ثم نقله افراد الوفد الى جزيرتهم حيث استقر فيها الى عهد متاخر

ونفترض ان ابا عبد الله عند تكوينه هذا النظام استشار شيخه الذى يقول فيه : «لو امسكت خصلة من خصال البر فطلبت ان تزيدها فيه فلا تجد مزيدا قد كمل الخير والبر (1) وهو صاحب الفكرة (2) .

وسنتبين اثر ترجمة فصيل كيف رتب هذا الوفد نظام العزابة بجربة .

هكذا ظل فصيل ناشطا داخل الجزيرة يشرف على التعليم فيها ويدير شؤونها الاجتماعية ويدارى الغزاة ويستقبل الوفود الاباضية .

وكان من حين لآخر يرحل الى مواطن الاباضية ، نذكر من بين رحلاته سفرة الى جهة آريغ ووارجلان مع ابى صالح بكر بن قاسم اليهراسنى ، وابى موسى عيسى بن السمح الربانى ، زائرين اخوانهم واهل دعوتهم (3) .

كما كان يتتبع اخبار الاباضية ، اذ ما ان بلغه خبر رحيل شيخه ابى خزر الى مصر مع المعز لدين الله الفاطمى حتى اعترضه فى طريقه واستفتاه فى بعض المشكلات وذلك سنة 362 هـ : 972 ـ 973 م (4) .

---

(1) كتاب السيرة ج 1 ص 160 ـ سير الوسيانى ص 17 ـ الطبقات ج 1 ص 125
(2) انظر ما سبق ترجمة ابى عبد الله ص 33
(3) سير الوسيانى ص 58 ـ الطبقات ج 2 ص 124
(4) كتاب السيرة ج 2 ص 24

منزلة الشيخ فصيل عند الاباضية وغيرهم :

لقد كان الشيخ فصيل متواضعا مثاليا ذلك انه اثر عنه انه يردد هذه العبارة مع ما بلغه من درجة علمية : «ما علمنا كيف نتكلم ولا كيف نسكت» (1)

وتروى لنا المصادر عدة مواقف تبين مدى اجتهاده فى عبادة الله ، اذ لا يقدم اى عمل على الفريضة (2) ويبيت لياليه قائما (3)

هذه بعض المواقف ، ونجد الى جانبها عدة اقوال نذكر منها بشهادة اللمائى (4) وابى عبد الله (5) ونضيف اليها شهادة ابى عمران موسى بن زكرياء اذ يقول :

« لو كانت امامة المسلمين فى هذا الزمان لاستحقها ابو زكرياء » (6) وقولة عامل من عمال صنهاجة حين وقف على قبره عندما بلغته وفاته : «عاش حميدا ، ومات فقيدا ، اللهم اخلف على جربة بعده» (7)

كل هذا النشاط وهذه الشهادات تثبت ما بلغه ابو زكرياء فصيل ابن ابى مسور من منزلة فى عصره سواء عند الاباضية او غيرهم .

وقد اطلنا فى التعريف به لما له من صلة مباشرة بنظام العزابة اذ هو صاحب الفكرة .

---

(1) نفس المصدر ج 1 ص 192
(2) كتاب السيرة ج 2 ص 25
(3) نفس المصدر ج 1 ص 165 ـ الطبقات ج 1 ص 129
(4) و (5) انظر ما سبق ص 172
(6) كتاب السيرة ج 1 ص 162 ـ الطبقات ج 1 ص 125 ـ الوسيانى ص 17
(7) كتاب السيرة ج 1 ص 163 ـ الطبقات ج 1 ص 125 : ويضيف الدرجينى : « اللهم ارحمه واعد على بلده واهل بيته بركته

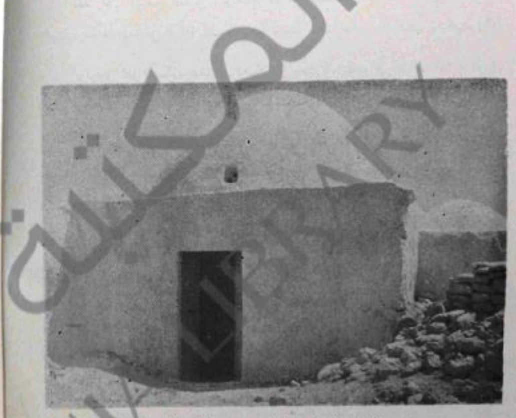
وفـــاتـــه :

لا تحدد المصادر تاريخ وفاته غير ان بعضها يشير الى انهـا كـانت فى شهر رمضان وقد عدته هذه المصادر من علماء النصف الثانى من القرن الرابع هجرى : القرن العاشر م الا انه ادرك القرن الخامس يقينا اذ وصول الوفـد الجربى الذى ارسله الى ابى عبد الله كان سنة 408 هـ : 1017 ـ 1018 م

وتذكر هذه المصادر انه حضر حملة المعز على جربة سنة 431هـ : 1039م فان صح هذا الخبر تكون وفاته فى العقد الرابع من القرن الخامس هجرى : الحادى عشر م ، وان لم يصح تكون فى العقد الثالث منه .

انظر موقفه مع حملة المعز فى ذكر مواقف العزابة من السلطة الحاكمة(1) وبهذا قد عاصر الشيخ فصيل الدولة الشيعية مع المعز لدين الله والدولة الصنهاجية قبل ان تنفصل عن الفاطميين .

(1) انظر ص 298 من البحث



قبر الشيخ فصيل ابن ابى مسور اليهراسنى
بحومة بنى باندو شمال الجامع الكبير ـ جربة

لم تضبط المصادر تاريخ رجوع الوفد الجربي من عند ابي عبد الله بن بكر ، غير انبعض القرائن ربما تساعدنا على افتراض بعض الآراء قد تكون قريبة من الحقيقة .

نعلم ان الشيخ ابا عبد الله توفي سنة 440 هـ : 1048 ـ 1049 م ولم يذكر اى مصدر حضور ابرز اعضاء الوفد عند وفاته وقد ذكرت حضور بعض تلاميذه كابي الخطاب عبد السلام بن منظور (1)

وقد شرع الشيخ ابو عبد الله في تاسيس النظام سنة 409 هـ : 1018 ـ 1019 م فلا يتصور ان يبقى معه الوفد الجربي مدة ثلاثين سنة .

واذا اضفنا الى هذا ان زكرياء بن فصيل حضر وفاة والده بجربة ، اذ نعي الى الجماعة بالجامع الكبير اثناء اداة صلاة القيام ، وقد ام المصلين زكرياء هـــذا (2)

ولم يرد في الخبر ان فصيلا عاش بعد تلميذه ابي عبد الله فيكون رجوعهم حتما قبل سنة 440 هـ : 1048 ـ 1049 م .

وقد قررنا ان وفاة الشيخ فصيل في نهاية العقد الثالث او بداية العقد الرابع من القرن الخامس هـ : الحادي عشر م .ونرجح ان تاسيس النظام كان اثر رجوعهم اذ كل مؤهلاته موجودة . فالمدرسة قائمة البنيان تاوي كل من يقبل عليها ، والدروس مستمرة من عدة علماء ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر معمول بهما ، فلم يبق الا اخضاع كل هذا لنظام العزابة .

---

(1) انظر ما سبق وفاة ابي عبد الله ص 46

(2) كتاب السيرة ج 1 ص 165 ـ الطبقات ج 1 ص 129 « ولما مـــات (فصيل) رحمه الله وكان ذلك في ليلة من رمضان وكان ابنه حينئــذ في المحراب يصلي بالناس قيام رمضان »

ثم ان زيارة الشيخ ابي عبد الله جربة ، وقد قررنا انها كانت في آخر عمره ، كانت لتفقد ثمرة نشاط تلامذته

ولا نشك انها كانت بعد تاسيس نظام العزابة بجربة اذ قد مر ركب ابي عبد الله من **تمولست** بفتح فرفع ومد فسكون فسكون فسكون (1) والتقى بتلميذه ابي الربيع سليمان بن يخلف (2) ولم يستقر هذا هناك الا بعد ان تعاون مع زملائه وشيوخه على ترتيب نظام العزابة بجربة على ابي محمد ويسلان ابن ابي صالح بن قاسم اليهراسني (3)

فيكون تاسيس نظام العزابة بجربة في العقد الرابع من القرن الخامس هـ الحادي عشر م .

فلنعرف بعض الحقائق عن اول حلقة قامت بالجزيرة وكيف استطاع هذا النظام ان يعمر طويلا بجربة ؟

---

(1) تمولست : اسم الجهة التي تقع بين الجريد وجبال دمر

(2) ابو الربيع سليمان بن يخلف المزاتي القابسي متوفى سنة 471 هـ : 1078 ـ 1049 م نشا بتمولست ثم درس على الشيخ ابي عبد الله في أريغ فكان من ابرز تلاميذه ، ثم انتقل الى جربة حيث تعلم الفقه على ابي محمد ويسلان وعلم بها اصول الدين . وحضوره مع زملائه بجربة كان **سببا في ترتيب الحلقة** على الشيخ ابي محمد ويسلان اليهراسني . ولما شعر انه تمهر في الفقه قعد للحلقة بتمولست ثم انتقل الى زنزفة قلعة بني على قبل سنة 449هـ: 1057 ـ 1058 م حيث بقي مع تلاميذه ، الى سنة 462 هـ : 1069 ـ 1070م .ثم رجع الى تمولست وانتقل في آخر حياته الى تونين . وهي لا تبعد كثيرا عن تمولست . حيث توفي سنة 471 هـ : 1078 ـ 1076 م .وتعد ترجمة حياته من الاهمية بمكان في تاريخ الاباضية في القرن الخامس هجري : الحادي عشر م لما ضبط فيها من تواريخ . لقد اورد كتاب السيرة جل اخباره لان المؤلف معاصر لابي الربيع . وقد روى عنه جل اخباره ، ترجم له الدرجيني في الطبقات ج 1 آخر ترجمة . سير الشماخي 412 ـ 414

(3) انظر ما يلي ص

ترتيب الحلقة الاولى على ابى محمد ويسلان (1)

يقول الدرجينى : « واجتمع التلامذة وقصدوا ابا محمد ويسلان ورغبوا اليه .. فى ان يرتبوا عليه الحلقة فاجاب وجلس لهم .. فلما ترتبت الحلقة كثر الطلبة (2)

فمن هو ابو محمد هذا ولماذا اختاره تلاميذ الشيخ ابى عبد الله شيخا لاول حلقة ؟

اسمه : ويسلان (3)

كنيته : ابو محمد

والده : بكر بن قاسم

قبيلته : بنو يهراسن

فهو ابو محمد ويسلان بن ابى صالح بكر بن قاسم اليهراسنى

---

(1) لقد خلط الاستاذ لويكى فى دائرة المعارف الاسلامية فصل حلقة 98 بين ابى محمد ويسلان هذا وابى محمد ويسلان بن يعقوب الدجمى المزاتى الذى عاش فى النصف الثانى من القرن الرابع هـ العاشر م وقد خصص له ابو زكرياء فصلا فى كتاب السيرة نقله عنه الدرجينى ج 2 ص 152 ـ 154 ونعتبر هذا ليس صحيحا كما سنبين فى ترجمة ابى محمد ويسلان فى هذا الباب وقد ذكره كتاب السيرة ج 2 ص 45 ـ 57 ـ 59 ـ سير الوسيانى ص 19 ـ 20 ـ الطبقات ج 1 ذكر اخباره مع ترجمة ابى الربيع سليمان بن يخلف 148ـ149 ج 2 مع ترجمة والده 135 ـ 142 ـ سير الشماخى 476 ـ 479

(2) الطبقات ج 1 ص 148

(3) تذكره بعض المصادر واسلان طبقات ابى عمار ص 7

نشأته الاولى :

لقد نشأ فى البادية بين يدى والديه (1) ثم انتقل معه الى جربة حيث حضر دروس الشيخ فصيل ودروس والده ابى صالح .

وقد جالس النميلى متوفى 431 هـ : 1039 ـ 1040 م وقد استحسن هذا الشيخ رايه : « لما كبر ابو عمرو النميلى اتى ابا محمد ويسلان ابن ابى صالح رحمهم الله فقال له : اخبرنى بشىء ياويسلان فسكت ابو محمد فلما لم يجبه قال : « مهلا ياويسلان تركتنى» فقال له محمد متحيرا : اذا كنت متيمما فاغسل اذا اطرافك فقال له ابو عمرو : احسنت ياويسلان احسنت ياويسلان (2) .

ثم نجده مرافقا لوالده فى الدعوة الى الوهبية فى جبال دمر (3) .

ثم رجع الى جربة حيث اصبح مرجع الفتوى واقبلت عليه وفود الاباضية من عدة جهات منها ان الشيخ ماكسن بن الخير سار من وارجلان حتى وصل جربة فسال عنها (مسألة) ابا محمد ويسلان فاجابه (4) .

وله عدة فتاوى فى الاصول والفقه ، منها فى الاصول انه يفتى ان البالغ الصحيح يوالى على فعله ويبرا عليه (5) . وجلها فى الفقه مما يثبت تضلعه فى هذا العلم الامر الذى ادى تلامذة الشيخ ابى عبد الله محمد بن بكر يقترحون عليه ان يدرسهم علم الفروع .

وشغفه بهذا الفن جعله يأسف على تفريطه فى مجالس ابى عمران موسى ابن زكرياء (6)

وقد راينا ان الشيخ ابا عبد الله عندما رجع من القيروان كان يبحث عنه

---

(1) انظر ترجمة ابى صالح تعليق رقم 4 ص 170

(2) سير الوسيانى ص 18

(3) سير الوسيانى ص 14 ـ الطبقات ج 2 ص 139

(4) سير الوسيانى ص 20

(5) سير الوسيانى ص 20 انظر قسم الولاية والبراءة الشخصية ص 103

(6) من جماعة غار مجماج انظر ترجمته ص 169

نعوده للحلقة :

اقبل وفد من تلاميذ الشيخ ابي عبد الله على جربة اهمهم ابو الربيع سليمان بن يخلف (1) بعد ان حصلوا علم الكلام بآريغ وحضروا تأسيس الحلقة ، وذلك قصد دراسة الفقه على شيوخ بني يهراسن ابي محمد ويسلان خاصة وزكرياء ويونس ابني فصيل ابن ابي مسور (2) «فتعاون شيوخ الجزيرة على تعليم هذا الوفد رغم ما لهم من اشغال » (3)

ثم ليدعم التلاميذ علمهم ويستفيدوا من اقامتهم اكثر ما يمكن قرروا اقامة نظام العزابة في جربة اذ قد لمسوا فوائد هذا النظام بانفسهم .

فاتفقوا جميعا على الشيخ ابي محمد ويسلان كما ذكرنا لانه اكبرهم سنا واكثرهم تجربة واغزرهم علما خاصة في علم فروع الفقه الذي اتوا من اجله .

وابى شيوخ جربة وعلى راسهم ابو محمد الا ان يستفيدوا من حضور تلاميذ ابي عبد الله فعينوا اكبرهم لتدريس اصول الدين .

وتسامع الناس في الجهات بجلوس (الحلقتين) فجاؤوا من كل مكان رغبة في العلم (4) .

« وكان جلوس هاتين الحلقتين بالموضع المعروف بآن تيجان من الجزيرة وهناك شجرتان من الخروب عظيمتان فكان جلوس طلبة الفقه عند الشجرة

(1) انظر ترجمته تعليق رقم 2 صفحة 187
(2) الطبقات ج 1 ص 148
(3) نفس المصدر والصفحة
(4) نفس المصدر والصفحة

القبلية منها ، وطلبة الاصول عند الشجرة الجوفية فاقاموا على هذا مدة » (1)

ان اول ما نستنتجه من هذا النص ان الحلقة اتجهت الى ميدان التعليم قبل كل شيء اذ هو الاساس .

ولعل نصوصا اخرى تمكننا من النظر في بعض صلاحياتها الاجتماعية

ان المدرسة الاولى التي طبق فيها نظام التعليم حسب ما رتبه الشيخ ابو عبد الله كانت بآن تيجان ولا نعرف اليوم في الجزيرة جهة تسمى بهذا الاسم غير اننا اذا امعنا النظر في اسماء كل الجهات نجد ثلاثة لا تبعد كثيرا عن هذا الاسم وهي :

1 ــ تلجان بقلب الياء لاما من حومة جعبيرة (2)

2 ــ تفجان بقلب الياء فاء جنوب الجامع الكبير (3)

3 ــ تيواجن : اضيفت اليها الواو مع تقديم المد وربطه بالواو وتقع هذه الجهة في الجنوب الغربي من الجزيرة شمال قلالة (4)

وفي كل الحالات حذفت «آن»

ومن بين هذه الاماكن يمكن ان نرجح الثاني لقربه من الجامع الكبير .

وهكذا كانت هذه المدرسة على غاية من البساطة ولعل ذلك لطيب المناخ ولسنا ندري لماذا لم تكن من اول الامر في الجامع الكبير اذ ستنتقل اليه بعد حين كما سنبين .

وقد حلق التلاميذ تحت شجرة الخروب القبلية على ابي محمد ويسلان وهو شيخ الحلقة المشرف على الكل ، وقد وقف بهم عند ابواب الفقه .

(1) الطبقات ج 1 ص 149
(2) انظر رسالة الجيلالي في مشاهد علماء جربة
(3) هذه سماعية لم نجد فيها نصا .
(4) انظر الخريطة في آخر البحث

وحلق ايضا تحت الشجرة الشمالية على ابى الربيع سليمان بن يخلف (1) التلاميذ الراغبون فى دراسة الاصول . ولعل هذه الدروس فى الاصول كانت تتوقف وقت دروس الفقه لان هؤلاء ـ ابا الربيع واصحابه ـ اتوا ليتعلموا الفروع وبهذا تكون حلقة ابى محمد غاصة الى حد بعيد .

انتقال الحلقتين الى الجامع الكبير :

ثم انتقلوا بحلقتهم الى المسجد الكبير (2) .

ويكون هذا عندما شعروا ان الظل لا يكفى حاجتهم وتبينوا ان الجامع يمكن ان ياويهم لما فيه من بيوت اعدت لهذا الشان وهكذا اعانهم شيوخ بنى يهراسن «ولم تعدم (التلاميذ) من شيوخ بنى يهراسن معونة على طلب العلم بالافادة ورفع الكلف والمؤونة» (3)

ثم تقلص عدد تلاميذ ابى محمد شيئا فشيئا لان جلهم ليسوا من المبتدئين ولم يقبلوا على جربة الا ليتموا معلوماتهم . واقبلوا على دروس الكلام لانها تستهوى الطلبة اكثر من غيرها .

ولما شعر ابو محمد ويسلان بذلك لم تثر ثائرته بل انتقل بهم (تلاميذه) الى بيت قبالة المسجد الكبير (4)

ولما تبين ابو الربيع اكتمال ثقافته وكثرة تلاميذه رجع الى موطنه تمولست حيث رتبت عليه حلقة وذلك للتخفيف على التلاميذ .

وبقى علماء بنى يهراسن فى الجامع الكبير فتصدى الشيخ ابو محمد

(1) و (2) الطبقات ج 1 ص 149
(3) نفس المصدر والصفحة
(4) نفس المصدر والصفحة

لتدريس علم الفروع والاشراف على نظام العزابة .

ويفيدنا الوسيانى ان دروس ابى محمد هذه اثمرت ثمرتين هامتين :
الاولى وضع كتابى البيوع والوصايا لابى محمد والثانية اجوبة سعد ابن ييفاو على ما توقف فيه ابو محمد ويسلان (1)

نشاط ابى محمد ويسلان الاجتماعى :

الى جانب هذا النشاط العلمى قد اقتدى ابو محمد بمؤسس نظام العزابة فكان يرحل بحلقته ليغرس فى التلاميذ حب الاطلاع ويتفقد اهل الدعوة .

ومن ذلك رحلته بحلقته الى جبل دمر فى سنة قحط ليعود تلاميذه على شظف الحياة لكن لما راى انه لم يفلح فى هذه التجربة لان اهل جبل دمر قدموا اهل الحلقة على انفسهم وفقرائهم . امر التلاميذ ان يرجعوا متفرقين الى جربة والح عليهم فى ذلك .

وان رحل ابو محمد الى خارج الجزيرة ليتفقد وهبية جبل دمر فمن باب اولى ان ينتقل داخل الجزيرة آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر .

وفـــاتـــه :

هذا ما وجدنا عن الحلقة الاولى التى رتبت فى جربة ولو لم تكن لفظة الترتيب صريحة لما تمكنا من هذا التقرير ، ولذهبنا الى انها حلقة لطلب العلم فحسب .

اما وفاة ابى محمد فنقدر انها قريبة من وفاة ابى الربيع سليمان بن يخلف اى فى النصف الثانى من القرن الخامس هـ : الحادى عشر م بعد ان رتبت عليه اول حلقة بجربة فى العقد الرابع من القرن الخامس هـ الحادى عشر م تقريبا .

فمن اشرف عليها بعده ؟

(1) سير الوسيانى ص 83 . انظر قسم مؤلفات عزابة جربة

تعاون زكرياء ويونس على الاشراف على نظام العزابة في النصف الثاني من القرن الخامس هـ ـ 11 م

لا يمكن ان يموت النظام بموت ابي محمد ويسلان اذ سيقوم باعبائه زكرياء ويونس ابنا فصيل لخبرتهما به . وتعوزنا المصادر في هذا الموضوع لانها لم تعتن بهذين العالمين كما ينبغي وتترجم لهما عادة معا لما في حياتهما من تشابه واخير ان افرق بين ترجمتهما وان ادى هذا الى شيء من التكرار .

ابو يحيى زكرياء بن فصيل ابن ابي مسور اليهراسني :

زكرياء بن فصيل اكبر ابنيه اذ به يكنى ، نشأ بين يدي والده في الجامع الكبير ، وحضر دروس علماء عصره كابي محمد ويسلان وابي محمد كاموس .

ثم ارسله والده الى الشيخ ابي عبد الله على راس الوفد الجربي ، فوفد بتمولست حيث قضى اياما يركز مبادىء الوهبية في قبيلة مزاته (1)

ثم التقى بالشيخ ابي عبد الله بتقيوس ، وانتقل معه الى آريغ واقام عنده مدة مع الوفد الجربي ـ لم نتمكن من تحديدها ـ الى ان حذقوا علم الاصول (2)

ثم نجده بجربة عند وفاة والده (3) .

زكرياء يتحمل المسؤولية :

ومن ذلك الحين تصدى لتحمل المسؤولية ، فنجده عندما رتبت الحلقة على ابي محمد ويسلان يدرس الاصول «واجتمع التلاميذ يريدون علم الكلام وكانوا ياخذون الدروس على ابني الشيخ (فصيل) زكرياء ويونس وعلى ابي بكر بن يحيى» (4)

---

(1) الطبقات ج 1 ص 131
(2) و (3) انظر ما سبق ترجمة ابي عبد الله ص 33 وترجمة فصيل ص 185
(4) الطبقات ج 1 ص 148

وينتقل ابو الربيع سليمان بن يخلف (1) الى تمولست فيبقى هؤلاء الثلاثة لتحمل تدريس الاصول برئاسة ابي محمد ويسلان .

اشراف زكرياء على نظام العزابة :

لم نجد نصا صريحا يثبت هذا الا ان كثيرا من النصوص تساعدنا على تقدير هذا الاشراف .

يروى الوسياني ان العزابة اطالوا الحديث في مسالة الصلاة ولم يصلوا الى الحل فقال لهم زكرياء : «مسائل الرهن والصلاة ضيعت وعملت ما اصابت» وبين الوسياني ان في ذلك تحذيرا لهم من التضييع وتشميرا لهم الى ما يلزمهم من الفرائض وتعلم ما ينزل عليهم والتهيء لما يأتيهم بغتة (2) .

فهذا يدل على ان الرئاسة بيده وهذا نص آخر يدعم ذلك « وبقي الشيخ زكرياء مهتما بالتدريس فارا من تحمل المسؤولية الى ان توفي المشائخ فصار يركب حمارا كل جمعة ويتفقد اهل الدعوة في جربة يصطحب معه الفتيان آمرا بالخير ناهيا عن المنكر معلما السير مميتا للبدع هذا دابه حتى مات رحمه الله تعالى سنة 508 هـ : 1114 ـ 1115 م ».

ومما يثبت قيام النظام على احسن وجه (3) شهادة ماكسن بن الخير عند زيارته جربة زمن زكرياء بن فصيل «فاردنا الختمة ختمة غروب الشمس» (4)

هذه ثلاثة نصوص تبين تطبيق نظام العزابة زمن زكرياء وانه رئيس الحلقة وان لم تفصل الحديث عن ذلك تفصيلا كافيا .

ويمكن ان نضيف في شانه اداءه لفريضة الحج في ايام الشباب اذ تذكر المصادر بعض مغامراته والوفد المرافق مع قطاع الطرق (5)

---

(1) انظر ترجمته تعليق رقم 2 ص 187
(2) سير الوسياني ص 58
(3) نفس المصادر ص 122
(4) نفس المصدر ص 58
(5) كتاب السيرة ج 1 ص 63 ـ الطبقات ج 1 ص 147

وحواره مع ابى زكرياء يحيى بن جرناز النفوسى احد اعضاء جماعة غار مجماج الذى يبين مدى تمسكه بمبدئه ودعوته الى ذلك حيث نادى بقوله فى الحاضرين عند انتهاء الحوار « اياكم والمرخصين لئلا تفارقوا دينكم وانتم لا تشعرون (1)

هكذا نتبين ان زكرياء ترأس نظام العزابة بجربة بعد ابى محمد ويسلان لامرين لانه الآمر الناهى عند اقامة ختمة الغروب التى حضرها ماكسن ابن الخير ووقع شيء من السهو ولتحمله مسؤولية الامر بالمعروف والنهى عن المنكر رفقة الفتيان .

ولا شك انه يستعين باخيه يونس فمن هو يونس هذا ؟

ابو القاسم يونس بن فصيل ابن ابى مسور اليهراسنى

انه نشأ كما نشأ اخوه زكرياء الى ان رجعا من عند ابى عبد الله وسنكتفى بذكر ثلاثة من مواقفه تثبت انه من اعضاء حلقة العزابة :

الموقف الاول : اقباله على الحلقة عند ختمة الصبح ... فتقدم الى الحلقة فلما اخذوا فى القراءة اخذ معهم والدموع تسيح من عينيه (2)

الموقف الثانى : تدريسه علم الاصول عندما رتبت الحلقة ولا شك انه واصل وظيفته الى جانب اخيه

اما الموقف الثالث : فهو حضوره عند تشييع اهل جربة عبد الله بن الامير وتطوعه ليحمله على عاتقه ليدخله القارب ولولا تشبعه باخلاق العزابة لما تحمل هذا وسكت عن سخرية العوام (3)

هذه نصوص يمكن ان نلمس منها صلة ابى القاسم هذا بحلقة العزابة ، ولعله ترأسها مدة وجيزة عند وفاة اخيه زكرياء ، اذ نرجح انه مات بعده بقليل لانه اصغر منه سنا اى فى العقد الثانى من القرن السادس هـ : الثانى عشر م.
فمن هم شيوخ الحلقة فى هذا القرن ؟

---

(1) كتاب السيرة ج 2 ص 47 ــ الطبقات ج 2 ص 174 ــ سير الشماخى ص 402 ــ 403
(2) و (3) كتاب السيرة ص 63

شيوخ نظام العزابة فى القرن السادس هـ : الثانى عشر م

النصف الاول منه :

ان القرن السادس يمثل مشكلة عويصة بالنسبة للباحث فى نظام العزابة اذ ان وجدنا جمعا من العلماء فى القرن الخامس هـ : الحادى عشر م فى جربة فان الحروب منذ حملة المعز بن باديس سنة 431 هـ : 1039 ــ 1040 م وما تلتها من فتن ، سنتعرض لها فى ذكر مواقف عزابة جربة منها ، الى ان هجم عليها النصارى سنة 529 هـ : 1134 ــ 1135 م جعلت التلاميذ لا يقبلون على الجزيرة وقد قام النشاط فى هذا القرن خاصة فى :

وادى ميزاب : مع الشيخ عبد الرحمان الكرثى
وارجلان : مع الشيخ ابى عمار عبد الكافى

فلم يبق بجربة من العلماء الا القليل .

ويصعب ان ينقطع نظام العزابة تماما الا اننا نتصور انه ضعف فى هذا القرن لسببين :

كثرة الفتن من جهة

وقلة العلماء من جهة اخرى

اذ لم تتخلص جربة من كيد النصارى الا سنة 555 هـ : 1160 م على يد الموحدين لضعف الصنهاجيين عن ذلك .

فكانت تتارجح فى النصف الاول من القرن السادس هـ : الثانى عشر م بين ايدى الجربيين او الصنهاجيين او النصارى

وواقع كهذا لا يمكن من التفرغ للعلم بل جندت كل الجماعة للجهاد في سبيل الله وربما ان اعضاء العزابة هم قواد المعارك لم يبق منهم الا القليل .

واذا تتبعنا كتب الطبقات نجد ذكر **داود بن ويسلان** ، اذ يعده الباروني في هذه الفترة الا انه لم يرد ذكره في مصدر آخر .

والقاسم الزواغي الجربي : ويعده الباروني ايضا من اهل هذه الفترة ويتعرض لذكره الوسياني عند تعداد الشيوخ المتعلمين عند شيوخ زمانهم من نفوسة الى وارجلان (1) سير الوسياني ص 76

ابو مسعود ابن ابي زكرياء الهراسني (2)

يذكره الدرجيني مرتين عرضا :

المرة الاولى عندما ترجم لابنه التي سنذكره بعد حين (3) وينقل الشماخي ذلك غير انه يجمع بينهما ـ اى الاب والابن فيقول :

« هما شيخا الانبساط والانقباض ، والعزوب عن الدنيـا ، والاعـراض ، وقد جددا من السير ما اشفى على الانقراض » (4) .

المرة الثانية عندما ترجم لابي عبـد الله محمـد بن داود ، يذكـر بعض اصحابنا ان ابا عبد الله محمد بن داود دخل جربة زائرا فاجتمعوا اليه فوعظهم وذكرهم واحدا بعد واحد حتى افضت النوبة الى الشيخ ابي مسعود والد (5)

---

(1) انظر ما يلي ص 116 الطبقات ج 2 ص 300
(2) السير ص 450 : ينقل عبارة الدرجيني بتصرف مع افراد ما بعـد «والاعراض»
(3) انظر ما يلي ص 200 الطبقات ج 2 ص 300
(4) الطبقات ج 2 ص 302 ـ سير الشماخي ص 451 من الاول الى «وضع» للشماخي والبقية للدرجيني
(5) بين النصوص اختلاف يكتبها الشماخي «والى» والصحيح والد

ابي يحيى فصيل قال بلغني انك تداين ضعفاء جربة ثم تاتيهم لتتقاضى دينك فيدخلهم الروع اذا عرفوك فيقولون هذا ابن ابي زكرياء ، قد اقبل فعـل الله به وصنع ، أترضى لنفسك ومنزلتك وابويك ومنصبك ان تكون هذه منزلتك كلا والله ولكن جانب المداينات ما استطعت فان لذلك رجالا .

فقال انى تائب ياشيخ ولا اعود (1) ويذكر الشماخي ان محمدا بن داود هذا توفي سنة 555 هـ : 1160 م (2)

نلاحظ اولا ان الدرجيني يعـد ابـن ابي مسعود ومحمـد بن داود مـن الطبقة الثانية عشرة اى النصف الثاني من القرن السادس هـ : الثاني عشر م

فيكون ابو مسعود هذا من اهل النصف الاول من هذا القرن .

ونلاحظ ان زيارة محمد بن داود هذا كانت حتما قبل سنة 555هـ:1160م ومداينة ابي مسعود هذه تتماشى واحداث الجزيرة اذ كانت خاضعة للنصارى من سنة 529 هـ : 1134 ـ 1135 م الى 555 هـ : 1160 م (3)

فيكون ابو مسعود هذا صاحب منصب في هذه الفترة كما يذكر محمـد ابن داود

وكان بين النصين السابقين تعارضا اذ يثبت الاول العزوب عن الدنيـا ويبين الثاني تكالبا عليها لكن يمكن ان نوفق بينهما لان النص الثاني اثبت توبة الرجل في النهاية .

ثم ان ملاحظة الدرجيني عن فصيل ابن ابي مسعود ، ويساندها افـراد العبارة عند الشماخي « جدد من السير ما اشفى على الانقراض » (4) تؤكد انه مضى حين على جربة وهو النصف الاول من القرن السادس هـ : الثاني عشر م لا وجود فيه لنشاط علمي وهذا دليل على ضعف نظام العزابة في هذه الفترة

---

(1) الطبقات ج 2 ص 302
(2) سير الشماخي ص 450
(3) انظر صلة العزابة بالدول ... ص 297
(4) السير ص 450 للشماخي

لكن وان ضعفوا في الميدا ن العلمي فانهم لم يهنوا في الدفاع عن جزيرتهم وسنذكر موقفهم ضد النصارى سنة 549 هـ : 1153 م ـ 1154 م عند الحديث عن صلاحيات عزابة جربة (1)

ولعل ابا مسعود يكفر عن ذنبه بموقفه في هذه المعركة وقفة الابطال

النصف الثاني من القرن السادس هـ : الثاني عشر م

ابو يحيى فصيل ابن ابي مسعود اليهراسني

يعده الدرجيني من اهل الطبقة الثانية عشرة شيخ الانبساط والانقباض والعزوب عن الدنيا والاعراض والاحتقار لما يستعظم الناس فيها من الاعراض وسلامة الصدور من الشهوات والاعراض المجدد لما كان من السير قد اشفى على الانقراض ... المفنى ايام عمره في الصلاح (2)

ان طريقة الدرجيني في الجزء الثاني من طبقاته تمتاز بالتقديم لكل شخصية يترجم لها باسلوب يقوم على السجع غالبا يحاول ان يجمع فيها جميع خصال الرجل المترجم له ثم يفصل ذلك .

غير انه في هذه المرة توقف عند هذا الحد فوجب ان نقف عند هذا النص بانفسنا .

لعله يقصد من شيوخ العزوب عن الدنيا الاشارة الى انه من العزابة او المشتاقين لهذا النظام .

وبهذا نفهم ان ابا يحيى هذا كان عكس والده اذ افنى ايام عمره منذ الصغر في الصلاح .

---

(1) انظر مواقف العزابة ضد السلط الحاكمة

(2) الطبقات ج 2 ص 300 ـ سير الشماخي ص 450

ثم ينسب اليه تجديد ما اشفى على الانقراض من السير .

وهذا يتماشى والوضع السياسي بالبلاد التونسية عامة وجربة خاصة اذ قد تمكن الموحدون من افتكاك الثغور الاسلامية من النصارى واقاموا حكمهم في البلاد ، ونزعة الموحدين دينية محض خاصة عند انطلاقها .

كما تمكنوا من تخليص جربة سنة 555 هـ : 1160 م من ايدي النرمان وظلت خاضعة لحكمهم كسائر البلاد التونسية ، واستتباب الامن مكن ابا يحيى ان يسترجع شيئا من النشاط العلمي والاصلاحي .

ولعله كان شيخ حلقة او يقوم مقام شيخ الحلقة من حيث الوعظ والارشاد وتوجيه العامة كما هو شان الاباضية عند ضعف النظام او انقطاعه .

ابو يحيى زكرياء بن صالح اليهراسني

يقول عنه الدرجيني : « آتاه الله في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة فضله الله بالورع والسخاء ولزوم السيرة» (1) اشارة منه انه كان غنيا شاكرا.

وهو من اهل النصف الثاني من القرن السادس هـ : الثاني عشر م . لقد كان من كبار التجار من المغرب الادنى والاقصى (2) .

وقد عظمت منزلته عند يعقوب بمراكش اذ كان مختصا به قبل ان يتولى الوزارة (3) وتروي المصادر انه شفع في اهل الجزيرة لما له من صلة به (4) .

ان هذه النصوص تثبت ان ابا يحيى هذا جمع بين العلم والجاه الا انه من اصحاب المال والجاه اكثر منه من اهل العلم وذلك لتقريب يعقوب الموحدي اياه .

---

(1) الطبقات ج 2 ص 296 ـ سير الشماخي ص 449

(2) نجد ذكر واقعة من وقائعه مع قطاع الطرق عند عودته من وارجيلان التي وصلها من سجلماسة ـ الى جربة . الطبقات 296 ـ سير الشماخي 449

(3) الطبقات وسير الشماخي نفس الصفحات .

(4) الطبقات 299 ـ سير الشماخي ص 450

وصلته بيعقوب تؤكد انها كانت قبل ان يستوزر وانه رجع الى جربة قبل ان يتولى الخلافة .

فيكون ذلك في العقد السادس والسابع من هذا القرن اذ تولى يعقوب الخلافة من 581 هـ : 1185 ـ 1186 م الى 595 هـ : 1198 ـ 1199 م.

ثم نجده بجربة في العقد الاخير من هذا القرن يقدمه اهل الجزيرة ليشفع لهم لدى يعقوب المنصور هذا الذي جاء ليخمد ثورة الميورقي الذي فر الى جهة الصحراء بعد ان خرب عدة مدن فيكون استقراره بجربة خاصة في العقدين الاخيرين من القرن السادس هـ : الثالث عشر م . حيث جد في الاصلاح الى جانب الشيخ ابي يحيى فصيل ابن ابي مسعود اليهراسني .

فيكون ابو يحيى فصيل للعلم والفتوى ، وابو يحيى زكرياء بن صالح للحكم والاتصال بالسلط .

ولعل نشاطهما هذا سيكون جيلا صالحا في القرن السابع هـ : الثالث عشر م . ولسنا ندري دور البقية ممن ذكرنا .

فمن هم شيوخ العزابة في القرن السابع ؟

شيوخ نظام العزابة في القرن السابع هـ : الثالث عشر م

النصف الاول :

ان متتبع تاريخ عزابة جربة يتبين ان هـذا النظام تراسه في النصف الثاني من هذا القرن الشيخ يعيش بن موسى الزواغي (1)

لكن لا نجد ذكرا للنصف الاول منه وبعد التدقيق في مصدرين كتبا في القرن العاشر هـ : السادس عشر م .

1 ـ طبقات محمد بن زكرياء الباروني (2)

2 ـ نسبة الدين لنفس المؤلف (3)

وفي سير الشماخي نتبين وجود بعض الشخصيات الا انها لم تكن لامعة وهي :

أ ـ سعيد بن آمغار : لم نعرف سوى اسمه

ب ـ ابو محمد بن ابي عثمان الصدغياني

ج ـ صالح بن نجم المغراوي

ولعل اشهرهم هو **ابو محمد عبد الله ابن ابي عثمان سعيد الصدغياني** اذ يقول عنه الشماخي :

« كان شيخا فاضلا وهو المقصود في زمانه بجربة وله رسالة ارسلها الى اهل وارجلان فيها الرد (كذا) على المخالفين (4)

ان عبارة الشماخي تثبت انه يرجع اليه الامر في زمانه وعادة يقال هذا عن شيوخ الحلقة .

(1) انظر الملحق الاول ص 328

(2) قد نسخت قسما منه من وادي ميزاب

(3) ملحق بسير الشماخي ص 578 ـ 582

(4) سير الشماخي ص 576 وبالنسبة للبحث انظر قائمة المراجع

وفي تطوعه للرد على المخالفين بوارجلان دليل على طول باعه في العلم وهذه صفة شيخ العزابة .

ونسبته الى جربة واضحة اذ صدغيان جهة من اشهر جهات الوهبية بجربة .

صالح بن نجم المغراوى (1)

يروى سلامة الجناونى عن الشيخ يونس ابن تعاريت (3) شيخ العزابة في القرن العاشر هـ : السادس عشر م ما يلى :

وقال فى عمنا صالح المغراوى كان فى المسجد الجديد اربعين سنة (3)

ويعتبره البارونى فى نسبة الدين شيخ يعيش بن موسى الزواغى (4)

فيكون صالح بن نجم المغراوى اكبر المدرسين بالجامع الجديد (5) فى هذه الفترة .

هكذا نلاحظ ان المشيخة تحولت من بنى يهراسن اى اولاد ابى مسور واحفاده الى اسرة الصدغيانى وصالح المغراوى وكل يهتم بناحية ، اما الاول فاليه يرجع الاشراف العام ، واما الثانى فمهتم بالتدريس لاحياء ما اندرس من العلم واهتمامه بهذه المهمة مدة اربعين سنة سينتج ثمرة حسنة وهى يعيش بن موسى الزواغى فمن هو يعيش هذا ؟

---

(1) انظر الملحق الثانى ص 334
(2) انظر ترجمته ص 215
(3) دفتر رقم 1 ص 99 مكتبة الشيخ سالم
(4) ملحق سير الشماخى
(5) انظر الخريطة ـ حومة فاتو ـ

النصف الثانى من القرن السابع هـ : الثالث عشر م .
والنصف الاول من القرن الثامن هـ : الرابع عشر م

من هذه المرحلة سنعتمد على الملحق الاول وهو رسالة للشيخ سليمان ابن احمد الحيلاتى المتوفى 1099 هـ : 1687 ـ 1688 م ذكر فيها شيوخ العزابة من هذه الفترة الى آخر القرن الحادى عشر هـ : السابع عشر م

الشيخ ابو البقاء يعيش بن موسى الزواغى الجربى :

يعده البارونى من علماء الطبقة الخامسة اى النصف الاول من القرن الثامن هـ : الرابع عشر م لانه توفى فى هذه الفترة (1) .

ويذكر الحيلاتى انه شيخ الحلقة فى القرن السابع هـ : الثالث عشرم (2)

ويذكر الحيلاتى ما يفيد ان وفاته كانت بعد سنة 750 هـ : 1349ـ1350م وهو التاريخ الذى مات فيه طلبة الشيخ يعيش بالطاعون (3)

فتكون رئاسته حلقة العزابة من وفاة عبد الله الصدغيانى وصالح المغراوى فى النصف الثانى من القرن السابع هـ : الثالث عشر م الى منتصف القرن الثامن هـ : الرابع عشر م.

نشأته الاولى : يقول الشماخى عنه : « كان شيخا موصوفا بالخير سكن جبل دمر زمانا ثم رجع الى جربة» (4)

ويذكر البارونى انه درس على الشيخ صالح المغراوى ويكون ذلك بالجامع الجديد حيث كان يدرس ، ونص الشماخى صريح بانه ذهب الى دمر بعد الدراسة ثم استقر فى جربة

---

(1) انظر طبقات البارونى
(2) انظر الملحق الاول : اول فقرة
(3) رسالة فى ذكر حوادث جربة للحيلاتى ص 4
(4) سير الشماخى ص 561

نشاط الشيخ يعيش بجربة

ان ذكر موت طلبته بالطاعون دليل على انه اهتم بالتدريس وله مرثية فى العلماء والتلاميذ الذين ماتوا فى هذا الوباء (1)

ولعله بدا يدرس فى الجامع الجديد حيث تعلم لكن بعد المسافة بين مسكنه بحومة جعبيرة – غربى الجزيرة – وهذا الجامع بحومة فاتو بداية الناحية الشرقية (2) جعلت اهل الخير يؤسسون مسجد وادى الزبيب

ومؤسسه هو محمد بن احمد الصغيانى (3) ونرجح ان هذا كان فى النصف الثانى من القرن السابع هـ : الثالث عشر م لان نص الحيلاتى واضح (4)

فيكون تاسيسه حينئذ من اجل الشيخ يعيش وهو قريب جدا من مسكنه بحومة افصيل (5) وهو اول المدرسين فيه

ثم يذكر الحيلاتى اجتماع العزابة عليه فى كل نازلة ، وفى اجتماعهم عليه دليل على انه شيخ العزابة

واهم النوازل الحادثة فى عصره هى :

1 – استيلاء النصارى على جربة سنة 689 هـ : 1289 – 1290 م وتاسيسهم برج القشتيل

2 – حملة اللحيانى على جربة سنة 706 هـ : 1307 – 1308 م زمن ابى عصيدة الحفصى 1295 الى 1309 م

3 – طرد النصارى سنة – 738 هـ : 1337 – 1338 م زمن ابى بكر الثانى الحفصى 718 – 747 هـ : 1318 – 1346 م

---

(1) انظر هذه المرثية فى قسم مؤلفات عزابة جربة
(2) وهو جامع تاجديت اليوم . انظر الخريطة
(3) رسالة مشاهد علماء جربة للحيلاتى ص 4
(4) انظر الملحق الاول
(5) انظر الخريطة

وتولية احمد بن مكى على جربة فى نفس السنة 738 هـ

وقد ذكرناها لنتبين قيمة الشيخ يعيش فى هذه الفترة لانه بيده الامر والنهى .

ويمكن ان نشير هنا الى اهمال الحيلاتى ذكر مشيخة الحكم التى سيذكرها بالنسبة للقرون المقبلة مع انها مستندة بعد لاسرة السمومنى اذ تذكر المصادر موقف محمد السمومنى ضد حملة النصارى سنة 688 هـ : 1289 – 1290 م واستشهاده فيها (1)

وسنفصل موقف الجربيين من النصارى والحفصيين عند ذكر مواقف العزابة من السلط الحاكمة (2)

هذه منزلة الشيخ يعيش فى هذه الفترة وان لم يترك مؤلفات ذات قيمة علمية كبرى فانه كون جيلا على راسه الشيخ ابو القاسم البرادى وهو الذى تراس نظام العزابة بعد وفاة الشيخ يعيش التى نقدر انها فى الستينيات من القرن الثامن هـ : الرابع عشر م

فمن هو ابو القاسم البرادى ؟

---

(1) و (2) انظر قسم علاقة عزابة جربة بالدول ...ص 297

ابو الفضل ابو القاسم بن ابراهيم البرادي (1)

يعتبره الحيلاتي شيخ العزابة في هذه الفترة (2) ويقول الشماخي :

«وتقدم انه اخذ العلم عن ابي ساكن عامر الشماخي (3) واخذ ايضا عن عمنا يعيش الجربي .. سكن بلده زمانا ثم تحول الى جربة فاقام بها بمسجد وادي الزبيب وكانت عليه حلقة ومجلس عظيم » (4)

فنتبين اذن ان ابا القاسم نشا بجبل دمر ـ وتعلم بجبل نفوسة على الشيخ عامر الشماخي المتوفى سنة 792 هـ : 1389 ـ 1390 م

وبجربة : على الشيخ يعيش بمدرسة وادي الزبيب

الحيـاة العمليـة : مكث ببلده جبل دمر مدة ولعله انتقل الى جربة عندما بلغه خبر وفاة شيخه يعيش ليتولى التدريس

ويتفق الشماخي والحيلاتي على انه المدرس بجامع وادي الزبيب (5) .

ونجد انه زار بيت الله الحرام سنة 775 هـ : 1373 ـ 1374 م ويستفاد ذلك من مقدمة كتاب كشف الغمة لاحد العمانيين (6)

ولابي القاسم هذا اهمية كبرى في حفظ نظام العزابة لامرين :

---

(1) سير الشماخي ص 574 ـ رسالة ابن تعريت ص 38 ـ الاباضية في موكب التاريخ (في تونس) ص 151 لويكي . فوليا اوروبونتاليا مجلد 3 سنة 1961 ص 41 ـ 43
(2) انظر الملحق الاول ص
(3) من علماء جبل نفوسة اشهر مؤلفاته كتاب الايضاح في الفقه
(4) سير الشماخي ص 574
(5) الملحق الاول ص 328
(6) النسخة الموجودة بالمكتبة البارونية جربة

1 ـ لما نقله عن كتاب الدرجيني : نظام التعليم (1)

2 ـ لما ذكره عن حقيقة من حقائق اوقات العزابة في رسالة من رسائله(2)

كما سعى حسب ما يبدو الى تطبيق هذا النظام في جامع وادي الزبيب والسهر عليه لما راى فيه من فائدة .

ثم انه كان الى جانب التدريس يشارك في حل المشاكل الاجتماعية اذ كان يحضر الاجتماعات التي يشرف عليها اسن الجماعة وهو الشيخ سعيد ابن علي يامون (3)

فيكون البرادي حينئذ عضوا من اعضاء مجلس العزابة ورئيسه الشيخ يامون . وسنترجم له بعد حين . وللبرادي عدة مؤلفات اشهرها الجواهر الذي اشرنا اليه عدة مرات (4)

وفـاتـه :

اما تاريخ وفاته فاننا نرجح انه في بداية القرن التاسع هـ: الخامس عشر م لان ابا فارس الحفصي 796 ـ 837 هـ : 1394 ـ 1433 م طلب من علماء جربة للمناظرة فتعين ابو محمد ابن الشيخ ابي القاسم ولا يمكن ان يتقدم على والده لانه اغزر منه علما .

ابو عثمان سعيد بن علي يامون :

لم نجد عنه الا ما ذكره الحيلاتي (5) وقد نقله عنه ابن تعاريت ويفيد انه شيخ عزابة جربة

ويضيف ابن تعاريف ان سعيد يامون هذا توفي سنة 800 هـ : 1397 ـ 1398 م ودفن بمنزله بحومة غيزن وشهر قبره بجدي سعيد (6) وهو معروف الى اليوم .

---

(1) الجواهر ص 207 ـ 218
(2) انظر قسم مؤلفات عزابة جربة ص 268
(3) الملحق الاول ص 328
(4) انظر قسم مؤلفات عزابة جربة
(5) الملحق الاول ص 4
(6) رسالة ابن تعاريت في تاريخ جربة ص 33

النصف الاول منه :

ابو عبد الله محمد وابو محمد عبد الله ابنا ابى القاسم البرادى

اما ابو عبد الله محمد فقد ساد فى جبل دمر وبقى ابو محمد عبد الله مترئسا نظام العزابة بجربة

ابو محمد عبد الله : نشأ ابو محمد اول الامر بجبل دمر ثم انتقل مع ابيه الى جربة وبعد ان حصل مبادىء الاباضية ارتحل الى تونس فدرس فى جامع الزيتونة

ويروى الشماخى شهادة الشيخ الحسين عندما حلل احد تلاميذ ابى محمد البرادى مشكلة فى النحو وتبين له انه اخذها عنه .

فقال : ما رايت اعلم من البرادى (1)

ثم يروى ايضا ان اخاه يرجع اليه الاسئلة عندما يزوره بجبل دمر (2)

ومما يثبت منزلته العلمية تقدمه لمناظرة علماء تونس زمن ابى فارس الحفصى 796 ـ 837 هجرى : 1394 الى 1434 مسيحى ، (3) ، ولسنا ندرى هل كانت هذه المناظرة فى تونس او عند زيارة ابى فارس جربة سنة 835 هـ : 1431 ـ 1432 م (4) لرد عدوان النصارى

وفـــاتـــه :

وتكون وفاته فى هذه الفترة اى بعد سنة 835 هـ : 1431 ـ 1432 (اذ يعده البارونى فى الطبقة السابعة عشر اى النصف الاول من القرن التاسع هـ الخامس عشر م

---

(1) سير الشماخى ص 575
(2) نفس المصدر
(3) نفس المصدر
(4) انظر قسم مواقف العزابة (ما يلى)

وان كان ابو محمد البرادى اكبر المدرسين بوادى الزبيب (1) فاننا نجد مدرسا آخر فى هذه الفترة بالجامع الكبير وهو الشيخ قاسم القاضى اليديسى وكان مرجع الفتوى الى جانب ابنه محمد البرادى (2)

ويذكر الجيلانى ان مجلس الشورى ينعقد عند الشيخ زكرياء بن افلح الصدغيانى (3)

لكن يصعب ان نصدق هذا الراى زمن ابى محمد اذ نعلم ان زكرياء هذا من تلاميذ ابى محمد البرادى (4)

فبذلك نعتقد ان مجالس الشورى كانت تنعقد عند الشيخ ابى محمد البرادى لانه اغزر الجماعة علما ، فهو شيخ الحلقة حينئذ فى النصف الاول من القرن التاسع هـ الخامس عشر م

اما مشيخة الحكم فانها ترجع للشيخ ابى يحيى زكرياء السومنى (5) ودوره تنفيذ احكام العزابة .

---

(1) الملحق الاول ص 328
(2) رسالة ابن تعاريت ص 37
(3) نفس المصدر ص 37
(4) نسبة الدين بملحق السير ص 581
(5) مؤنس الاحبة تعاليق 2 ص 106

ترجع مشيخة الحلقة الى الشيخ زكرياء بن افلح الصدغياني مع وجود عالمين للتدريس :

1 ـ سليمان بن ابراهيم ابن ابي القاسم البرادي (1)

2 ـ ابي زكرياء يحيى بن عبد الله البرادي

اما الشيخ زكرياء بن افلح الصدغياني :

فقد ذكرنا انه تتلمذ على ابي محمد البرادي في جامع وادي الزبيب وما ان مات شيخه حتى رجع اليه امر نظام العزابة فكان يهتم خاصة بالاصلاح الاجتماعي ، اذ يذكر ابن تعاريت انه مقصود في زمانه بجربة (2)

والى جانب هذا النشاط فانه لم يتخل عن التدريس اذ تتلمذ ابن تعاريت عليه (3)

ولعل ذلك في احد مساجد صدغيان اما بجامع بني لاكين وقد وسعه احد اجداده سنة 647 هـ : 1249 م كما نقش على رخامة به او بجامع معزوزيين (4) .

ولعل الاجتماعات تكون باحد المسجدين برئاسة الشيخ زكرياء، وتذكر له المصادر نظما في الاعراب وآخر في الفرائض (5)

(1) انظر الملحق الاول ص 328
(2) رسالة ابن تعاريت ص 37
(3) نسبة الدين للباروني ص 579 ملحق سير الشماخي
(4) انظر الخريطة
(5) سير الشماخي ص 576 ـ رسالة ابن تعاريت ص 37 ـ انظر مؤلفات عزابة جربة ص 269

ولسنا ندري تاريخ وفاته ، الا اننا نعلم انه لم يدرك سنة 903 هـ : 1457 ـ 1894 م اذ انعقد اجتماع في هذه السنة برئاسة تلميذه يونس ابن تعاريت .

ودفن بمقبرة مسجد معزوزين من الجوف بحومة صدغيان (1)

وترجع مشيخة الحكم الى الشيخ ابي زكرياء يحيى السومني الذي سيدرك القرن العاشر هـ : السادس عشر م

اما سليمان البرادي : فلا نعرف عنه الا ما ذكره الجيلاني انه يدرس بمسجد وادي الزبيب ويحضر مجلس الشورى عند زكرياء الصدغياني فهو حينئذ عضو من اعضاء الهيئة

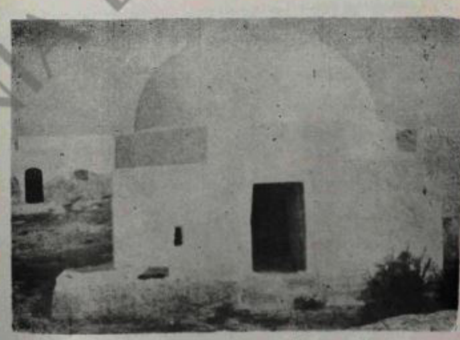
واما ابو زكرياء يحيى بن عبد الله البرادي : فاننا نتبين منزلته العلمية من شهادة الشماخي فيه اذ هو معاصر له ـ على حد تعبيره ـ ولم اره ، وله مجالس بجربة ، وما اظن علما الا وهو فيه محقق .. وبالجملة يفتخر به اهل جربة (2)

وبناء على هذا يمكن ان نرجح انه من اعضاء الحلقة في تلك الفترة وان سكت عنه الجيلاني ، اذ لم يذكر كل اعضائها وانما اكتفى بذكر البعض خاصة الذين ترجع لهم الرئاسة .

(1) رسالة مشاهد علماء جربة للجيلاني ـ رسالة ابن تعاريت ص 37
(2) سير الشماخي ص 576



جامع تاجديت (حومة فاتو) منظر عام من الخارج



جامع تاجديت : قبة بجوار المسجد لتحفيظ القرآن الكريم

النصف الاول منه :

ابو النجاة يونس بن سعيد بن يحيى ابن تعاريت الصدغياني الجربي

قد ذكرنا انه تلميذ الشيخ زكرياء الصدغياني وانه ترأس الحلقة سنة 903 هـ : 1497 ـ 1498 م

ولم يكتف بذلك بل رحل الى جبل نفوسة ليدرس على ابي عفيف صالح بن نوح التندميرتي (1)

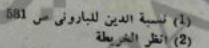
وما ان انتهى من الدراسة حتى تحمل اعباء التدريس بجامع تاجديت اى الجديد بحومة فاتو من جهة صدغيان (2) وهو قرب منزله .

فتتلمذ عليه كثير من التلاميذ اهمهم ثلاثة كانت لهم اليد الطولى فى اصلاح المجتمع الاباضى بجربة وجبل نفوسة ووادى ميزاب .

1 ـ سلامة الجناوني

2 ـ ابو يوسف يعقوب بن صالح التندميرتي استاذ الشماخي صاحب كتاب السير

3 ـ سعيد بن علي الجربي مصلح وادى ميزاب (3)



(1) نسبة الدين للباروني ص 581
(2) انظر الخريطة
(3) رسالة ابن تعاريت ص 27

واشهر من روى عنه مواقفه بجربة **سلامة الجناوني** ، اذ يقول : « وقع لعزابة جربة اجتماع (كذا) عند شيخنا الفاضل الهمام ابي النجاة .. ابن تعاريت قدس الله روحه (1)

ويقول ايضا : «اجتمعت مع شيخي يونس ابن تعاريت سنة 903 هـ : 1497 ـ 1498 م (2)

ويقول ابن تعاريت عندما ترجم له : «اليه المرجع في الفتوى والمسائل المشكلات ، وهو المقصود في زمانه بجزيرة جربة (3)

وسنذكر موقفه والعزابة ضد النصارى سنة 916 هـ : 1510 ـ 1511م عند تحليل مواقف العزابة من السلط الحاكمة (4) .

هكذا نلاحظ ان الشيخ يونس ابن تعاريت جمع في عصره بين التدريس والاصلاح الاجتماعي .

ولا شك انه استعان ببعض المدرسين خاصة من تلامذته للتدريس .

وباسرة السموميين في الحكم والدفاع عن الجزيرة وقد عاصره الشيخ ابو زكرياء يحيى السمومني (5) .

---

(1) و (2) رسالة ابن تعاريت ص 27
(3) رسالة ابن تعاريت ص 27
(4) انظر ص 304 من البحث
(5) الملحق الاول ص 329

النصف الثاني من القرن العاشر هـ السادس عشر م

ان رسالة الحيلاتي(1) تثبت ان شيوخ الجزيرة في هذه الفترة اربعة وهم :

1 ـ ابو النما زائد بن عمر اللوغ الصدغياني :

وهو شيخ الحلقة ، اذ اليه يرجع الامر . يقول الشيخ سالم بن يعقوب(2) مؤرخ جربة :

« اللوغ : اسرة معروفة الى الآن بصدغيان مما زال اثر منزلهم القديم بحومة مزراية مما يثبت ان اصل العائلة من هناك » .

ولد زائد هذا بمزراية في السبعينيات من القرن السابع هـ تقريبا : الخامس عشر م ودرس على الشيخ يحيى بن يعقوب اليزمرتني (3) .

ثم تصدر للتدريس بعد وفاة شيخه وابتنى مسجدا قبلي منزله مسمى باسمه «عني زائد» (4) .

ولم يعقه التدريس عن مشاركة اخوانه في خفر السواحل ، ومراقبة المرابطين بمساجد الشاطئ للحراسة (5) .

ثم انتخب رئيسا لمجلس العزابة ، ولا يخرج الراى الا من عنده تقديرا له واحتراما لمقامه (6)

ولما توفي الشيخ زائد في اواسط القرن العاشر هـ : السادس عشر م رثاه ابو سليمان داود التلاتي (7) احد اعضاء الحلقة فمن هو ابو سليمان هذا ؟

---

(1) انظر الملحق الاول ص 329
(2) قد اعتمد فيها على وثائق كثيرة . انظر ترجمة الشيخ سالم تعليق رقم 1 ص 163
(3) يعده الباروني من علماء النصف الثاني من القرن التاسع هـ الخامس عشر م .
(4) **انظر صورة الجامع**
(5) احيط بجربة عدة مساجد لهذا الغرض
6) و (7) الملحق الاول 329

2 ـ ابو سليمان داود بن ابراهيم التلاتي

نشأة التلاتي وتعلمه

اننا نجد عنها تفاصيل يقينية واضحة كما يرويها عنه احد تلاميذه ، وهو محمد بن زكرياء الباروني في رسالته في نسبة الدين (1) ومفادها :

1 ـ دراسته بجبل نفوسة :

لقد ارتحل اليه منذ صغره ، وبعد ان حفظ كتاب الله درس عقيدة التوحيد (2) هناك وغيرها على الشيخ ابي زكرياء بن عيسى الباروني

2 ـ رجوعه الى جربة :

لعله رجع زائرا فاقام مدة اراد ان يستفيد فيها ، فحلق على الشيخ ابي القاسم بن يونس السدويكشي ، والشيخ ابي يحيى زكرياء بن ابراهيم الهواري (3)

3 ـ عودته الى جبل نفوسة :

وفي هذه المرة لازم الشيخ ابا يوسف يعقوب بن صالح التندميرتي بجناون ، اذ يقول عن نفسه هو الذي اخذت عنه اكثر من الذي اخذت عن غيره

ثم انتقل الى بقالة فدرس المنطق والبيان على ابراهيم ابي الاحباس من تلاميذ الشيخ يونس ابن تعاريت ، ثم رجع الى جربة ولم يستقر بها .

في وادي ميزاب

ولما رجع الى جربة بلغه صدى دروس الشيخ ابي مهدي عيسى بن

(1) و (2) و (3) ملحق سير الشماخي ص 579

اسماعيل تلميذ الشيخ سعيد بن علي الجربي فالتحق بمدرسته بمليكة في وادي ميزاب سنة 961 هـ : 1553 ـ 1554 م

نشاطه بجربة

وما ان رجع الى جربة حتى تصدر للتدريس في مسجد القصبيين (1)

ثم انتخب رئيسا لمجلس العزابة واصبح من اهل الحل والعقد ، ومما يثبت ذلك :

ـ ما قاله ابن تعاريت : «وساد بجربة ، وتولى مجلسها اي تولى رئاسة مجلس الحكم فيها اذ ذاك واليه يرجع الامر في زمانه» (2)

ـ ومخاطبة درغوث باشا بهذه اللهجة « نحن جماعة العزابة » (3)

وقد قتله درغوث باشا في احدى هجوماته على جربة سنة 967 هـ : 1559 ـ 1560 م لما راى فيه من الشدة في الحق ، اذ قال له في موقف من المواقف : « بل الفساد من قبلك لتقديمك الاسافل » (4) وذلك بعد ان سجنه نحو الشهر

فكانت وفاته خسارة كبرى بالنسبة لنظام العزابة لانه مات حديث السن دون ان يفيد كثيرا من العلم الذي حصله في شبابه ، فخمس سنوات على اقصى تقدير ليست كافية لتكوين جيل .

واشهر تلاميذه محمد بن زكرياء الباروني الذي نقل عنه نسبة الدين .

(1) بحومة قلالة قرب تلات (انظر الخريطة)
(2) رسالة ابن تعاريت ص 43
(3) نسبة الدين للباروني ص 583 ـ ملحق السير
(4) نفس المصدر والصفحة

3 ـ الشيخ صالح السمومنى شيخ الحكم (1)

4 ـ الشيخ عبد الرحمان الحيلاتى (4)

اسرة الحيلاتى من حومة جعبيرة قرب مسجد البوليمانيين (2)

يبدو انه درس بمسجد وادى الزبيب لانه قرب منزلهم ثم بمسجد القصبيين على الشيخ ابى سليمان التلاتى .

وسافر ايضا الى جبل نفوسة فدرس على الشيخ ابى يوسف يعقوب ابن صالح التندميرتى شيخ ابى سليمان التلاتى

كما سافر الى القاهرة فالتحق بالازهر ، وحضر دروس المدرسة الاباضية بطولون (3)

اذ يقول عنه سليمان الحيلاتى « ومنهم ابو زيد عبد الرحمان بن احمد الحيلاتى الحامل علم المعقول من القاهرة الى جربة » (4)

حيـــاته العمليـــة :

يقول سليمان الحيلاتى : « وبعد مقتل الشيخ ابى سليمان الحيلاتى » اى سنة 967 هـ : 1559 ـ 1560 م (5)

وهكذا استمر الشيخ عبد الرحمان الحيلاتى يدرس ـ اذ يقول الحيلاتى : « ومن نوره اقتبس علم المعقولات ـ مستندة الى نائب الفاعل ـ (6) ويشرف على نظام العزابة متصديا لما يحدث من مشاكل فى الجزيرة ، وكانت هذه الفترة قاسية لتوالى هجومات الاسبان والاتراك على جربة .

ولم نتمكن بعد من ضبط تاريخ وفاته .

---

(1) انظر قسم مواقف عزابة جربة ضد السلط الحاكمة
(2) انظر الملحق الثانى ص 333
(3) انظر قسم المدارس العلمية من هذا البحث
(4) رسالة مشاهد علماء جربة ص 4 ـ رسالة ابن تعاريت ص 69
(5) الملحق الاول
(6) رسالة مشاهد علماء جربة ص 4

وبانتهاء القرن العاشر هـ السادس عشر م انقطع نسل اسرة السمومنى (1) وتلتها اسرة اخرى فى الحكم هى اسرة ابن جلود (2)

ومن هذا الحين بدا يتقلص نفوذ العزابة السياسى اذ تعين امراء هذه الاسرة الجديدة السلطة الحاكمة .

فمن هم شيوخ العزابة فى القرن الحادى عشر ؟

---

(1) انظر مؤنس الاحبة تعليق رقم 2 ص 106 ولم نتمكن بعد من تحقيق اسماء كل افراد هذه الاسرة .
(2) سوف لا اهتم بافراد هذه الاسرة الا من حيث معارضتهم لشيوخ العزابة فى بعض المواقف ومن اراد التدقيق فى شانهم فليطالع كتاب مؤنس الاحبة فى اخبار جربة

شيوخ العزابة فى القرن الحادى عشر هـ : السابع عشر م

النصف الاول منه :

1 ـ انتقال مشيخة الحكم الى اسرة ابن جلود

2 ـ شيوخ الحلقة هم :

أ ـ ابو الربيع سليمان بن عبد الله من اولاد ابى زيد الصدغيانى

ب ـ ابو الفلاح الياس بن داود الهوارى المزرايى .

ج ـ سعيد بن محمد التغزويسنى

ان الناظر فى وثيقة الحيلاتى (1) ، يتبين ان مجلس العزابة انتقل فى مدة قصيرة بين ثلاثة مساجد . وان دل هذا على شىء فانما يدل على عدم الاستقرار لان مجلس العزابة اصبح يخشى على نفسه من السلطة الحاكمة ، خاصة وانه فقد تاييد شيوخ الحكم اذ اصبحت تعينهم الدولة .

فاسرة ابن الجلود وان كانت اباضية فانها ليست كاسرة بنى سمومن من حيث التماشى مع نظام العزابة .

وهكذا ما انيستقر المجلس فىمكان للتشاور والنظر فىشؤون البلاد حتى تتجه اليه الانظار فيتوقف مدة قصيرة ثم ينقل الى آخر .

شيوخ الحلقـــة :

لم تفصل المصادر اخبارهم الا انها اوردت بعض مواقفهم الاصلاحية .

وعبارة الحيلاتى (2) واضحة فى شان رئاسة الشيخين الياس الهوارى وسليمان الصدغيانى اذ تقول : «يجتمعون باذنه»

ومما يثبت تحملهما المسؤولية اشرافهما على المشاريع الخيرية ومنبينها:

---

(1) انظر الملحق الاول
(2) انظر الملحق الاول ص 330

اصلاح جامع الشيخ بحومة السوق مع الشيخ قاسم بن سعيد اليونسى سنة 1028 هـ : 1618 ـ 1619 م (1)

وتفقد ثغور الجزيرة فى كل شهرين (2)

اما الشيخ ابو عثمان سعيد بن محمد التغزويسنى

فاننا وجدنا فى شانه انه قادر على النسخ من سنة 999 هـ : 1590 ـ 1591 م (3) وهذا يدل ان ثقافته اكتملت منذ هذا التاريخ او على وشك الاكتمال .

ويذكر الحيلاتى انه كان مهتما بالتدريس بمسجد وادى الزبيب وعضوا من اعضاء مجلس العزابة (4)

وتوفى الشيخ سعيد سنة 1073 هـ : 1162 هـ 1163 م (5)

وقبل ان ننتقل الى النصف الثانى من هذا القرن يحسن ان نعرف بابى الفضل **قاسم بن سعيد اليونسى** .

قد ذكرنا مشاركته فى اصلاح جامع الشيخ بحومة السوق ، ومما يثبت ايضا سعيه فى مصلحة الاباضية كثرة الوشايات فيه للمسؤولين الى انسجنه امير جربة عمر بن موسى ابن جلود 1007 ـ 1014 هـ : 1598 ـ 1599 الى 1605 ـ 1606 م سنة 1010 هـ : 1031 ـ 1062 م مدة اربعة وعشرين يوما

---

(1) رسالة ابن تعاريت ص 61
(2) نفس المصدر ص 62
(3) قد نسخ فى هذا التاريخ الجزء الثالث من كتاب الصلاة تاليف اشياخ نفوسة خ بمكتبة الشيخ حمو بقارداية (ميزاب)
(4) الملحق الاول
(5) دفتر رقم 1 ص 58 مكتبة الشيخ سالم

ونجده بعد ذلك سنة 1012 هـ : 1603 ـ 1604 م بتونس ليدافع عن نفسه ، ويذكر ابن تعاريت انه افلح في هذا الدفاع وانتصر على خصومه .

ورجع الى جربة معززا حيث توفي سنة 1034 هـ : 1624 ـ 1625 م (1)

النصف الثاني من القرن الحادي عشر هـ : السابع عشر م

مشيخة الحكم : لاسرة ابن جلود

مشيخة الحلقة : ترجع الى :

1 ـ عبد الله بن سعيد السدويكشي

2 ـ محمد بن عمر ابن ابي ستة

1 ـ ابو محمد عبد الله بن سعيد بن احمد بن عبد الملك السدويكشي (2)

يقول ابن تعاريت :

« بعد موت الشيخ سعيد التغزويسني تولى رئاسة مجلس العزابة العلامة عبد الله بن سعيد السدويكشي الى ان توفي تولى رئاسته تلميذه ابن ابي ستة » (3)

ويذكر ابن تعاريت ايضا انه يحكم بين المتخاصمين في مسجده بني لاكين (4) ، وهناك يجتمع عليه غالب فقهاء الجزيرة (5)

---

(1) رسالة ابن تعاريت ص 60
(2) نسبة الى سدويكش وهي قبيلة بربرية سميت بها جهة من جهات الجزيرة وهي اول قرية بالنسبة للآتي من القنطرة
(3) رسالة ابن تعاريت ص 76
(4) انظر الخريطة
(5) رسالة ابن تعاريت ص 86

هذا يدل انه قعد به للتدريس كذلك رغم بعد الجامع عن مسكنه اذ لا تقل المسافة بينهما عن 15 كلم .

وقد وقعت جفوة بينه وبين امير البلاد ابن جلود (1) فحكم عليه ان يتزيى بزي خاص حتى يشار اليه بالاصابع وهو لباس طاقية بيضاء (2) . لكن سرعان ما تبعه تلاميذه واصبحت زيا رسميا للعزابة (3)

ويقول عنه ابن تعاريت انه « له في علم الكلام اليد العليا ، وتبحر في اصوله وفروعه وله مؤلفات عديدة (4) سنذكر بعضها في قسم مؤلفات العزابة

وقد حج في آخر عمره فتوفي بمكة ويكون ذلك بعد 1068 هـ : 1657 ـ 1658 م (5)

2 ـ ابو عبد الله محمد بن عمر ابن ابي ستة القصبي السدويكشي اشتهر بالمحشي (6)

نشأته بمصر : ولد محمد هذا بجربة سنة 1022 هـ : 1613 ـ 1614 م ثم سافر الى مصر بعد ان حفظ القرآن الكريم ليدرس بجامع الازهر بالقاهرة بالمدرسة الاباضية هناك وذلك سنة 1040 هـ : 1630 ـ 1631 م

فبقي هناك ثماني وعشرين سنة تلميذا ناشطا في اول الامر ، ثم تولى التدريس بالازهر حيث يشار اليه بالبدر وكذلك بمدرسة الاباضية بحي طولون

نشاطه بجربة : لقد رجع اليها سنة 1068 هـ : 1657 ـ 1658 م وادرك الشيخ عبد الله السدويكشي في آخر عمره .

---

(1) لم يحدد النص اسم هذا الامير ولعله سعيد بن عمر متوفى سنة 1016 هـ : 1650 ـ 1651 م
(2) و (3) رسالة ابن تعاريت ص 88
(4) نفس المصدر ص 87
(5) انظر بعد اسطر
(6) ترجم له ابن تعاريت من ص 75 ـ 78

جامع المحشى (بورسيفن حومة سدويكش)

منظر عام من الخارج

وما ان توفى هذا حتى اسندت اليه مهام رئاسة الحلقة والتدريس فى نفس الوقت فكان ناشطا اكثر ممن سبقه ، اذ كانت له ثلاثة مجالس علمية عامة فى مساجد مختلفة (1) حتى ييسر على التلاميذ :

1 – بمسجده المشهور بابى ستة بسدويكش

2 – بمسجد القصبيين بقلالة .

3 – بمسجد بنى لاكين بغيزن وهو اهمها اذ يحضره اغلب فقهاء الجزيرة وطلبتها وكان يصلى هناك الظهر ويبدا فى الدرس الى صلاة العصر وبعدها يجلس للحكم بين الناس .

وله مكان معلوم بالمسجد الى اليوم يحكم فيه بين الناس بـه مقصورة ببابها يجعل فيها الممتنع عن اداء الحق لا يخرج منها حتى يذعن .

« ورايت بمسجد بنى لاكين (2) دفترا بخزانة الكتب فيه تقييدات غالب احكامه الصادرة منه هناك » (3)

وله تآليف عديدة اشهرها حواش على مصادر الاباضية ولذلك اشتهر بالمحشى ، وقل ان يطالع كتابا دون ان يعلق عليه .

وعدد هذه الحواشى حوالى العشرين .

وتوفى بجربة سنة 1088 هـ : 1678 – 1679 م وعمره 65 سنة وقبره معروف بالمحشى بورسيفن من حومة سدويكش .

وقد رثاه احد تلاميذه وهو على بن سالم ابن بيان من جهة مجماج بجربة بقصيدة طالعها : « لله اشكر لوعتى وشجونى . . . » (4) . وقد جمع حواشيه .

هؤلاء شيوخ القرن الحادى عشر فمن هم شيوخ القرن الثانى عشر ؟

---

(1) نفس المصدر

(2) انظر الخريطة لتحديد هذه المساجد

(3) ان هذا الدفتر موجود بين ايدينا الا ان قسم احكام المحاشى قد تلاشى – انظر اشراف عزابة جربة على النوازل ص 275 – والنص من كلام ابن تماريت صاحب الرسالة ص 76

(4) رسالة ابن تماريت ص 78

شيوخ العزابة فى القرن الثانى عشر هـ : الثامن عشر م

ان اتفقت النصوص بالنسبة للقرون السابقة فانها تضطرب من طالع هذا القرن ، اذ نجد نصوصا تثبت انقطاع نظام العزابة بجربة واخرى تقرر وجوده

اما النصوص التى تشير الى انقطاعه فهى :

يقول الحيلاتى « انقطع الامر بالمعروف والنهى عن المنكر جهرا من حين توفى الشيخ سليمان بن قاسم اليونسى سنة 1060 هـ : 1650 م » (1)

ويقول ابن تعاريت « وبعده (المحشى) لم نعلم بوقوع المجلس للعامة الا لخاصة فقط الى يومنا هذا وهو سنة 1273 هـ : 1856 ـ 1857 م » (2)

ويقول ايضا وبعدهم (اسرة ابى ستة) لم اعلم احدا تولى مجلسا للعلماء فى التفسير والحديث واصول الدين الى زماننا هذا اى 1273 هـ : 1856 م » (3)

واما النصوص التى تقرر وجوده فهى :

1 ـ وثيقة احكام العزابة ، وان كانت ناقصة فان آخر حكم سجل بها ارخ سنة 1204 هـ : 1789 ـ 1790 م بمسجد بنى لاكين .

2 ـ وجود شخصيتين علميتين فى هذا القرن سنتبين من نشاطهما اعمالا منظمة تدل على انها صادرة عن مجلس العزابة وهما :

ا ـ الشيخ يوسف المصعبى

ب ـ ابنه احمد بن يوسف المصعبى

---

(1) رسالة الحيلاتى فى حوادث جربة ص 6
(2) رسالة ابن تعاريت ص 64
(3) نفس المصدر ص 84

وبهذا تقرر وجوده فى هذا القرن الا انه بدا يضعف شيئا فشيئا ، وقد لاحظنا ذلك من نهاية القرن السابق ، ولسنا ندرى هل اتى يوسف المصعبى اثر وفاة المحشى او بعدها بمدة طويلة

النصف الاول من هذا القرن

الشيخ يوسف بن محمد المصعبى

يقول ابن تعاريت عنه «وكان مفتى جربة ورئيس مجلس الحكم فيها ، وله مجالس للتدريس فى كثير من المساجد غير الجامع الكبير الذى هو محط رحله وكبير المدرسين به (1) .

هو ابو يعقوب يوسف بن محمد المصعبى المليكى (2)

لقد انتقل يوسف هذا مع والده من وادى ميزاب الى جربة واستقر بها . ونجد ذكره من سنة 1103 هـ : 1691 ـ 1692 م فى احداث الجزيرة ، اذ مثل جربة فى هذا التاريخ بالاجتماع العلمى الذى انعقد بلالوت (3)

واعتمادا على هذا يمكن ان نثبت انه ترأس المجلس وقعد للافتاء والتدريس من هذه الفترة .

وله عدة مواقف تثبت منزلته العلمية نذكر منها موقفين :

اولهما : يثبت ترؤسه لحلقة العزابة وهو افتاؤه باهدار دم احد العصاة .

يقول ابن تعاريت « ولما ثبت ذلك عند المشائخ عنه افتى فى اهدار دمه الشيخ يوسف بن محمد المصعبى والشيخ سعيد بن يحيى الجادوى لطعنه فى الدين » (4)

---

(1) رسالة ابن تعاريت ص 107
(2) رسالة ابن تعاريت ص 100 ـ 107 المصعبى نسبة الى جبل بنى مصعب المليكى : نسبة الى مليكة احدى قرى وادى ميزاب
(3) قسم علاقة جربة بنفوسة ص 288
(4) رسالة ابن تعاريت ص 100

وهذا تحليل الواقعه : لما بلغ شيوخ العزابة وعلى راسهم يوسف المصعبى ان عبد الرحمان اليونسى من حومة قشعيين (1) يطعن فى الديـن ويتجسس عليهم اجتمعوا للنظر فى هذا الخبر .

ولما ثبت عندهم ذلك هدروا دمه ولم يعينوا القاتل وسرعان ما تصدى احد الانصار لقتله ، فخشى الشيخان على حياتهما ، وتحولا الى طرابلس سنة 401! هـ : 1717 – م ، ثم عادا الى جربة عند استيلاء على باشا على تونس 1147 هـ : 1734 م

ثانيهما : يتمثل فى الدفاع عن شهادة الجربيين لما طعن فى ثبوتها بعض فقهاء طرابلس ، وذلك برسالة بين فيها الشيخ يوسف عقيدة الاباضية ارسلها الى طرابلس سنة 1169 هـ : 1755 ـ 1756 م (2)

ويذكر ابن تعاريت كذلك انه كان مهاب الجانب يعظ الامراء والحكام ولا يخشى فى الله لومة لائم (3)

وتوفى سنة 1188 هـ : 1774 ـ 1775 م وقبره معروف فى روضة الجامع الكبير . وترك ما لا يقل عن عشرين مؤلفا بين رسائل وحواش (4)

(1) انظر الخريطة حومة صدغيان
(2) رسالة ابن تعاليت ص 101
(3) نفس المصدر ص 102
(4) انظر قسم مؤلفات عزابة جربة

النصف الثانى من القرن الثانى عشر هـ : الثامن عشر م

الشيخ امحمد بن يوسف المصعبى :

ويقول ابن تعاريت عنه : تولى منصب والده فى جميع الامور من رئاسة مجلس العلم والحكم والتدريس والفتوى بمدرسة الجامع الكبير (1)

وقد اكتفى ابن تعاريت عند التعريف به بذكر مناظرته علماء تونس بحضرة الباى دون ان يحدد التاريخ ، غير انه اشار الى انه لم يذهب الا بعد انعقاد مجلس الشورى

وترشيح المجلس اياه لقيادة الوفد الجربى لاداء هذه المهمة التى على اساسها يتبين الباى حقيقة الاباضية له من الاهمية ما له .

وعبارة ابن تعاريت انعقد مجلس الشورى (2) صريحة تثبت ان مجلس العزابة ما يزال قائما

وتوفى الشيخ امحمد المصعبى سنة 1207 هـ : 1792 ـ 1793 م

هذا هو الشيخ امحمد المصعبى فهل بقى للعزابة نشاط بعد وفاته ؟

(1) رسالة ابن تعاريت ص 108
(2) رسالة ابن تعاريت ص 109

القرن الثالث عشر هـ : التاسع عشر م

يستفاد من رسالة ابن تعاريت ان المجلس الاعلى بدأ ينخرم اثر وفاة الشيخ امحمد المصعبي اذ اوصى بالتدريس فقط بالجامع الكبير لابي الربيع سليمان ابن محمد الشماخي فبقى فيه الى ان توفي سنة 1234 هـ : 1819 م ــ 1819

فتولى بعده رئاسة مدرسة الجامع الكبير الشيخ سعيد بن عيسى الباروني المتوفى سنة 1284 هـ : 1868 م وهو شيخ سعيد ابن تعاريت صاحب الرسالة في تاريخ جربة التى اعتمدنا عليها في هذه المرحلة الاخيرة .

ثم ذكر ابن تعاريت اسماء كثير من المدرسين في عدة مساجد ، مما يثبت ان النشاط العلمي متواصل .

الا ان شكواه مما في عصره ، حيث يقول : «ومع هذا الضعف في العلم والراى تجدهم لا يتحدون على لفظة وكل مقتنع برايه وما عنده من علم. » (1) تثبت ان نظام العزابة وان بقى قائما اصبح لا يؤدى وظيفته على احسن وجه ، اذ يقول اثناء حديثه عن احمد بن محمد ابى مسور .

« وعليهم (اولاد ابى مسور) مدار عزابة وقتنا» (2)

وقد استمر هذا النشاط البسيط الى عصرنا هذا . فكلما يشعر احد بشيء من القدرة على التعليم يتصدى خاصة لتحفيظ القرآن الكريم .

لكن نجد غالبا شيخا تجله الجماعة اكثر من غيره فتستشيره في بعض امورها الدينية وقد تعمل برايه وقد لا تعمل .

ومن ذلك شهادة ابن تعاريت في الشيخ عياد بن الحاج عمر بن قيراط الصدغياني : «وهو المقصود في زمانه بجربة واليه المرجع في الفتوى والنوازل . . وجانبه محترم» (3)

---

(1) رسالة ابن تعاريت ص 31

(2) رسالة ابن تعاريت ص 37

(3) نفس المصدر

واستمر الوضع على هذه الحال الى يومنا هذا ، اذ يستشير كثير من الجماعة الشيخ سالم بن يعقوب (1) .

اما مشيخة الحكم فقد تحولت الى اسرة ابن عياد من سنة 1172 هـ : 1758 م بانقطاع نسل الجلوديين ، وقد تلاشت كل آثارهم ولم يبق منها الا بعض الجوامع نذكر منها جامع الشيخ بقشعيين بقية اسرة بن جلود .

واولهم القائد حميدة بن قاسم بن عياد مؤسس جامع القائد بصدغيان سنة 1203 هـ : 1788 ــ 1789 م كما هو مرسوم على ساعته الشمسية .

وهذه الاسرة موالية للدولة وسيرتها مثل سيرة الجلوديين ، وقصورهم ما تزال قائمة في حومة صدغيان منها ما تسرب له الخراب . ونسلهم موجود الى الآن .

خاتمــة :

هكذا نتبين ان نظام العزابة قام في جربة من النصف الاول للقرن الخامس هـ : الحادى عشر م الى نهاية القرن الثاني عشر هـ : الثامن عشر م اى مدة ستة قرون وثلثي قرن يزدهر احيانا ويضعف حينا .

والناظر فيما كتبنا عن عزابة جربة الى نهاية هذه المرحلة يتبين انا تتبعنا مجلس العزابة الاعلى الذى يشرف على كل مصالح الجزيرة ، ولم ننظر في الهيئات المتفرعة عنه في كل قرية او حومة ، وحتى بالنسبة للمجلس الاعلى فاننا اكتفينا بالتعريف برئيس المجلس وباهم الاعضاء فيه وذلك حتى لا يتشعب البحث ، ولقلة النصوص بالنسبة لهذه الجزئيات .

فما هى صلاحيات هذا المجلس في جزيرة جربة ؟

---

(1) انظر ترجمته تعليق رقم (1) ص 163

صلاحيات مجلس العزابة بجربة

لقد تتبعنا في الفصل السابق مجلس العزابة الاعلى منذ تاسيسه ، وذكرنا اهم اعضائه ورئيسه في كل نصف قرن ، فلنتتبع في هذا الفصل صلاحيات هذا المجلس وما قام به من نشاط عبر هذه القرون بالاعتماد على ما وجدنا من مخلفاته سواء المكتوبة او المعالم الاثرية (1)

اشراف العزابة على المساجد

ان سلطة العزابة روحية قبل كل شيء ، والمجتمع الاسلامي يقوم على المسجد اذ هو مكان الصلاة وندوة اللقاءات ، وهو المحكمة ، وهو منطلق الامر بالمعروف والنهي عن المنكر .

واساس وظيفة العزابة الدعوة الى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة. فلذلك اختاروا بيوت الله منطلقا لهذه الدعوة .

ولهذه البيوت حقوق وواجبات ، والمشرفون عليها هم اعضاء العزابة ، اذ قد بينا ان من هؤلاء يكون امام الصلاة والمؤذن والوكيلان .

ومن الصعب ان نحدد ذلك في كل عهد بالنسبة لكل مسجد قام فيه نظام العزابة وذلك لقلة الوثائق التي تثبت ذلك ولكثرة هذه المساجد في جربة .

ولذلك سنحاول ان نبين اشرافهم على اوقاف المساجد التي يقوم عليها نشاطها .

وقد وجدت وثيقة في هذا الشان للشيخ ابي القاسم البرادي ، وهي جواب عن سؤال وجهه له شخص اكتفى بذكر اسمه : عمنا سليمان (2)

(1) اشرنا اليها ص التوطئة
(2) دفتر 1 ص 99 — 100 مكتبة الشيخ سالم

هذا بيان تحديد
املاك مصلحة
جماعة المصلين بجامع
لاكين بحومة غيزن

اوله جنان بناحية جوفي جامع لاكين يحد من القبلة جاده بعدها الجامع
[illegible]

وثيقة في بعض اوقاف جامع بني لاكين

يقول فيها : « والعمدة فى (تغميت) اى اوقاف جربة – اولاد الشيخ ابى زكرياء (فصيل ابن ابى مسور) وهم القطب فى تدبير امرها واصلاح امورها وترتيبها وابتدائها وانتهائها » .

ان ما يفهم من كلام البرادى ان السلطة العليا بالنسبة للاوقاف بيد اولاد ابى مسور ، يستدعها اليهم مجلس العزابة الاعلى ، وبيدهم تكون جميع الوثائق.

وقد حاولت ان اتحصل على شىء من هذه الوثائق فلم اظفر بطائل .

وقد اتصلت بقسم الاوقاف فى معتمدية جربة فاعلمنى المشرف عليه ان كل الوثائق احيلت الى مصلحة املاك الدولة ولم تبق لديهم الا دفاتر لاحصائيات (1)

والناظر فى هذه الدفاتر يتبين ثروة كل مسجد وخاصة تلك التي كان للعزابة فيها نشاط .

ونذكر على سبيل المثال :

ا – اوقاف جامع غار مجماج الذى الف فيه ديوان العزابة وهى : 114 زيتونة فى اماكن متفرقة ، وقطعة من الارض بها 3 اصول من النخيل

ب – اوقاف جامع وادى الزبيب (2) وهى :

74 زيتونة فى اماكن متفرقة .

قطعتان من الارض بكل واحدة منها 5 زياتين .

ثلاث قطع من الارض صالحة للزراعة .

13 نخلة فى اماكن متفرقة (3)

الا ان الواقف عند هذه الاحصائيات يتبين انها اهملت ذكر كثير من الاوقاف اما لفقدان الوثائق او لجهل مواقع الكثير منها خاصة التي لم تسجل فى وثائق . (4)

---

(1) دفتر دخل وكالة بنى ديس 1959 نيابة جربة من رقم 1656 الى 1907
(2) انظر تفصيل الحديث عنه فى قسم التعليم بجربة ص 247
(3) دفتر وكالة بنى ديس 1959 من رقم 3326 الى 3349 ص 134
(4) وكثير من الناس يمتعون ذلك فتكون العملية بالعرف

ومعلوم ان هذه الزيوت والتمور والحبوب وغيرها ، منها ما يدخر (1) وما زاد على الحاجة يباع فينفق ثمنه على مصالح الجامع او الجماعة التى خصص لها الوقف .

ويروى سلامة الجناونى عن شيخه يونس ابن تعاريت القرن العاشر هـ : السادس عشر م ما يلى فى شان الاوقاف :

« وقال لنا فى ما تاكل الطلبة من مال المسجد ، اما التمر والعنب فجائز واما الزيت فانهم ياخذون منه ما يحتاجون اليه وهو ما يراه اهل الصلاح» .

وقال لنا عمنا الشيخ سعيد السدويكشى (2) كان عمر بمسجد الورطينيين (3) بقلالة فياخذ منه مستغل (؟) وهو فى غاية الورع

وقال لنا فى عمنا صالح المغراوى (النصف الاول من القرن السابع هـ : الثالث عشر م) كان فى مسجد الجديد اربعين سنة فكان ياخذ سهمه – اى نصيبه – مع الطلبة من التمر .

ومعلم الصبيان جعلوا له فى زماننا هذا (القرن العاشر هـ : السادس عشرم) اربعة دنانير من مال المسجد فى كل سنة .... » (4)

ويقول البرادى فى الجواب الذى اشرنا اليه سابقا (5) موضحا لشخص يستفتيه فى نخيل المسجد : «فاعلم رحمك الله ان كان عطاؤك اياها انتفاعا بغلتها لا تملكا لرقابها ( ) من عمار المسجد ومن جملة طلبته الذين :

ا – يحضرون المجلس

ب – ويشهدون الجماعات

ج – ويحضرون الختمات وليالى الاحياء .

---

(1) فى كل مسجد نجد عدة مخازن للادخار
(2) والد الشيخ عبد الله السدويكشى انظر ترجمة الابن ص 224
(3) هو جامع تيواجن اليوم حسب رسالة مشاهد علماء جربة للجيلانى
(4) دفتر رقم 1 ص 99 مكتبة الشيخ سالم
(5) انظر ما سبق ص 235

فلا باس عليك ، وواسع لك ما عملت ولو كان مقرنا للقرآن .... فهـو وجه من التعاون على البر والتقوى ، وما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم (1)

قد اثبتنا هذه الوثائق على طولها لانها تساعدنا على تقرير بعض الحقائق

1 ـ في شان الموقوف عليهم وهم :

1 ـ التلاميذ الذين يدرسون بالمسجد .
2 ـ ائمة الصلاة .
3 ـ المدرسون بها .
4 ـ اعضاء مجلس العزابة .
5 ـ من يحضر المجالس والختمات من العامة .

2 ـ في شان الاوقاف :

ان الموقف يمكن له ان يحبس شجرا او ارضا الخ ، فيدخـل ذلـك تحت تصرف وكلاء المساجد .

وقد يوقف الغلة فحسب فيتكفل بان يوصلها الى وكيلي المسجد دون ان يكلفهم مشقة .

كما ان هذه الاوقاف منها ما يحبس عامة ، ومنها ما تخصص به جماعة دون اخرى وعلى وكلاء المساجد ان يجمعوا كل وقف على حدة .

وكان يحسن لو فصلنا الحديث عن طريقة توزيع هذه الاوقاف في مسجد من مساجد العزابة في فترة من الفترات الا ان المصادر تعوزنا في هـذا الشان وفقدانها ليس غريبا ، اذ يابى غالبا من يسخر عمله لله ان توثق اعماله بتقاييد حتى لا يدخلها الرياء .

ان اشرافهم على الاوقاف يفرض حتما نظرهم في حالة التلاميذ فما هي صلتهم بالمدارس العلمية ؟

---

(1) دفتر رقم 1 ص 100 مكتبة الشيخ سالم

الاشراف على المدارس العلمية (1)

يقول الشيخ عمر بن سعيد بن محمد بن زكريـاء في رسالـة وجهها الى الامام بلعرب بن سلطان ابن سيف بن مالك امام عمان (2) 1091 ـ 1104 هـ : 1680 ـ 1681 الى 1692 ـ 1693 م اثر زيارته الاباضية هناك .

« واخبرك يانعم السيد ببعض احوال جربة مـن اهـل هذه الدعـوة اي الاباضية في زماننا هذا مع ضعفهم وقلتهم وسوء حالهم (3) ، ومعهم من مدارس العلم ما يزيد على العشرين ، كل يعلم قدر علمه :

منهم من اقتصر على النحو واللغة وعلم الديانات .

ومنهم من تبحر في النحو ، واللغة ، والصـرف ، والمعـاني ، والبيـان ، والمنطق ، والتوحيد ، واصول الدين ، والفقه ، والحساب ، والفروض الشرعية، والعروض الشعرية .. وغيرها .

وهم من عادتهم يجتمعون في كل يوم احد وثلاثاء على شيخ من المشائـخ وهو ابوزيد ابن احمد ابن ابي ستة (4) فيقراون عليـه ، ويلقـون في المجلس المشكلات والسؤالات فيتحرى فيها الصواب ويزيل عنها الالتباس » (5)

فهذه وثيقة هامة جدا على راس القرن الحادي عشر هـ السابـع عشـر م وتدفع الباحث الى احصاء هذا العدد من المدارس ، والنظر في نشـاط البعض منهـا :

---

(1) مدرسة اصبحت مصطلحا يحمل عدة معان وقـد اطلقت في هـذا البحث على نشاط المساجد العلمي
(2) انظر تعريفها ص 295
(3) لعل هذا من باب التواضع
(4) يبدو انه تراس الحلقة اثر وفاة المحشى الى ان جاء يوسف المصعبي
(5) تحفة الاعيان بسيرة اهل عمان ج 2 ص 80

1 – مدرسة الجامع الكبير بحومة الحشان
2 – مدرسة وادي الزبيب في حومة جعبيرة
3 – مدرسة الغار في حومة محجاج
4 – مدرسة تاجديت في حومة فاتو
5 – مدرسة الغرباء في حومة السوق
6 – مدرسة بني لاكين في حومة غيزن
7 – مدرسة ابي كثير في حومة تغديمس
8 – مدرسة ليمس في حومة آجيم
9 – مدرسة التغزويستي في حومة بازيم
10 – مدرسة بوليمان في حومة جعبيرة
11 – مدرسة بوليمان في حومة صدغيان
12 – مدرسة مدارجن في حومة مزراية
13 – مدرسة تيفروجين في حومة والغ
14 – مدرسة تقومين في حومة والغ
15 – مدرسة تيواجن في حومة تيواجن
16 – مدرسة ابي ستة في حومة سدويكش
17 – مدرسة الحارة في حومة سدويكش
18 – مدرسة ابن يعلى في حومة بني ديغت
19 – مدرسة القصبيين في حومة قلالة
20 – مدرسة جدي عيسى في حومة ربانة

ومن اراد التثبت في مواطن هذه المدارس العلمية فلينظر الخريطة والملحق الثاني . ويصعب ان نتتبع نشاط كل مدرسة ، اذ منها ما يختص بتحفيظ القرآن وتعليم الخط فقط ومنها ما تتوفر فيه جميع الدروس حسب درجات التلاميذ ومنها ما يختص بدرجة دون اخرى .

فبذلك سنقف عند تاريخ مدرستين وهما اهم المدارس اذ تمكنت كل واحدة منهما ان تواصل نشاطها مدة طويلة بدون انقطاع ، وقد تخرج منهما اشهر علماء الجزيرة وغيرهم من علماء الاباضية .

1 – مدرسة الجامع الكبير :

لقد بينا ان هذا الجامع اسسه ابو مسور في الثلث الاول من القرن الرابع هـ : العاشر م ، واتمه ابنه فصيل بعد وفاته (1) ، وكان اول من تولى رئاسة التدريس به .

وصف الجامع :

يقع هذا الجامع بحومة الحشان على بعد 4 كم غربي مدينة حومة السوق وهو من اكبر مساجد الجزيرة الى الآن ، ويبدو انه منذ تاسيسه على هذا الشكل اذ لا نجد علامة تثبت التوسيع .

وهو مربع طول ضلعه 15 م ولا يقل ارتفاعه عن ستة امتار .
هذا بالنسبة لبيت الصلاة .

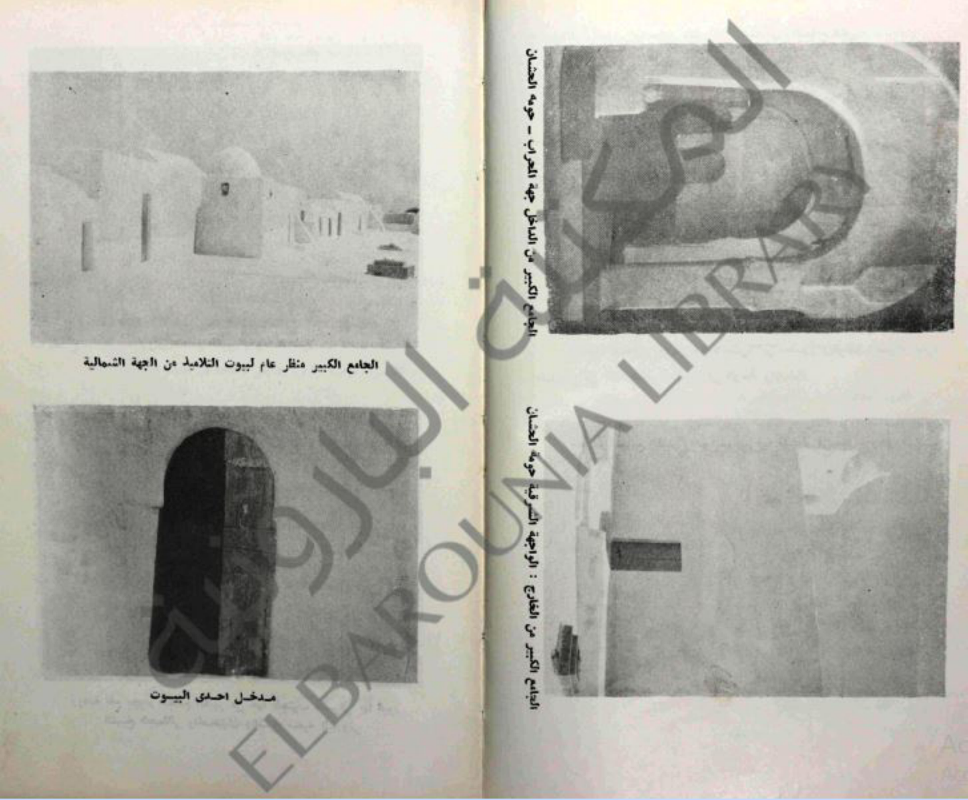
اما الصحن فقد ادخلت عليه عدة اصلاحات ، اذ نجد به من الجهة الشمالية 18 بيتا وقد تداعت ثلاثة منها ، وتظهر هندستها انها بنيت في عهود متتالية لتاوي التلاميذ الذين ظل عددهم يتكاثر

اما صومعته فموقعها يدل على ان المسجد وهبي ، وهي بسيطة جدا لا تتجاوز ارتفاع الجامع باكثر من ثلاثة امتار ، وهي شبيهة من حيث شكلها ببرج حراسة .

ثم نجد من الجهة الجنوبية الشرقية رواقا يبدو انه اقيم على انقاض رواق آخر سنة 1192 هـ : 1778 – 1779 م ، وطوله 5ر21 م وعرضه 5ر5 م .

ويروي الاخ يوسف الباروني (2) انه ادرك من الجهة الجنوبية الشرقية مسكنا كان مخصصا للمدرسين بالجامع .

(1) انظر ترجمة ابي مسور ص 164
(2) حافظ المكتبة البارونية حاليا . مدرس بمدرسة مليتة



الجامع الكبير منظر عام لبيوت التلاميذ من الجهة الشمالية

مدخل احدى البيوت

الجامع الكبير من الداخل جهة المحراب – حومة العشان

الجامع الكبير من الشارع : الواجهة الشرقية حومة العشان

اما الميضأة فهي من الجهة الغربية .

وبهذا الصحن 6 مواجل ودهليز كان يستعمل للادخار قد اغلق الآن ويحيط بالجامع سور من كل الجهات .

اهم المدرسين فيه :

القرن الخامس هـ : الحادي عشر م .

ابو زكرياء فصيل اليهراسني

ابو صالح اليهراسني

ابو محمد ويسلان اليهراسني

زكرياء بن فصيل اليهراسني

يونس بن فصيل اليهراسني

ابو الربيع سليمان بن يخلف المزاتي

القرن السادس هـ : الثاني عشر م :

سليمان بن يونس بن زكرياء اليهراسني

ابو يحيى زكرياء ابن ابي صالح اليهراسني

القرن السابع هـ : الثالث عشر م .

لم نتمكن من تحديد اي اسم

القرن الثامن هـ : الرابع عشر م :

اسماعيل الجيطالي

ابو يعقوب يوسف ابن ابي مسور توفي 1015هـ

القرن التاسع هـ : الخامس عشر م :

قاسم القاضي اليديسي

القرن العاشر والحادي عشر هـ : السادس والسابع عشر م :

لم نتمكن من تحديد اي اسم

القرن الثاني عشر هـ : الثامن عشر م :

يوسف المصعبي

امحمد بن يوسف المصعبي

القرن الثالث عشر هـ : التاسع عشر م :

سليمان بن محمد الشماخي

سعيد بن عيسى الباروني

وما يزال عامرا الى يومنا الا ان التدريس انقطع وامامة الجمعة والخوص فيه لاسرة ابي مسور ويعينهم افراد اسرة الباروني في القاء بعض الدروس في الوعظ والارشاد .

هذا هو الجامع الكبير واهم المدرسين فيه فلننظر في مدرسة وادي الزبيب

2 ـ مدرسة جامع وادى الزبيب

لقد ذكرنا انه اسسه محمد بن احمد الصدغياني في النصف الثاني من القرن السابع هـ : الثالث عشر م .

وصـف الجـامـع :

يقع بين حومتي جعبيرة ووادى الزبيب ويسمى الآن جامع ولحى (1) وهو في حالة خراب يحيط به سور من جميع الجهات به مدخلان شرقي وغربي .

والداخل من الباب الشرقي يجد على يمينه بيوت التلامية والميضأة وعلى يساره بيتا للطبخ ورواقا .

اما بيت الصلاة فقد وقع توسيعه وعلامة ذلك ان به محرابين (2) . وبيت الصلاة الاصلي يكاد يكون مربعا 10 × 10 م اما شكله الحالي فطوله 20 مترا وعرضه 10 م ، ولا يقل ارتفاعه عن خمسة امتار .

ورسمت بسقفه عدة نقوش ، جلها آيات من القرآن الكريم تذكر بعمارة المساجد

وهي عامة جدا خاصة من جهة المحراب ، اذ تثبت تاريخ الاضافة « رفع هذا السقف المبارك في رجب عام واحد وسبعين والف : 1071 هـ : 1660 م ،

ولبيت الصلاة بابان احدهما من جهة الشرق والآخر من جهة الشمال ويبدو انه مخصص للنساء .

اما صومعته فموقعها يدل على ان المسجد وهبي ، وهي مرتفعة الا انها شكلية ، اذ ليس بها مدارج .

---

(1) نسبة الى الاسرة التي اعتنت به في العهد الاخير

(2) لقد اصبح هذا عرفا في جربة تقريبا اذ جل الموسعين يتركون المحراب الاصلي علامة على ذلك



رواق الجامع الكبير بحومة الحشان



روضة تقع بجوار الجامع الكبير من جهة الجنوب الشرقي بها قبور الشيخ الجيطالي والمصعبيان والشيخ سعيد الباروني

اما الرواق فانه كبير جدا الا انه حديث كما تثبت النقوش التى بسقفه انه جدد سنة اثنتين وتسعين ومائة والف 1192 هـ : 1778 ـ 1779 م ، ويبدو ان الميضأة جددت معه اذ نجد تشابها بينهما .

اما بيوت التلاميذ فنجد بيتين كبيرين من الجهة الشرقية وآثار بيوتات كثيرة من الجهة الشمالية .

ونجد بالصحن خمسة مواجل ، ثم نلاحظ بهذا الجامع ظاهرة خاصة تذكرنا **بغار مجماج** . وهى وجود غار متسع شمال بيت الصلاة لا يبعد عنه اكثر من خمسة امتار داخل الصحن .

لقد تحطمت الآن مدارجه ، لكن مع ذلك يتمكن كل انسان من الدخول اليه بصعوبة فيجد قومسين متواليين . اولهما من الشرق الى الغرب 15 مترا تقريبا وعرض كل منهما ما لا يقل عن المترين . ولا يتجاوز ارتفاعه قامة الانسان . تربط بينهما فتحة صغيرة فقط ، وبالواجهة الامامية محراب .

ان لهذه الكهوف قيمة كبرى خاصة بالنسبة للعزابة والمدرسين . وقد راينا ان مدرسة ابى عبد الله مؤسس نظام العزابة غار بسيط ، اذ تكون الحرارة دائما معتدلة بها .

هذه المدرسة فمن هم المدرسون بها ؟

اهم المدرسين بها :

آخر القرن السابع هـ : الثالث عشر م :

يعيش بن موسى الزواغى الجربى

القرن الثامن هـ : الرابع عشر م :

الشيخ يعيش نفسه

ابو القاسم بن ابراهيم البرادى

القرن التاسع هـ : الخامس عشر م :

ابو محمد عبد الله البرادى

سليمان بن ابراهيم البرادى

القرن العاشر هـ : السادس عشر م :

لم نتمكن من تحديد اى اسم

القرن الحادى عشر هـ : السابع عشر م :

سعيد بن محمد التغزويسنى

ولم نتمكن من ضبط البقية .

ان مقارنة بسيطة بين قائمة المدرسين في هذين المسجدين تبين ان النشاط يكمل بعضه ، فان لم نجد مدرسا فى مدرسة الجامع الكبير فى القرن السابع هـ : الثالث عشر م فاننا وجدنا فى آخره الشيخ يعيش بجامع وادى الزبيب .

وان لم نتمكن من ضبط اسماء فى القرن العاشر هـ : السادس عشر م فى كلا المدرستين فان ذلك يرجع الى ان مدرسة جامع تاجديت بفاتو قد فاقتهما بوجود الشيخ يونس ابن تعاريت بها .

وهكذا يمكننا من ان نستنتج ان هذه المدارس لم ينقطع نشاطها تماما فى الفترات التى لم نتمكن من ضبط المدرسين بها ، وانما تتقدمها من حيث المنزلة مدارس اخرى .

وهذا يثبت ايضا ان النشاط العلمى قام كما ينبغى زمن اشراف العزابة على جربة ، اذ لا نجد فترة طويلة خالية تماما من هذا النشاط. فما هى البرامج التى طبقت فى هذه المدارس فمكنت بعض العلماء من مناظرة علماء تونس وغيرهم ؟

جـامع وادى الزبيب : منظر عام



رواق جامع وادى الزبيب بحومه جعبيره
ويسمى الان جامع ولحـى

برامج الدراسة

قد بينا ان شرط القبول بهذه المدارس حفظ القرآن الكريم حفظا جيدا(1)

ولم نعثر على وثيقة تضبط برنامجا معينا الا ان تتبع كتب السير خاصة يمكننا من ضبط خطوط عامة تقريبية لما يدرسه التلميذ في هذه المدارس .

ان رسالة عمر الجربي الى امام عمان تثبت ان بعض المدارس تدرس جل المواد اللغوية والدينية ، لكن بماذا يبدا التلميذ وبماذا ينتهي ؟

لا يمكن ان نجيب عن هذا السؤال الا اذا عرفنا الكتب المعتمدة في التدريس فما هي ؟

الكتب المعتمدة في التدريس

يقول ابن تعاريت « عقيدة التوحيد المعروفة بالعقيدة يبتدئون بها في تعليم التلاميذ ، لمن اراد منهم ان يستمر في قراءة التوحيد والفقه في جربة» (2)

فتكون عقيدة التوحيد هذه اول ما يحفظ التلميذ في هذه المدارس .

وهي متن في اصول الدين به مائتا سطر ويقول محققها الشيخ ابواسحاق ابراهيم اطفيش في مقدمة هذا التحقيق : « ويبدو على متن المقدمة (اى عقيدة التوحيد) المنسوبة الى العلامة ابى حفص (3) امور :

---

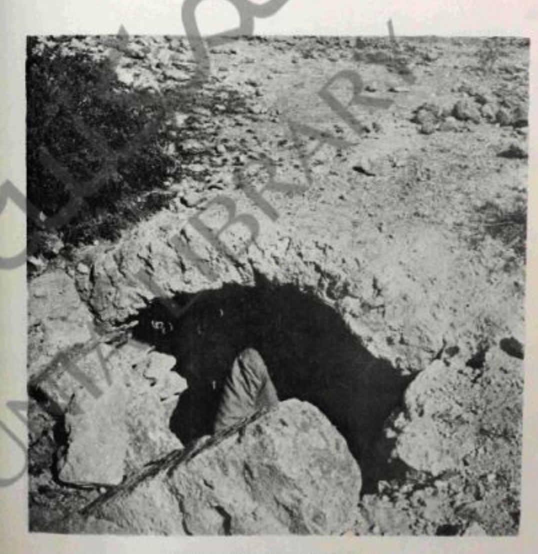
(1) انظر نظام التعليم في القسم النظرى

(2) رسالة ابن تعاريت ص 43

(3) هو ابو حفص عمر بن جميع : يقول عنه الشماخي « كان اماما مشهورا وكان من بين العلماء منظورا . اليه تنسب العقيدة التى كانت بالبربرية فابدلها بلسان العربية ، وهى اعتقاد اهل جربة وغيرهم غير نفوسة في ابتداء الطلبة» السير ص 561 . قد ترجم له الشيخ اطفيش في مقدمة التحقيق واعتبره من علماء النصف الثاني من القرن السابع هـ : الثالث عشر م وادرك بداية القرن الثامن هـ : الرابع عشر م .

وغاية ما نعرف عنه انه درس على الشيخ احمد الدرجيني صاحب الطبقات : رسالة ابن تعاريت ص 54 .

ثم اصبح كبير المدرسين بجامع تيفروجين من جهة والغ القديمة حيث يوجد قبره كما يقول الجيلاني في رسالته عن مشاهد جربة ص 6 ، واسرة ابن جميع ما تزال الى الآن بهذه الجهة . اما تاريخ وفاته فمجهول .



مدخل غار جامع وادى الزبيب

اشتمالها على ما لا يسع الناس جهله من مسائل التوحيد ... واحترازها على مسائل هى من قبيل مسائل التاريخ كذكر الانبياء ... وما هنالك من مهمات المسائل التى يلم بها المتعلم فى بداية التعلم ، حتى يكون آخذا بقسط من مسائل الدين والتهذيب واصول التشريع ... (1)

وقد نظم هذه العقيدة فى 198 بيتا الشيخ محمد بن سليمان بن صالح اليسجنى الميزابى (2)

ثم بعد ان يحفظ التلميذ هذه العقيدة يكون قد اخذ من كل شىء بطرف، ياخذ فى دراسة مواضيع مختلفة بالاعتماد على مؤلفات تتغير بمر العصور .

اما فى الفقه :

فيمكن ان نذكر ديوان العزابة ، ثم القصيدة الحائية الملقبة بتحريض الطلبة للشيخ ابى نصر فتح بن نوح الملوشائى ، وهو من علماء جبل نفوسة فى النصف الاول من القرن السابع هـ : الثالث عشر م . حسب طبقات البارونى .

ويفهم من كلام ابن جميع فى بداية هذه «العقيدة» : «وبعد فانى وجدت هذه النكتة منسوخة بالبربرية فى توحيد خالق البرية » ان ابن جميع ترجمها من البربرية الى العربية . ولم نعرف بعد مؤلفها .

وان دل هذا على شىء فانما يدل على اعتناء الاباضية بالبربر ، والناظر فى سير الوسيانى وغيره يجد كثيرا من النصوص بالبربرية لم تحقق بعد تحقيقا علميا .

ولهذه العقيدة عدة شروح احدها للشيخ ابى سليمان التلاتى ، والثانى للشماخى صاحب السير «واودعتها شرحا على قدرها» السير ص 561 طبعا مع المتن ، وللمحشى حاشية على شرح الشماخى ما تزال مخطوطة ، وكل الشروح بسيطة .

(1) مقدمة التوحيد ص 392

(2) مخطوطة بمكتبة الشيخ اطفيش – عمومية بابن يسجن بوادى ميزاب جلد رقم 13/285

اما فى اصول الفقه

فكتاب العدل والانصاف للشيخ ابى يعقوب يوسف ابراهيم الوارجلانى من علماء النصف الاول من القرن السادس هـ : الثانى عشر م .

وقد شرحه البرادى فى القرن الثامن هـ : الرابع عشر م (1) واختصره الشماخى صاحب السير .

اما فى اصول الدين

فالتحف فى الاصول لابى الربيع سليمان بن يخلف المزاتى متوفى 471 هـ 1078 _ 1079 م

ثم متن النونية لابى نصر ناظم الحائية التى اشرنا اليها فى الفقه .

ولا نرى فائدة كبرى فى ذكر بقية النصوص المعتمدة اذ نخشى ان نقع فى سرد اسماء كتب الاباضية وهذا ممل .

وقد استعنت فى ضبط هذه الاسماء بالشيخ سالم بن يعقوب وقد ثبت عنده ذلك بالاعتماد على دراسة عدة وثائق لم يعط الوقت لاطلع عليها .

كما انى تيقنت من ذلك عندما اتصلت بالشيخ ابراهيم بيوض شيخ وادى ميزاب الآن ، فوجدت انه يحفظ جل هذه المتون التى اشرت اليها ، ويرجع اليها عند الافتاء ، وقد درس بوادى ميزاب حسب برامج العزابة ، والشبه واضح بين وادى ميزاب وجربة وجبل نفوسة .

هذه الكتب المعتمدة فكيف تنظم الدروس ؟

تنظيم الدروس اليومية

لم اعثر على وثيقة تتحدث عن هذا التنظيم بجربة لكن وجدت وثيقة فى كتاب السير فصلت الحديث فى هذا الموضوع عن احد علماء جبل نفوسة والشبه بين الموطنين كبير كما ذكرت .

وهذا النظام قد طبقه الشيخ ابو زكرياء يحيى بن زكرياء النفوسى متوفى سنة 874 هـ : 1469 _ 1470 م وهو بمثابة جدول اوقات العمل .

---

(1) انظر مؤلفات العزابة ص 268

1 – جدول اوقات الدروس الصيفية :

– من صلاة الصبح الى طلوع الشمس : قراءة القرآن الكريم

– من شروق الشمس الى الضحى : قراءة الدول (1)

– عند الضحى استراحة قصيرة وصلاة النافلة

– من الضحى الى وقت الفطور :

1) تصحيح الالواح

2) الحساب وعلم الفرائض

– من الفطور الى صلاة الظهر : استراحة

– من صلاة الظهر الى صلاة العصر : دروس الفقه والاصول

– من صلاة العصر الى صلاة المغرب : استراحة

– من المغرب الى العشاء : ختمة القرآن

وقد يرجع بعد صلاة العشاء للنظر في الفرائض او غيرها ثم النوم .

2 – جدول اوقات الدروس في الشتاء :

نفس النظام عدا بعض التغيير :

– من شروق الشمس الى الضحى : تفسير القرآن الكريم

– من الضحى الى الفطور :

الحصة الثانية تكون لقراءة الـدول

وتكون دروس ما بعد العشاء في التفسير » (2)

هذه صورة من صور نظم اوقات الدراسة وهي متماشية وما قرره الشيخ ابو عبد الله مؤسس نظام العزابة . اما المواد بالنسبة لكل حصة فانها تتغير حسب اجتهاد شيخ الحلقة في كل عصر وما يناسب حاجيات التلامية .

---

(1) بعض النصوص بالتداول . مطالعة

(2) سير الشماخي ص 566

وهكذا يقضي التلميذ عدة سنوات في مثل هذا الاجتهاد ليتاهل للتدريس او القضاء او ما الى ذلك في ما بعد ولم نتمكن من تحديد عدد هذه السنوات

ذلك هو بعض نشاط المدارس العلمية بالجزيرة فهل العزابة بذلك ام كونوا مدارس علمية خارج جزيرتهم ؟

هذه اوقات التدريس فكيف يختار المدرسون ومن يؤدي اجورهم ؟

اختيار المدرسين

ان هذا يرجع الى شيخ الحلقة وقد يعينه على ذلـك اكبر المدرسيـن . ويكون عادة المدرسون من كبار التلاميذ المتخرجين من نفس المدرسة او غيرها . وقد يقع استجلاب بعض المدرسين من مواطن الاباضية .

من جبل نفوسة مثل الشيخ اسماعيل الجيطالي في القـرن الثامـن هـ : الرابع عشر م في الجامع الكبير .

ومن وادي ميزاب مثل الشيخ يوسف المصعبي في القرن الثاني عشر هـ : الثامن عشر م في نفس الجامع .

اجر المدرسين

ان الاثرياء منهم يعيشون على نفقاتهم الخاصة اما الفقراء فانهم يعتمدون على ما يخصص لهم من الاوقاف وعلى احسان المحسنين (1) .

ذلك هو بعض نشاط المدارس العلمية بالجزيرة فهل اكتفى العـزابة بذلك ام كونوا مدارس علمية خارج جزيرتهم ؟

---

(1) ذلك لان المسلمين يعتبرون هذا العمل جهادا يحسـن ان لا يؤجروا عليـــه .

ان نظام العزابة يرعى كذلك مصالح تلاميذ الجربيين الذين يعيشون خارج الجزيرة مع اوليائهم (1) . فلذلك نجد هؤلاء الجربيين يكونون فى كل موطن يتجمعون فيه دارا تسمى **دار الجماعة** ياوى اليها كل عمال البلدة ، ينتخبون لها رئيسا يرجع اليه الحل والعقد فى مراقبة التجار والعمال ، وله الحق فى تاديب العصاة حتى بالجلد (2) . وهذه الدار يكون فيها دائما مصلى يؤدون فيه صلاة الجماعة .

وتكون هذه الجماعة غالبا قسما لتحفيظ القرآن الكريم ولتعليم بعض المبادىء الضرورية فيرسل لهم شيخ الحلقة كفء قادرا على اداء هذه الوظيفة .

اهمها : مدرسة وكالة الجاموس بحى طولون بالقاهرة (3)

يقول الشيخ سالم بن يعقوب وهو آخر من عاش بها (4) : انها من حبس اسرتى البحار والجملى من آجيم فى القرن الحادى عشر هـ : السابع عشر م. اما الجامع : جامع طولون فيقول الشيخ عمر التلاتى (القرن الثانى عشر هـ . الثامن عشر م) : انه خلا وعمره الجربيون (3) .

ان هذه المدرسة تجمع بين عدة وظائف :

1 ـ ايواء التلاميذ : اذ بها بيوت معدة لذلك وقد يتفقون على اعداد الطعام جماعيا او يعد كل طعامه بنفسه .

---

(1) قد اشتهر الجربيون بالتجارة خارج جزيرتهم .
(2) نجد من هذه الدور فى تونس والكاف وماطر وباجة استمر نشاطها الى ما قبل عشرين سنة تقريبا .
(3) قد خربت الآن ولم يبق الا الجامع : جامع طولون
(4) انظر ترجمته ص 163 وهو يفكر فى نشر بحث فى هذا الشان
(3) نزهة الاديب وريحانة اللبيب

2 ـ تنظيم دروس فى مبادىء الاباضية : قد يتعين للقيام بها غالبا شيخ من شيوخ الجزيرة او اكبر التلاميذ .

ومثل ذلك وقع فى عهد عبد الرحمان الجيلاتى : النصف الثانى من القرن العاشر هـ : السادس عشر م وما وقع زمن المحشي المتوفى سنة 1088هـ: 1678 ـ 1679 م الذى بقى هناك ثمانية وعشرين عاما (1) .

وكذلك مع الشيخ عمر التلاتى (الثانى عشر هـ : الثامن عشر م) الذى استقر هناك الى آخر حياته .

ولا يجب ان نفهم من هذا رغبة الاباضية فى الانغلاق اذ يحضر التلاميذ الى جانب هذه الدروس بالمدرسة الاباضية دروس جامع الازهر وفى الشيخ المحشى وعمر التلاتى خير دليل على ذلك اذ قد درسا بالازهر ثم درسا فيه .

3 ـ مراقبة اخلاق التلاميذ بالقاهرة

4 ـ الانفاق على الفقراء من التلاميذ

كما اننا نجد بها مكتبة يتصرف فيها التلاميذ حسب حاجياتهم ، كما نجد بها كتبا اخرى فى شتى العلوم (2)

وقد ضمت مخطوطاتهما الآن الى مكتبة الشيخ ابى اسحاق ابراهيم اطفيش متوفى سنة 1386 هـ : 1966 م بالقاهرة .

ويمكن ان نشير الى مدرسة **جامع الهنتاتى** بسوق اللفة عدد 84 بتونس وقد اسست بعد انتهاء نظام العزابة بجربة . على راس القرن الرابع عشر هـ : التاسع عشر م .

هذه صورة عن نشاط عزابة جربة فى الاشراف على المدارس العلمية فهل عاقهم هذا النشاط عن التاليف ؟

---

(1) انظر ترجمتهما ص 220 وص 225
(2) انظر دفتر رقم 1

مؤلفات عزابة جربة

لم يقتصر شيوخ الحلقة واعضاؤها على التدريس ، والنظر في مصالح العامة فحسب بل اجتهد الكثير منهم في التاليف في شتى الميادين العلمية مثل الفقه واصول الدين والفرائض الخ ...

ويعسر ان احلل في هذا القسم كل مؤلفاتهم فساكتفي بالاشارة الى اهمها :

ديوان العزابة

قد قررنا ان هذا المؤلف اجتمع لتاليفه سبعة من العلماء في غار مجماج على راس القرن الرابع هـ : العاشر م (1)

ويذكر الوسياني انه يقع في اثني عشر جزء ، وقد ضاع جزء منه ، وينقل عنه الدرجيني ذلك دون ان يشير الى ضياع هذا الجزء .

ويذكران معا انه ينسب لابي عمران موسى بن زكرياء لما له من فضل البنان الا انه من تاليف جماعة الغار (2) .

وقد اهمل ابو زكرياء ذكر عدد اجزاء هذا الديوان ، كما لم يرو الشماخي اي رواية في هذا الموضوع .

الا اننا اذا نظرنا في رسالة الكتب للبرادي نجد انه يذكر مؤلفين :

« ويذكرون كتاب ابي عمران بن ابي زكرياء ولم اقف عليه »

«وكتاب الاشياخ اعني الديوان يكون في ستة اسفار صغار او ثلاثة كبار»(3)

(1) انظر تراجم جماعة غار مجماج ص 168
(2) سير الوسياني ص 26 ـ الطبقات ج 2 ص 191
(3) الجواهر للبرادي ص 220 ، رسالة الكتب ملحقة به .

اما عن تسمية هذا المؤلف في الفقه فتختلف حسب المصادر .

فمنها ما يسميه : ديوان العزابة

واخرى كتاب الاشياخ

واخرى ديوان المشائخ (1)

واخرى الديوان فقط (2)

واذا عرفنا وجود موسوعة فقهية اخرى ـ يطلق عليها نفس هذه الاسماء، تسندها المصادر غالبا الى علماء نفوسة (3) ، نتبين الصعوبة التي تقوم امام الباحث الا اننا وجدنا وثيقتين تسندها الى حوزة وارجلان وتذكران نفس العلماء الذين تذكرهم المصادر بالنسبة لجبل نفوسة . وتحددان تاريخ تاليفها سنة 461 هـ : 1068 ـ 1069 م .

وقد عثرنا على كثير من النسخ تحمل احدى هذه الاسماء في ابواب مختلفة لكن لم نعثر الى الآن على نسختين مختلفتين في موضوع واحد ونلاحظ ان هذه التسمية لا تمكن من اسنادها الى احدى الجماعات .

ما عدا النسختين اللتين اسندتا الى حوزة وارجلان وهما :

1 ـ قسم الطهارات وقد كتب في آخره « تم كتاب الطهارات المنسوخ من ديوان الاشياخ الذي الفوه بحوز وارجلان في عام 461 هـ : 1068 ـ 1069 م (4)

وهذا المخطوط اثبتت المقارنة انه السفر الذي طبع بالمطبعة البارونية بمصر 1315 هـ : 1897 ـ 1808 م .

وقد كان كثير من علماء الاباضية يعدونه من تاليف جماعة غار مجماج (5)

(1) سجلت هذه على المخطوطات التي وجدناها
(2) رسالة الكتب بملحق الجواهر ص 220 ـ سير الشماخي ص 401
(2) الطبقات ج 2 ص 241 ـ سير الشماخي ص 431
(4) مكتبة الشيخ باعامارة بمليكة وادي ميزاب
(5) مقدمة كتاب الورد البسام

2 ـ **قسم الصلاة** : وكتب في الصفحة الاولى منه : « هذا صلاة الديوان ..
أي ديوان المشائخ رحمة الله عليهم الذين وقعوه في حوزة وارجلان في عام 461 هـ (1)

فهذان جزءان تقرر امرهما اما بالنسبة لبقية الاجزاء . الصوم ، الوصايا ، الزكاة ، البيوع ، الضمانات الخ .. فانه يصعب ان نقرر في شانها رأيا قطعيا .

اما بالنسبة لقسم الاحكام فان صدقنا الشيخ محمد بن صالح الثميني المتوفى 1391 هـ 1971 م في تحقيقه لكتاب الورد البسام يمكن ان نعتبره من اجزاء ديوان غار مجماج (انظر مقدمته)

وقد عثرنا على كثير من النسخ المخطوطة منه في وادي ميزاب ولنا بجربة نسختان :

النسخة الاولى بمكتبة الشيخ سالم بن يعقوب

والثانية بالمكتبة البارونية بالحشان

وسنعتمد في هذا التعريف على نسخة الشيخ سالم لانها نسخت قبل الاخرى بثلاثة قرون وان نقصتها بعض الورقات في البداية .

والفرق بين النسختين من حيث الحجم يتماشى وقول البرادي « ستة اسفار صغار او ثلاثة كبار (2) ، اذ نسخة الباروني من القطع الكبير ونسخة الشيخ سالم من القطع الصغير .

- عدد صفحات هذه النسخة 161

بكل صفحة 24 سطرا

القسم المستعمل من كل صفحة 17,5 × 11,5 صم .

(1) مكتبة الشيخ الحاج حمو بقارداية وادي ميزاب
(2) رسالة الكتب ملحق الجواهر ص 220

وقد تم نسخها في اليوم الخامس عشر عند ضحوة النهار في شهر ربيع الاول عام 880 هـ : 1475 ـ 1479 م .

نسخها ابراهيم بن يحيى .. التندميرتي النفوسي في جزيرة جربة بصدغيان ببني داود (1)

وهي مقسمة الى ثلاثة اقسام :

القسم الاول من 1 ـ 56 به 54 بابا

يبتدىء بباب التنزه عن القضاء

وينتهي بباب الدعوة

القسم الثاني به 45 صفحة و 45 بابا

يبتدىء بباب الاقرار

وينتهي بباب ضمان الحاكم

القسم الثالث : به 60 صفحة و 58 بابا

يبتدىء بباب الايمان

وينتهي بباب ما تتم به الحيازة

لقد بوب هذا الكتاب تبويبا منطقيا اتبع فيه مؤلفوه الطريقة السلفية في سرد الآيات الكريمة والاحاديث والاخبار المأثورة في كل ما يتعلق بالقاضي في حد ذاته ، ثم مواقفه مع الخصمين وكيفية التثبت في القضية من حيث اعتراف المتهم وانكاره ، ثم كيفية تنفيذ الاحكام عند ثبوت البينات

وهذا تحقيق باب من ابواب الكتاب .

(1) هذا ما كتب في آخر النسخة وجامع بني داود معروف في غابة صدغيان الى الآن ـ انظر الخريطة

• واذا اقتتل رجل الى غيره من الناس ، وقد كان فى يده شىء يضرب به مثل الحجر او الحديد او العصا او ما شابه ذلك فانه يعزر على ذلك .

وان رماه ولم تبلغ الرمية ينكل ، ومنهم من يقول ان لم تصله الرمية فانه يعزر .

ومن وجد مع امرأة ليست له فى لحاف واحد وليس بينهما ثوب فانهما يعزران على ذلك

وكذلك من مثل بقاتل وليه بعدما قتله فانه يعزر فى ما ذكر من الكتاب.
والتعزير ما دون اربعين جلدة فى الظهور والكتمان ، ولا ينقصون الاربعين ولا يجاوزونها وقيل سبيله النكال ..

لقد ورد هذا الباب بين باب ما يؤدب به الطفل وباب ما يجب به النكال، وقد اخترته خاصة لقصره ولانه يمثل الطريقة الفقهية فى القديم وهى ايراد الآراء دون ذكر اصحابها وكذلك ذكر الآراء الغريبة (1)
الا اننا عندما نتتبع الكتاب نجد ان الآراء الهامة منسوبة الى اصحابها القرآن الكريم ، السنة ، جابر بن زيد ، ابو عبيدة مسلم بن ابى كريمة (ـ) الحسن البصرى ، على بن ابى طالب ، عمر بن عبد العزيز ..

هذه صورة من ديوان عزابة غار مجماج وان لم نصل يقينيا الى اسناده اليهم ومهما يكن من امر فان التشابه بين الديوانين كبير جدا اذ ينهلان من نفس المصادر ، ولعل الثانى استفاد من تجربة جماعة الغار ، وديوانهم يعتبر اول موسوعة فقهية عند الاباضية قد اجتمع لتاليفها فى مكان واحد علماء من شتى الجهات (3)

(1) فى لحاف واحد ..
(2) انظر المدخل التاريخى
(3) انظر تراجمهم فى قسم علماء غار مجماج

كتاب الوصايا والبيوع

جمع فى النصف الثانى : من القرن الخامس هـ : لحادى عشر م

لابى محمد ويسلان (1)

لما راى العزابة اجتهاد ابى محمد فى اعداد دروسه ، وتفكيره فيها مليا ابوا الا ان يسجلوا عنه جميع ما يقول على الالواح فتعاون ثمانية منهم على ذلك وهم :

حمو بن القلح – احمد بن ويجمن – عبد الرحيم بن عمرو – عبد الله بن عيسى – يحيى بن ويجمن – العز ابن تاغريت – حمو ابن ابى عبد الله – يحيى ابن يبدين

ثم عرضوها على الشيخ ابى محمد ويسلان فقال لهم : ايها ايها دلالة على سروره بهذا العمل المحمود فكان كتاب الوصايا والبيوع . (2)

هذان مؤلفان ثمرة مجهود جماعة :

فالاول بتعاون جماعة من العلماء

والثانى من املاء ابى محمد لكن لولا انتباه التلاميذ وتسجيلهم ما املى لما كان هذا الكتاب .

فما هى مؤلفات العزابة الفردية ؟

(1) هو اول من رتبت عليه اول حلقة بجربة انظر ص 188
(2) سير الوسياني صفحة 53 هذان الجزءان مفقودان واهميتهما واضحة لصلة الموضوعين بالحياة الاجتماعية الخ..

بقية مؤلفات العزابة

اما بقية مؤلفات العزابة فهي ثمرة مجهودات شخصية من شيخ الحلقة او بعض اعضائها فما هي هذه المؤلفات ؟

رسائل الشيخ يعيش الجربي ق 8 هـ : 14 م

1 ـ رسالة الى بعض الطلبة من اهل آريغ يلومهم على تقصيرهم ، تقع في ثلاث صفحات من الحجم الكبير (1)

بداها بذكر الرابطة المتينة بين جربة وآريغ ، ثم دعاهم الى التفقه ، وذكرهم بمجد سلفهم ، ثم دعا اولياءهم الى الاتفاق على تعليم ابنائهم ، وكأنه يدعوهم الى الاقبال الى جربة :

« لو صدقت محبتكم لابنائكم لامكنتموهم الشطر من اموالكم ولارسلتموهم في القرب (؟) من البلدان ، ولكن تكاسلتم فتكاسلوا والسلام . »

ان لهجة هذه الرسالة شديدة حاول فيها الشيخ يعيش زدع اهل آريغ .

2 ـ مرثية في العلماء والتلاميذ الذين ماتوا في الطاعون سنة 750 هـ : 1349 1350 م (2) وهي رائية عدد ابياتها 42 مطلعها :

وهما دهاني واستبى اللب والكرى

طوال الليالي مستكينا مدثرا

ونجد ذكر الاشخاص في الابيات : 5 ـ 9 ـ 31 ـ 32 ـ 33 ـ 34 ـ 35 ـ

وبعد المقدمات الشكلية حدد موضوع السؤال : مسالة في التيمم .

---

(1) دفتر رقم واحد ص 5 ـ 7 والاصل موجود بمكتبة الشيخ سالم

(2) دفتر رقم 1 ص 9 ـ 10 مكتبة الشيخ سالم ، وقد مات في هذا الوباء عبد الواحد اللحياني الذي ولاه المرينيون على جربة سنة 749 هـ : 1348 ـ 1349 م انظر مؤنس الاحبة في اخبار جربة ص 103

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وسلم

وهما دهاني واستبى اللب والكرى طوال الليالي مستكينا مدثرا

مرثيه الشيخ يعيش في رثاء العلماء والتلاميذ الذين ماتوا في الطاعون سنة 750 هـ .

3 ـ رسالة اجاب فيها احمد بن مكي عندما كان في قابس اي سنة 738 هـ : 1337 ـ 1338 (1)

ثم اجتهد في الجواب في جمع آراء اغلب الفقهاء في هذا الموضوع مع الاعتماد على القرآن والسنة .

مؤلفات البرادي ق 8 هـ : 14 م

1 ـ الجواهر المنتقاة في اتمام ما اخل به كتاب الطبقات (2)

2 ـ رسالة اثبت فيها كيفية انفاق اوقاف المساجد (2)

3 ـ رسالة ذكر فيها حقائق اكثر مسائل العلم وحدودها وشيئا من لاعتقاد والتوحيد اجاب بها الشيخ ابا عبد الله محمد بن احمد الصدغياني

قد نسخناها من مكتبة الشيخ اطفيش . عمومية : بابن يسجن وادي ميزاب (3) ، بها ست ورقات بكل ورقة 31 سطرا . القسم المستعمل منها 21 × 14 صم .

4 ـ كتاب شفاء الحائم على بعض الدعائم (4) لم يكمله اذ شرح جزء الطهارات فقط ، وقد جمعه تلاميذه من بعده (5)

5 ـ كتاب شرح العدل والانصاف (6) لم يكمله وعنوانه : البحث الصادق والاستكشاف عن حقائق اسرار معاني كتاب العدل والانصاف .

---

(1) دفتر رقم 1 ص 7 ـ 8 مكتبة الشيخ سالم . والقصيد من البحر الطويل
(2) انظر قائمة المصادر والمراجع ذكر مرات في البحث
(2) انظر ص 235 في البحث
(3) رقمها هناك سفر عدد 9 رقم 1531
(4) هو منظومة لاحمد بن نظر العماني مطبوع
(5) لم اطلع عليه انظر سير الشماخي ص 574
(6) مؤلفه ابو يعقوب يوسف الوارجلاني ق 6 هـ : 12 م

اطلعت على الجزء الاول منه مخطوطا بمكتبة الشيخ اطفيش ابن يسجن وادي ميزاب نسخ في 28 محرم 1200 هـ : 1 ديسمبر 1785م ، ولم يذكر اسم الناسخ ، نسخة ناقصة في بدايتها .

مؤلف زكرياء بن افلح الصدغياني :

1 ـ منظومة في الفرائض بها 84 بيتا ق 9 هـ : 15 م

قافيتها غير موحدة (1)

مؤلفات ابي النجاة يونس ابن تعاريت ق 10 هـ : 16 م

جواباته في الاحكام وغيرها : نقلها عنه تلميذه سلامة بن يونس الجناوني (2)

نذكر منها : تحديد طريقة كيل الحبوب (3)

مؤلفات عمي سعيد بن علي الخيري الجربي (4)

1 ـ سؤال كتبه لبعض فقهاء قومنا (5) شعرا وطلب الجواب شعرا القصيدة ناقصة عدد ابياتها 34 وهي دالية مطلعها :

فلله حمدي مستمرا مؤكدا ... يدوم دواما سرمديا مؤبدا

عناصرها : الستة ابيات الاولى : مقدمة

---

(1) دفتر رقم 1 ص 36 ـ 37 مكتبة الشيخ سالم ـ سير الشماخي ص 576
(2) نفس المصدر ص 94 ـ 95 ابن تعاريت الكراس 2 ص 46
(3) المكتبة البارونية بالحشان بعنوان : تقييدات مسائل جمعها عمنا سلامة الجناوني ، بدون رقم .
(4) انظر ترجمته ص 197 هو مصلح وادي ميزاب سافر اليها من جربة
(5) قومنا : اشارة الى الاشعرية

مرثية الشيخ ابي سليمان داود التلاتي
في شيخه زائد اللوغ (شيخ العزابه)

من 7 الى 9 : الشرع

من 10 الى 14 : اللغة

من 15 الى 20 : الحساب والفرائض

من 21 الى 24 : النحو

من 25 الى 28 : البيان

من 29 الى 34 : المنطق (1)

2 ـ وله رسالة كتب بها لشيخه يونس ابن تعاريت لم اطلع عليها (2)

مؤلفات ابي سليمان داود التلاتي ق 10 هـ : 16 م

1 ـ شرح عقيدة التوحيد مطبوع (3)

2 ـ قصيدة في رثاء الشيخ زائد اللوغ شيخ العزابة في عصره مطلعها : بدات بحمد الله لا اقول (4)

3 ـ وله رسائل ارسلها لشيخه ابي مهدي عيسى في وادي ميزاب نكتفي بتصوير واحدة منها .

مؤلفات عبد الله بن سعيد السدويكشي ق 11 هـ : 17 م

1 ـ حاشية على جزء الصلاة وهو الجزء الاول من كتاب الايضاح للشيخ عامر الشماخي (5)

---

(1) دفتر رقم 1 ص 14 15 مكتبة الشيخ سالم والقصيد من البحر الطويل

(2) رسالة ابن تعاريت الكراس الثاني ص 46

(3) انظر ص 253

(4) انظر صورة من قسم منها وهي من البحر الطويل

(5) طبعت مع المتن طبعة حديثة ببيروت

2 ـ حاشية على كتاب الديانات للشيخ عامر الشماخي اتمه الشيخ يوسف المصعبي .

3 ـ حاشية القطر على شرح القطر لابن هشام (1)

4 ـ رسالة فى صلاة الجمعة وحكمها وشروطها رد بها على علماء تونس .

عناصرها :

المقدمة :

1 ـ محاسن الصلاة من ص 45 ـ 47

2 ـ فضل يوم الجمعة من 47 ـ 49

3 ـ الاختلاف فى زمن فرضها

الباب الاول : شروط الجماعة 49 ـ 51

الباب الثانى : ما يتعلق بالسؤال والجواب 51 ـ 53

الخاتمة : 53 ـ 54 (2)

5 ـ مجموعة من الفتاوى ـ المطبعة البارونية 1315 هـ

مؤلفات محمد بن عمر بن ابى ستة : المحشى ق 11 هـ : 17 م

اهم الكتب التى حشى عليها :

1 ـ قواعد الاسلام للشيخ اسماعيل الجيطالى ق 8 هـ : 14 م وهو اول تأليفه سنة 1067 هـ : 1647 ـ 1648 م

2 ـ الجامع الصحيح للربيع بن حبيب الفراهيدى . فى اربعة اجزاء ضخمة تسمى كتاب الترتيب (3)

---

(1) لم اطلع على الحاشية 2 و 3 ذكرهما ابن تعاريت ص 86

(2) دفتر رقم 1 ص 45 ـ 54 مكتبة الشيخ سالم

(3) هو تلميذ ابى عبيدة المتوفى 145 هـ : 723 ـ 724 م وكتابه هو عمدة الاباضية فى الحديث والشرح مخطوط موجود فى جل مكتبات الاباضية : مكتبة الحاج حدو بغارداية مثلا

3 ـ تفسير هود بن محكم الهوارى قاضى الامام عبد الوهاب الرستمى من 2 و 3 هـ : 8 و 9 م (1) لم يتمها اذ ادركته المنية عند قوله تعالى « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى (2)

4 ـ الموجز لابى عمار عبد الكافى ق 8 هـ : 12 م فى اصول الدين (3)

وله حواشى اخرى لا نرى فائدة فى ذكرها هنا (4)

5 ـ مجموعة من الفتاوى : طبعة بارونية 1315 هـ.

مؤلفات يوسف المصعبى ق 12 هـ : 18 م

يقول ابن تعاريت « لو جمعت اجوبته وفتاويه لكانت مجلدا ضخما (5)

قد وجدت منها رسالتين :

1 ـ رسالة رد بها على فقهاء طرابلس لعدم قبولهم شهادة الجربيين فى مجلس الحكومة تقع فى تسع صفحات من الحجم الكبير بعد المقدمة يقول فيها :

« فرتبت هذه الرسالة على اصول وفروع فالاصل فى بيان عقيدتنا ..

الخاتمة : اسئلة موجهة للوشاة فى المناظرة وعلم الفرائض والاقرار والجبر والمقابلة (6) .

---

(1) التفسير موجود وهو الآن فى صدد التحقيق بوادى ميزاب

(2) سورة البقرة آية 238

(3) كتاب الموجز حققه احمد الطالبى بالجزائر وطبع بمصر 1971 . اما الحاشية فلم نطلع عليها

(4) انظر رسالة ابن تعاريت ص 78

(5) نفس المصدر ص 106

(6) دفتر رقم 1 ص 22 ـ 31 مكتبة الشيخ سالم

2 ـ رسالة اجاب بها احد الجربيين وهو الحاج شعبان القنوشي (1)

وهى فى مسائل مختلفة اهمها الكفارات التى تلزم المسلم عند التوبة .

مؤلفات امحمد بن يوسف المصعبى ق 12 هـ : 18 م

له عدة حواش اهمها :

1 ـ شرح المنظومة الحائية (2)

واهميتها فى اتمام نسبة الدين للحيلاتي من ص 8 الى ص 10

تلك هى بعض مؤلفات العزابة فما هى الصلاحيات الاخرى التى يشرفون عليها ؟

(1) دفتر رقم 1 ص 66 ـ 67 الاصل هناك ارخ 1262 هـ
(2) انظر قائمة المصادر والمراجع

نظر عزابه جربة فى النوازل

تعيين ابن ناجى قاضيا على جربة :

قال ابن ناجى القيروانى فى تعليقاته على كتاب معالم الايمان للدباغ :

« قدمت قاضيا وخطيبا بجزيرة جربة ، فاقمت بها ثلاثة اعوام وخمسة اشهر فى زمن السلطان ابى العباس احمد الحفصى : 772 ـ 796 هـ : 1370 ـ 1394 م .. وانما ذكرت جربة لانها او لولاية وليتها ، فكنت فى غاية ما يكون من الاشفاق والخوف على نفسى ، ولا نجد فيها من نشاركه فى امرنا لان اهلها خوارج ولهم مذهب لانفسهم (1)

هذه وثيقة هامة فى الثلث الاخير من القرن الثامن هـ : الرابع عشر م اى زمن ابى القاسم البرادى .

لا اريد ان اقف طويلا عند تعبير ابن ناجى عن الخوف لانه يحتمل عدة تاويلات ، فهو اما يخشى كيد الكائدين وهذا مستبعد لما راينا من خصال العزابة ، واما يخشى جدل العلماء لانه ما زال مبتدئا .

ولعل مصدر هذا الاشفاق على نفسه صادر عن قلة النوازل ـ ولهم مذهب لانفسهم ـ وفى هذه العبارة اشارة الى ان المتخاصمين لا يرجعون اليه . وانما يتحاكمون عند جماعة اخرى هم العزابة .

تحقيق وثيقة نوازل العزابة

قد عثرت على وثيقة سجلت فيها نوازل العزابة بخطهم من محرم 1090هـ ـ فيفرى 1679 الى ربيع الثانى 1204 هـ : جانفى 1790 .

وهذه الوثيقة هى قسم من دفتر النوازل التى حكم فيها العزابة اذ هى مبتورة من الاول والآخر ، كما انها تعالج موضوعا واحدا يتصل بالطلاق

(1) الجزء الاول ص 220



جامع بنى لاكين بغيزن (منظر عام)



جامع بنى لاكين : الرواق وبعض البيوت

والنفقات . (1)

بهذا القسم 38 ورقة طول الورقة 28 صم وعرضها 10 صم .

وقد كتبت النوازل بخطوط مختلفة حسب تطور القرن 12 هـ : 18 م

وقد احتوى هذا الدفتر على 267 نازلة يتراوح عدد النوازل فى كل سنة بين النازلة الواحدة (2) وعشر نوازل (3)

ولم تسجل اى نازلة فى بعض السنوات وهى ما يلى 1113 هـ : 1123 ـ 1131 ـ 1134 ـ 1146 ـ 1151 ـ 1196 ـ 1170 . من 1140 الى 1142 من 1158 الى 1168 ، من 1178 الى 1182 ، من 1184 الى 1186 ـ 1202 ـ 1203 (4) .

انواع القضايا

219 قضية فى الطلاق الغيابى :

ان هذا العدد من القضايا يصور حالة المجتمع الجربى فى القرن 12 هـ : 18 م وكثرة الاسفار فى رجاله .

ولذلك سن العزابة قاعدة فى كتابة الصــداق وهى ان المرأة تصبح فى عصمة نفسها اذا تغيب عنها زوجها اكثر من سنتين .

فتاتى بعدلين يقرران غياب الزوج اكثر من عاميــن فى مجلس العزابــة فتنال طلاقها .

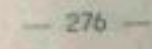
---

(1) اشار اليه ابن تعاريت ص 76

(2) مثل سنة 1143 هـ

(3) مثل سنة 1091 هـ و 1104 هـ

(4) لم نتمكن من تحقيق هذه الانقطاعات التى تطول الى عشر سنـوات وقد كثر هذا خاصة فى السنوات الاخيرة .



قضية فى الطلاق الغيابى من دفتر نوازل مجلس العزابة بجامع بنى لاكين
حققت ص 279

قضية مفاصلة بين زوجين بجامع بنى لاكين من دفتر النوازل
حققت ص 281

وهذا تحقيق قضية من هذا النوع :

الحمدلله . حضرت المراة تمويمن بنت يحيى بن سعيد بن احمد القساطوى بين يدى فقهاء مجلس بنى لاكين وذكرت ان زوجها الحاج احمد بن حمودة بن سعيد بن احمد المذكور قد غاب عنها مدة تزيد على عامين ، واثبتت ذلك بشهادة الفقيه محمد ابن يوسف والحاج محمد بن يحيى النفوسى ، عرف تمنشاية والحاج رمضان المنضوج .

فطلبت من الفقهاء المذكورين الاذن فى طلاق نفسها فاذنوها فى ذلك .

فطلقت نفسها بمقتضى شرطها (1) بعد يمينها وذلك بتاريخ خامس يوم من شهر ذى الحجة من سنة ثمان وثلاثين ومائة والف 1138 هـ ـ جويلية 1726 (2) .

31 قضية فى النفقة :

هذه القضايا تنتج عادة عن الطلاق ، اذ قد يرفض البعض اداء حقوق الزوجة فترفع قضيتها لمجلس العزابة لياخذ لها حقها .

وتتمثل فائدة هذه النوازل فى التعريف بالحالة الاقتصادية ، ويصعب ان ندرسها تفصيلا فى هذا البحث وسنكتفى بتحقيق واحدة من بينها ، اذ منها ما تطالب فيه الزوجة بنفقتها الخاصة او نفقة ابنها او ابنائها الذين يكونون تحت اشرافها ما داموا دون البلوغ :

« حضرت بين يدى فقهاء مجلس بنى لاكين المراة ماماسة ابنت الحاج مسعود بن يسعد ، وذكرت ان زوجها يوسف بن مهنى البقار قد غاب عنها وتركها هى واولادها منه عبد الله وسلمونة ومن غيره مسعوده بنت قاسم الشيشيو لكونه تحمل بنفقتها كما ذلك مبين (كذا) فى عقد صداق والدتها ماماسة المذكورة وقف عليه شهيداه .

(1) نجد فى نوازل اخرى بمقتضى شرط الغيبة : جمادى الثانى 1103هـ ـ فيفرى 1692 م وشيخ العزابة فى هذه الفترة هو يوسف المصعبى كما ذكرنا
(2) انظر صورة من هذه الوثيقة .

وطالبت من فقهاء المجلس المذكور فرض نفقتهم هي ومن ذكر معها ، ففرضوا لكل واحد منهم نفقة كاملة وما يحتاجون اليه كل شهر .

شهد على المراة بما نسب اليها ، وعلم الفقهاء بما فيه عنهم وحصل التعريف بالمراة كما يجب بتاريخ اواخر صفر الخير 1189 هـ افريل 1775م (1)

وقد يرفض الزوج تسديد النفقة المقدرة فترفع الزوجة شكواها مرة اخرى فيأخذ الفقهاء لها حقها ومن ذلك نجد قضية واحدة .

الحمدلله وحده صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

وبعد فقد وقعت المفاصلة بين الفقيه ابي القاسم بن سعيد يامون ومطلقته مسعودة بنت سالم عرف بوذئب فيما تدعيه قبله

ولم يبق لها عنده سوى ريا لمتعتها بل لم يبق لها عنده شيء قل وجل .

ووقع ذلك بينهما بين يدي فقهاء مجلس بني لاكين جمادى الاولى 1156هـ - جوان 1744 م (2)

---

(1) انظر صورة الوثيقة . وهذا حكم صدر في القرن 11 هـ : 17 م قرره الشيخ محمد بن سعيد التغزويسني في شان النفقة - الحمدلله .
هذا وان الذي يفرض للولد الصغير على الاب اذا كان طوله ثلاثة اشبار الى ثلاثة ونصف فله ثلث النفقة حتى يبلغ خمسة اشبار الى خمسة اشبار ونصف فيكون له ثلثا النفقة واذا بلغ سبعة اشبار ياخذ النفقة الكاملة . والنفقة الكاملة تفرض : على المقتر صاعين شعيرا بالكيل الجري في كل شهر، وصاع عدا ربعا زيتا (كذا) . ويزاد على الموسع ثمنيتان في الشهر وربع صاع زيتا ويفرض على المقتر ثلاثة نواصر ونصف في الشهر سخينة وعلى الموسع خمسة وما يكفيه من اللباس والوطى والغطاء في كل سنة وتوسعة الموسع بقدر الجهد والطاقة . وهذا ينسب للشيخ محمد بن سعيد التغزويسني . الصاع الجري لم نتمكن من تحديده . الثمنية : ثلث الصاع
(2) انظر صورة الوثيقة

حكم الشيخ محمد بن سعيد التغزويسني في تحديد النفقة

قضية في النفقة : من دفتر النوازل - حققت ص 279

قضية واحدة : رفض زواج

اردت ان اثبتها لانها تبين مدى تفهم شيوخ العزابة لمشاكل المراة وتبين قدرة المراة على المطالبة بحقها وان كانت بكرا .

الحمدلله ، حضرت بين يدى فقهاء مجلس لاكيـن تمانـة بنت عمر بن شعبان المطكداسى وذكرت ان والدها قد اعطاها لولد ابراهيم ابن هنده وانكرت عليه واشهدت اهل المجلس انها انكرت وفى حال (الشـ)

شهدت عليها بذلك بعد تقرر التعريف .

ذو الحجة 1114 هـ : افريل 1703 م (1)

14 قضية فى الشفعة (2)

قضيتان فى المطالبة بدين .

6 قضايا فى فصل خصومات

1 ادعاء على خصم

1 اقرار بحق الغير (3)

لم ار فائدة كبرى فى تحليل قضية من كل نوع خشية الاملال .

والدارس لهذه الوثيقة يتبين بوضوح :

1 ـ قلة النوازل فى المرحلة الاخيرة اذ الفارق واضح بين عدد النوازل فى البداية وعددها فى النهاية .

2 ـ وكذلك اختلاط النوازل فبعد ان كان الدفتـر مخصصـا لما يتعلـق بالطلاق ادخلت عليه بعض القضايا الاخرى الاجتماعية

(1) انظر صورة الوثيقة . كنا نود زيادة تفصيل ولعل شهادة المجلس هـذه لا تمكن الوالد من ارغام ابنته اذ قامت عليه الحجة ولا يجب ان ننسى انهـم يتولون كتابة عقود الزواج .

(2) انظر صورة لثلاث قضايا من هذا النوع

(3) انظر صورة لقضية في الخصام

قضية فى رفض زواج من دفتر النوازل حققت ص 282

قضيــة فــى الشفعــة

ولعل هذا يمكننا من ان نستنتج ان نظام العزابة فى آخر ايامه اذ قررنا انه انقطع مع الشيخ امحمد بن يوسف المصعبي المتوفى سنة 1207 هـ : 1792 ـ 1793 م وهذا التاريخ لا يبعد عن تاريخ آخر قضية وهو 1204 هـ : 1790 م.

طريقة عمل المجلس

ينبغي ان نشير الى ان هذا المجلس قد يستقر مدة طويلة فى مركز واحد كما هو الشان بالنسبة للاحكام الصادرة فى جامع بنى لاكين.

لكن قد تتبع هذا المجلس طريقة اخرى ليخفف على المتخاصمين وذلك بان تنقل هيئة الحكم من مسجد الى آخر من المساجد التالية :

1 ـ مسجد بنى لاكين : بفيرن بالنسبة لاهل الجهة الشمالية الشرقية

2 ـ مسجد ابن يعلى (1) بنى ديغت وسط الجزيرة

3 ـ مسجد وادى الزبيب (2) لما بين الجهة الغربية ووسط الجزيرة

4 ـ مسجد ليمس (3) بآجيم لاهل الجهة الغربية

ويمكن ان نفترض افتراضا آخر ولعله اصح من الاول وهو ان تحول المجلس من مسجد الى آخر يكون حسب مر العصور ، وتفوق هذه الجهة على الاخرى فى العلم ، او للتخفيف على شيخ الحلقة عندما يكون المركز اقرب من مسكنه مثل اجتماعهم فى مسجد وادى الزبيب زمن الشيخ يعيش فى القرن الثامن هـ : الرابع عشر م (4)

---

(1) يذكر ابن تعاريت : وقع تغيير من المشائخ فى هذا المجلس وتوليه من مسجد بنى لاكين الى مسجد بنى ديغت وهو مسجد ابن يعلى ص 63

(2) انظر الملحق الاول زمن الشيخ يعيش

(3) قد وجدنا وثيقة تثبت صدور حكم فيه سنة 1146 هـ : 1733 ـ 1734 م الخ !

الحمد لله تعالى وصلى الله على سيدنا محمد ، حضر بالمجلس الشريف مجلس (جامع) بنى ليمس العقد المسطر ... دفتر رقم واحد ص 93 مكتبة الشيخ سالم

(4) انظر الملحق الاول زمن الشيخ يعيش 328

بقايا هذا المجلس

وان انقطع هذا المجلس عن عمله منذ طالع القرن 13 هـ : 19 م فاننا نجد اهل الجزيرة يحاولون فض خصوماتهم على ايدى فقهائهم .

ويقول ابن تعاريت فى هذا الشان :

وذكرنا انه يقول فى عياد ابن فيراط انه مقصود فى زمانه والمرجع فى الفتوى والنوازل واستمر ذلك الى طالع القرن 14 هـ : 20 م وقد اشتهر بذلك :

الشيخ رمضان الليني من آجيم متوفى 1366 هـ : 1918 م .

الشيخ عمر بن مرزوق من والغ متوفى 4 جمادى الاولى 1381 هـ : 13 نوفمبر 1961 م .

هذا بعض نشاط العزابة داخل الجزيرة فهل لهم صلة بسائر الاباضية ؟

الاتصـــال ببقيــة الاباضيــة

بينا ان مؤسس نظام العزابة كان يدعو الى الاكثار من الرحلات لتثبيت اهل الدعوة .

فهل سلك عزابة جربة هذا المسلك ؟

ان من يتتبع تراجم اهل الحلقة فى الفصل السابق يتبين انهم كانـوا لا يستقرون فى موطن واحد من زمن ابى مسور الى آخرهم ، وذلك سواء عند الدراسة او زمن تحمل المسؤولية .

فلذلك سنكتفى فى هذا الفصل بذكر بعض المراسلات التى عثرنا عليها ولم نذكرها بعد ، ثم تعاون كل جماعة مع الاخرى عند الضرورة .

ان الاباضية بعد ان كانوا منتشرين فى الجنوب التـونسى والجنـوب الشرقى الجزائرى وجبل نفوسة بـدا عددهـم يتقلص شيئـا فشيئـا الى ان انحصروا فى وادى ميزاب وجربة وجبل نفوسة وعمان فى المشرق .

فما هى صلة عزابة جربة باخوانهم فى جبل نفوسة وفى وادى ميزاب وفى عمـان ؟

الصلة بين جربة وجبل نفوسة

ان جل شيوخ جربة درسوا بجبل نفوسة كما درس بعض شيوخ جبل نفوسة بجربة كما اقبل بعض شيوخ نفوسة ليدرسوا بجربة كالشيخ اسماعيل الجيطالى فى القرن الثامن هـ : الرابع عشر م وقد توفى بجربة .

والمتتبع اسماء العائلات الاباضية بجربة يجد ان جلها من اصل نفوسى : الجادوى : نسبة الى جادو . البغطورى : نسبـة الى بغطـورة . التـونزرفى : نسبة الى تونزيرف وغيرها كثير . وجادو وبغطورة وتونزيرف قرى معروفة الى الآن فى جبل نفوسة .

كما ان سلسلة نسب الديـن سواء بجربـة او بنفوسـة تبين تداخـل الشخصيات العلمية فى اخذها بعضها عن بعض .

فقد اخذ الشيخ داود التلاتى عن ابى القاسم السدويكشى بجربة وعـن الشيخ ابى يوسف يعقوب التندمرتى بنفوسة . واخذ عنه العلم بجربة الشيخ عبد الرحمان الحيلاتى ومن الجبل محمد بن زكرياء البارونى

كما ان التعاون بين الوطنين يظهر خاصة فى ظروف العسر ، فعندما يصيب القحط احدى الجهتين تقبل الجموع الى الجهة الاخرى فتجد كل ما تحتاج اليه . وقد لاحظنا ذلك زمن ابى مسور (1) وفى اعتصام الشيخ يوسف المصعبى هناك (2) .

ثم الى جانب هذا النشاط نجد نشاطا علميا جماعيا هاما يتجلى فى :

1 ـ تعاون عزابـة جربـة وعزابـة الجبل على تاليف ديوان جماعة غـار مجماج ، اذ نجد من بينهم الشيخ ابا زكرياء يحيى بن جرتاز النفوسى .

---

(1) انظر ترجمة ابى مسور ص 156

(2) انظر ترجمته ص 230

2 ـ تعاون عزابة الوطنين لتقرير بعض القضايا الدينية الهامة .

ومن ذلك **الاجتماع العلمي** الذي انعقد بمدينة **لالوت** سنة **1103** هـ : **1692** م (1)

« يشهد من يضع اسمه عقب تاريخه انا حضرنا موطننا ببلد **لالوت** عام ان جاءنا الشيخ نصر بن خميس العماني (2)

الشيخ سعيد بن يحيى الجادوى

الشيخ على بن بيان الجربي

الشيخ صالح بن يوسف التندميرتي

الشيخ يوسف بن محمد المصعبي من جربة الخ ..

والعوام : ذكر منهم ثلاثين .

وجماعة حضروا كلهم بين يدى العزابة في الجامع الكبير القديم .

موضوع الاجتماع :

هل يصح عقد الاحباس والصدقات والبيوع والرهن على الشاهد العدل الواحد ومعه شهود العوام ؟

واتفقوا في آخر الامر ان الشهادة لا تكون الا بشاهدين عدلين (3)

ويذكر ابن تعاريت « ان هذا الاجتماع لفائدة جماعة نفوسة فقط . فلذلك لم نجد صداه في جربة الا بعد ثلاث واربعين سنة .

---

(1) من مدن نفوسة . انظر الاباضية في موكب التاريخ الحلقة 2 القسم 2 ص 171

(2) احد علماء عمان في تلك الفترة ، انظر تعريف عمان ص 295

(3) قد اطلعت على ثلاث نسخ من هذه الوثيقة

الاولى ـ وقد اعتمدت عليها ـ بمكتبة الشيخ سالم دفتر رقم 1 ص 93

الثانية برسالة ابن تعاريت ص 94 ـ 96

الثالثة بمكتبة الاخ عمر بن يوسف بابن يسجن بوادى ميزاب مجلد2ص62

فبعد ان نقلت الوثيقة الى جربة ـ اذ حضر الاجتماع عالمان من جربة ـ عرضت على مجلس العلماء للحكم المكون من عزابة مشائخ جربة بمسجد بنى ليمس وكان يومئذ مقره ونص الحكم : «الحمد لله تعالى وصلى الله على سيدنا محمد .

حضر بالمجلس الشريف مجلس **مسجد بنى ليمس** العقد المسطر بباطنه فتامل فيه فقهاء المجلس المذكور تاملا شافيا على ما ذكر فيه فوجدوه تاما صحيحا يقضي به ويحكم بما في مضمونه ولم يقدح في شيء منه واذنوا لنا بنقله عنهم والعمل به في تاريخ اواسط المحرم سنة **1146** هـ : **1733** م .

اعضاء المجلس :

الشيخ صالح بن صالح التندميرتي

الشيخ صالح بن عمر الباروني

الشيخ رمضان بن احمد ابن يعلى الخيرى

الشيخ عمر ابن ابى القاسم الباروني (1) .

ان الاهتمام بهذه الوثيقة بجربة بعد اثباتها بما يزيد على اربعين سنة يجعلنا نفكر ان نفس المشكل نجم بها في تلك الفترة فاعتمدوا على الوثيقة المقررة بلالوت .

والصلة بين هذين الموطنين يمكن ان تكون بحثا مستقلا .

ولم يبق الا ان نلاحظ قلة المراسلات نسبيا ولعل هذا يرجع الى قرب المسافة بين الموطنين وكثرة التزاور .

---

(1) دفتر رقم 1 ص 93 مكتبة الشيخ سالم

يقع جامع بنى ليمس بحومة آجيم .

ان التعاون بين هذين الوطنين كذلك وثيق رغم بعد المسافة بينهما منذ تاسيس وادى ميزاب على يد مؤسس نظام العزابة . وقد استمرت الصلة الى عصرنا هذا .

وسنذكر حدثين هامين يثبتان ما ذكرناه :

1 – انتخاب الشيخ **سعيد الجربى** لاحياء وادى ميزاب القرن 10 هـ : 16م

لقد سطع نجم وادى ميزاب اثر قدوم الشيخ ابى عبد الله واستمر نشاطه الى القرن 7 هـ : 13 م ثم ظل يتناقص الى ان وصل الى التداعى فى القرن 10 هـ : 16م .

هنالك شعر عزابة ميزاب بما وصلوا اليه من انحطاط خلقى ، فاسرعوا الى عزابة جربة – وعلى راسهم الشيخ يونس ابن تعاريت – فاختاروا لهم احد التلاميذ وهو سعيد بن على بن يوحميدة بن عبد الرزاق بن سعيد الخيرى (1) الجربى : وهذا ما يقوله عنه الشيخ ابراهيم ابو اليقظان :

« قد وفد الى ميزاب حينما طلب اهله من اخوانهم الاباضية بجربة ان يرسلوا اليهم عالما حكيما لنشر العلم وتنوير عقولهم بـه لما استفحل الجهل فى البلاد ..

والى الشيخ عمى سعيد تنسب المقبرة الشهيرة بغارداية . وفى روضته استقر مجلس عزابة القصور السبع (اى قرى وادى ميزاب) منذ ذلك العهد . ويقال انه هو الواضع لذكر السلام (2) الذى يقراه بعد صلاة الصبح جماعة اهل القرى الثمانية (ادخل وارجلان) .

(1) اى من جهة آجيم من جربة .
(2) هو دعاء تردد فيه كلمة السلام كثيرا

وهو الواضع لخطبتى العيدين اللتين ما زالتا تقرآن الى الآن (1).

وقد ترك الشيخ كثيرا من نفائس الكتب التى يملكها حبسا فى خزانة دار التلميذ بغارداية

ويذكر ايضا ان الشيخ عمى سعيد رافقه عالمان :

احدهما من جربة وهو الشيخ دحمان .. وكان من حظ بنورة (2)

والثانى من جبل نفوسة وهو الشيخ بالحاج بن سعيد » (3)

2 – اقبال **امحمد المصعبى** والد الشيخ يوسف المصعبى من مليكة (4) لنشر العلم فى جربة فى طالع القرن 12 هـ : 18 م.

وقد بينا ما للشيخ يوسف المصعبى وابنه امحمد من بعده من فضل على اقامة نظام العزابة فى جربة ولولاهما لافل نجمه من القرن 11 هـ : 17 م. وقد انقطع النظام اثر وفاة الشيخ امحمد بن يوسف المصعبى (5)

اما فى ما يتعلق بنسبة الدين واخذ الجربيين عن الميزابيين او العكس فهى مثل ما ذكرناه عن الصلة بين جربة ونفوسة .

فقد اخذ الشيخ داود التلاتى عن الشيخ ابى مهدى عيسى بن اسماعيل فى ميزاب كما اخذ عن الشيخ ابى يوسف فى جبل نفوسة (6)

(1) فى مساجد وادى ميزاب وكذلك فى مساجد الاباضية فى جربة
(2) لم نجد فى جربة اشارة الى هذا الشيخ
بنورة : من قرى ميزاب قرب مدينة غارداية
(3) ملحق سير الشماخى : انظر علماء الخمسين الاولى من القرن العاشر هجرى – السادس عشر مسيحى
(4) مليكة من قرى وادى ميزاب قرب مدنية غارداية
(5) انظر ما سبق ص 231
(6) انظر ترجمة داود التلاتى ص 218

قسم من رسالة ابى سليمان التلاتى لشيخه ابى مهدى بميزاب 22

المراسلات بين جربـة وميزاب :

اما المراسلات بين الوطنين فنسبتها اكثر من المراسلات مع نفوسة ولعل ذلك يرجع لبعد المسافة بين الوطنين .

وقد عثرنا على رسالتين هامتين :

الاولى : موجهة من عزابة ميزاب الى عزابة جربة (1)

ونرجح انها فى النصف الاول من القرن 11 هـ - 17 م لانها تخص بالذكر الشيخ ابا زيد احمد ابن ابى ستة (2)

وهى مجرد تحية ودية من عزابة ميزاب الى عزابة جربة :

«وبعد فالكتاب الى عزابة الجزيرة والرعايـة والبصيرة المقتفيـن بالكتاب والسنة فى الحكم والسيرة .

من اخوانكم فى الله عزابة بنى مصعب (3) الموافقين لكم فى الدين والمذهب السالكين فى الطريق الاصوب .

سلام عليكم ... من لسان المجلس الثابت فى روضة الشيخ سعيـد بن على الجربى .»

وقد ختمت الرسالة بقصيدة ميمية عدد ابياتها ثلاثون .

وهذا مطلعها :

هذا الكتاب يؤم اهل مذهبنا من الجزيرة اولى العلم والحكم

وهى نظم لما ورد فى اول الرسالة : (4)

الثانية : رسالة داود التلاتى الى شيخه ابى مهدى .

---

(1) دفتر رقم 1 ص 16 ـ 17 مكتبة الشيخ سالم

(2) انظر قسم المدارس العلمية بجربة ص 239

(3) اى وادى ميزاب

(4) نرجح ان الرسالة ناقصة اذ يصعب ان تتحمل من اجلها الاتعاب دون ان تكون فيها فائدة علمية . والقصيدة من البحر البسيط

«موضوعها : طلب اعانة شيوخ ميزاب بالدعاء الصالح . ويكون هذا اما عند هجوم النصارى او درغوث باشا على جربة ، اذ نعلم ان التلاتى قتله درغوث سنة 967 هـ : 1560 (1)

وهذا قسم منها يثبت ذلك :

«سالناكم بالله وحرمة المذهب الاباضى ان تجتمعوا .. فى بعض مظان الاجابة وتديروا الدعاء ان ينجى الله هذه الجزيرة من كل عدو وخائن وان يديم فيها طريقة الوهبية على عز وامان . » (2)

بقى ان نشير الى رسالة عمى سعيد الجربى الى شيخه يونس ابن تعاريت بجربة فى القرن 10 هـ : 16 م . وقد اشار اليها ابن تعاريت فى رسالته (3) ولم نعثر عليها .

(1) انظر ما سبق 219
(2) انظر صورة من الرسالة
(3) الكراس الثانى ص 46

الصلة بين جربة وعمان

عمان : برفع العين هى سلطنة فى منطقة الخليج العربى شرقى الجزيرة العربية. اباضية المذهب منذ نشأة هذا المذهب اذ امام الاباضية الاول جابر بن زيد متوفى 93 هـ : 711 ـ 712 م من ازد عمان .

ان المسافة بين الموطنين بعيدة جدا ومع ذلك نجد بعض الوثائق التى تثبت اللقاء بين اهل الموطنين اما فى عمان او فى مكة المكرمة والمدينة المنورة فى موسم الحج .

زيارة الجربيين عمان :

لقد ذكرنا من قبل زيارة عمر بن سعيد بن محمد بن زكرياء الجربى الى عمان (1)

ونذكر الآن ما ذكره البرادى عن سبب تاليف كتاب طبقات الدرجينى ما يثبت زيارة اخرى قام بها الحاج عيسى بن زكرياء ، ونرجح انه من جربة اذ اعتمد على عزابة جربة للقيام بالمهمة التى كلفه بها العمانيون ، وهى ان يرسل لهم كتابا فى تعريف علماء اهل المغرب ، اى اباضية جربة ونفوسة ووادى ميزاب وغيرها .

« فنظروا فى كتاب الشيخ ابى زكرياء ابن ابى بكر ، فوجدوه مخلا ببعض التفصيل ... اورد القاطه موارد التكليف (كذا) فاهتموا بتصنيف كتاب ... فلم يروا اهلا لهذا التصنيف غير ابى العباس **الدرجينى** (2)

هاتان زيارتان تثبتان فائدة زيارة الجربيين لعمان ، اذ شجعت الاولى على احياء العلم بعمان بفضل الرسالة التى وجهها عمر هذا الى عمان الـ زيارته (3) ، ونتج عن الثانية تاليف طبقات الدرجينى .

اما عن زيارة العمانيين جربة فاننا لم نعثر على اى وثيقة تقرر ذلك .

(1) انظر ما سبق ص 239
(2) كتاب الجواهر للبرادى ص 11
(3) انظر ما سبق ص 239

اللقاء فى موسم الحج :

ان اباضية المغرب والمشرق يغتنمون موسم الحج لتبادل الآراء والكتب وقد ذكرنا لقاء ابى القاسم البرادى بحجيج عمان وطلبه منهم ان يرسلوا له كتاب كشف الغمة فى التاريخ كما يذكر ذلك فى المقدمة التى وضعها لهذا الكتاب .

وهذا قسم منها يثبت ذلك :

«ثم ان هذا الكتاب الذى هو **كشف الغمة** من تاليف المتاخرين من اصحابنا اهل عمان بعثنا فيه اليهم من مكة شرفها الله سنة 775 هـ . 1373 ـ 1374 . وقد تعلقت به قلوبنا .» (1)

ثم الى جانب هذا قد عثرنا على قصيد لشاعر عمانى وهو محمد بن عبد الله الاغبرى تثبت تجاوب العمانيين مع عزابة جربة وذلك فى ق 10 هـ 16 م.

موضوعها : تحية لاهل المغرب : جربة ونفوسة ووارجلان وميزاب .

وهى ميمية عدد ابياتها 84 خصص منها تسعا لذكر اهم علماء جربة من21 الى 29 وهذا مطلع هذه الابيات :

انخ بجربة تبرى سقم مذهبك المختار فهى شفاء الدين فى سقم (2)

ومن الحجج التى تدعم تمكن الصلة بين عزابة جربة وبقية الاباضية توفر المخطوطات الميزابية والنفوسية والعمانية فى المكتبات الاباضية بجربة ومن ذلك عثور الشيخ سالم بن يعقوب على كتاب سير مشائخ نفوسة للقرن البغطورى بمكتبة البغطور بجربة بعد ان اعتبر مفقودا . (3)

كما نجد مخطوطات جربية ببقية مواطن الاباضية وقد اطلعنا على شىء منها فى وادى ميزاب .

هذه صلة عزابة جربة ببقية الاباضية فما هى حقيقة علاقتهم بالدول التى حكمت الجزيرة او حاربتها ؟

---

(1) انظر البارونية

(2) دفتر رقم 1 ص 32 ـ 33 مكتبة الشيخ سالم وهى من البحر البسيط

(3) انظر مكتبتهم بوالغ جربة .

صلة العزابة بالدول التى حكمت جربة او حاربتها

ان هذا الفصل يفرض علينا ان نتتبع جميع الاحداث التى تعرضت لها الجزيرة من الثلث الثانى للقرن الخامس هـ : الحادى عشر م . ولذلك سنحاول ان نختصر بقدر الامكان حتى نتمكن من ربط الاحداث ببعضها .

لقد ذكرنا ان جربة خضعت للامامة الاباضية بطرابلس وللامامة الرستمية بتاهرت . (1)

لكن يستحيل على سلطة القيروان ان تسكت على ذلك ، ثم فى ما بعد سلطة المهدية ، الى ان قامت الدولة الصنهاجية التى انفصلت عن الدولة الشيعية بالقاهرة مع المعز بن باديس سنة 435 هـ : 1043 ـ 1044 م وهذا التاريخ يناسب تاريخ نشاة نظام العزابة بجربة .

فلنتتبع احداث الجزيرة من هذا العهد لنتبين مواقف العزابة منها .

العهد الصنهاجى

1) حملة المعز بن باديس على جربة سنة 431 هـ : 1039 م :

ما زالت قوات السلطان تخشى مواطن الاباضية لانها لا تخضع لسلطتها خضوعا كاملا بل تكتفى باداء الجباية دون ان تتقرب اليه .

ويقول التيجانى : «وكان الثائر النكارى قام على المعز بن باديس سنة 431 هـ ، ووصل الى جربة وافتتحها ، وقتل من اراد من اهلها وسبى ذراريهم واسر ابن كلدين مقدمهم ، ثم قتله وصلبه فجهز اليه المعز اسطوله وقتل اصحابه قتلة شنيعة ، واستقرت جربة تحت طاعته . وفى هذه الواقعة امر المعز بقتل رؤوس الفتنة من شيوخ جربة (2) .

ويضيف المرزوقى فى تعليقه على كتاب مؤنس الاحبة : «ذكر الشماخى من بينهم ابا عمرو النميلى الزوافى وابا محمد كاموس وابا صالح اليهراسنى وابا

---

(1) انظر المدخل التاريخى

(2) الرحلة ص 125

موسى بن السمح وابا بكر بن يحيى الزواغى (1) . ويشير كذلك الى ان هذا الثائر مجهول الهوية (2) .

لكن الناظر فى مصادر الاباضية يجد ضبطا آخر يختلف عما قاله التيجانى

« وذكر ان قائدا من قواد السلطان المعز بن باديس الصنهاجى – وهو ابراهيم بن ونمو المزاتى – من اهل المنحب من مزاتة القيروان ، لكنه كان جائرا فاسقا ، توجه الى جربة ، وكاتب ابا زكرياء (3) ان ينضم باهله وعشيرته الى المسجد الكبير لئلا يدركهم من ضرره شىء او تصيبهم من العسكر مضرة :

« بسم الله الرحمان الرحيم :

من ابراهيم بن ونمو قائد القياد الى فصيل اليهراسنى ، اما بعد فان زواغة قد اكثروا الفساد واطالوا العناد فاعتزل بمن معك .»

ففعل ابو زكرياء فاستباح العامل جربة نهبا وغصبا حاشا بنى يهراسن (4)

ويذكر الوسيانى فى صفحة اخرى :

« وقتل ابو محمد كاموس فى سبيل الله قتلهم وزانة بامر المعز بن باديس وقد خرجوا اليهم من زويلة .. وقتل هناك ابو عمر النميلى .. ونجا فيهم ابو بكر بن يحيى (5) » .

هكـذا نـلاحظ ان الوسيـانى لـم يثبت واقعـة الثائـر النكـارى بـل اكتفى بالاشارة الى فساد جماعة زواغة (6) وما ذكره التيجانى

---

(1) سير الشماخى 373
(2) مؤنس الاحبة ص 65
(3) فصيل ابن ابى مسور
(4) سير الوسيانى ص 16
(5) سير الوسيانى ص 77
(6) زواغة : قبيلة بربرية بجهة بنى معقل بجربة

تذكر المصادر كذلك الفتنة بين الوهبية والنكار فى جربة فى هذه الفترة عند الحديث عن ابى موسى عيسى بن السمح الوربانى (1) غير انها لم تشر الى دخول ثائر نكارى اللهم الا القائد الذى ارسله المعز الذى لم يقتصر على محاربة زواغة فحسب بل قتل جل علمـاء الجزيرة الذيـن يسميهـم التيجانى رؤوس الفتنة ، وهم فى حقيقة الامر لا صلة لهم بزواغة التى اراد المعز ان ينتقم منها ، اذ هؤلاء العلماء كلهم وهبية بينما زواغة من النكار .

ولعل هؤلاء الشيوخ ارادوا ان يدافعوا عن جزيرتهم لما راوا الفساد ، وقد دارت المعركة شمال الجامع الكبير (2) بعيدا عن منطقة زواغة الجنوبية (3)

ثم لقد ذكر الوسيانى اسم قائديـن – ابن ونمو وونزانة – وهذا يزيـد المشكلة تعقدا ، اذ يتساءل المرء هل كانت حملة واحدة ام حملتين متتاليتين ؟

وصعوبة الجواب عن هذا التساؤل تجعلنا لا نصل الى تقرير راى قطعى فى موقف ابى زكرياء فصيل من هذه الواقعة ، اذ مهما بلغت مداراته للحاكم فى حالة السلم يصعب ان تصل الى هذا الحد فى حالة الحرب بان يقبل دفع غرامة قدرها ديناران بينما يسقط فى المعركة اقرب الشيوخ اليه : ابو عمرو النميلى وابو موسى عيسى بن السمح زميله فى الدراسة وابو محمد كاموس ترب والده .

ومهما يكن من امر فقد دافع علماء الجزيرة عن بلدهم – عدا موقف فصيل الذى لم نقرر فيه اى راى – الى الرمق الاخير .

2) حملة على بن يحيى بن تميم الصنهاجى 509 – 515 هـ : 1115 – 1116 الى 1121 – 1122 م سنة 510 هـ : 1116 – 1117 م .

---

(1) سير الوسيانى ص 99
(2) والدليل على ذلك وجود قبر النميلى شمال الجامع الكبير بالضبط ووجود مقبرة تسمى مقبرة المجاهدين هناك كذلك .
(3) انظر الخريطة : بنى معقل

تكون هـذه الحملة زمـن ابى مسعود ابن ابى زكريـاء اليهراسنى الا ان المصادر الاباضية لم تشر اليها قط فلا يمكن ان نفصل الحديث عنها .

3) حملة النرمان سنة 529 هـ : 1134 ـ 1135 م زمـن الحسن بـن على الصنهاجى 515 ـ 543 هـ : 1221 ـ 1148 م :

ان موقع الجزيرة فى حوض البحر الابيض المتوسط جعل القوات البحرية تتجه الى احتلالها فى كل العصور ومنها قوات النصارى .

فهذا روجار الثانى حاكم صقلية 494 ـ 549 هـ : 1101 ـ 1154 م يحتل جربة سنة 529 هـ : 1134 ـ 1135 م ، ولم يتمكن العزابة من رده لضعفهم ، اذ قد بينا اننا لم نجد فى هذه الفترة سوى ابى مسعود اليهراسنى ، وما عساه ان يفعل امام قوة النرمان التى احتلت بعد كثيرا من ثغور سواحل افريقية .

لكن رغم قلتهم فانهم استطاعوا ان يثوروا على عامل روجار على جربـة سنة 548 هـ : 1153 ـ 1154 م وان يطردوه شر طردة .

وما ان بلغ الخبر روجار حتى جهز لهم اسطولا فى نفس السنة فاحتـل الجزيرة من جديد وعاث فيها فسادا «فنقلوا اكثر اهلها سبايا الى بلادهم ولـم يبق بها الا من لا بال له » (1) .

وتذكر من بين السبايا طفلين سيكون لهما شـان فى قيـادة الاساطيـل الاسلامية بعد فرارهما مـن النرمان .

1 ـ احمد السدويكشى ـ اشتهر الصقلى ـ وقد التحق بيعقوب المنصور الموحدى 580 ـ 595 هـ : 1185 ـ 1184 ـ 1199 ـ 1198 م .

---

(1) دائرة المعارف الاسلامية : الطبعة العربية ـ فصل جربة
تحقيق المرزوقى لمؤنس الاحبة ص 68 و 101
الاباضية فى تونس على معمر ص 234

2 ـ ابو محمد بن عطوش السدويكشى (1)

وقد حررها فى هذه المرة الموحدون سنة 555 هـ : 1160 م كما حرروا بقية سواحل افريقية (2)

جربة فى عهد الموحدين

555 ـ 626 هـ : 1160 ـ 1229 م

لم تسجل المصادر اى ثورة فى هذا العهد ولعل ذلك لتماشى حكم الموحدين والاسلام .

العهد الحفصى

626 ـ 932 هـ : 1229 ـ 1525 م

1 ـ حملة النصارى الرابعة (2) 688 هـ : 1289 ـ 1290 م :

تكون هـذه الحملة فى آخر حياة الشيخ المغراوى وبداية نشاط الشيخ يعيش بجربة ، ويذكر ابن خلدون ان شيخ الحكم آنذاك هو محمد السمومنى ، وقد استشهد فى هذه المعركة . وتمكن النصارى من احتلال جربة مـن جديـد سنة 688 هـ .

ويقول ابن خلدون : « وترددت (جربـة) بيـن المسلمين والنصارى حتى اخذها الموحدون ، ثم احتلها النصارى سنة 688 هـ فبنوا بها حصن القشتيل»(3)

وفى هذه المرة ايضا يحاول الجربيون بقيادة العزابة مهاجمة النصارى من حين لآخر اذ يذكر الحيلاتى استشهاد الشيخ سليمان بن صالح السمومنى سنة

---

(1) دائرة المعارف للبستانى ص 548
لم نجد اى تفصيل عن احمد السدويكشى
(2) خلاصة تاريخ تونس ص 122 ط 1968
(2) لم نشر الى الحملة الثالثة لقلة الاخبار عنهـا وهى حسب دائـرة المعارف الاسلامية سنة 620 هـ : 1223 م .
(3) ابن خلدون التاريخ ج 1 ص 576 و 156 ط الجزائر

699 هـ : 1300 ـ 1301 م بجهة تاريلا غربى برج القشتيل (1)

كما نجد اثر مسجد لا يبعد اكثر من خمسين مترا غربى القشتيل يسمى سيدى مرسيل ، ولعلها تحريف لرسول اى رسول، وقد يكون ارسل للتفاوض فقتل هناك (2)

ثم يرسل ابو عصيدة الحفصى 694 ـ 709 هـ : 1194 ـ 1310 م ابا يحيى زكرياء اللحيانى سنة 703 هـ : 1307 م (3) فاعانه شيوخ الجزيرة بعد التثبت فى نيته بدفع بعض الاداءات «ولما اجتمعا (شيخا الجزيرة) تكفلا باستخلاص ما وضع من الاداء على قومهما » (4)

· وتفشل هذه الحملة بعد محاصرة البرج شهرين ، ويبقى اهل الجزيرة « بين نارين : سيطرة النصارى المحتلين لارضهم من جهة ، ومطالبتهم من طرف هذه الحملات الحفصية بدفع الخراج للدولة (5)

وتبقى جربة خاضعة للنصارى الى سنة 738 هـ : 1337 ـ 1338 م الا ان عدة نصوص تثبت تنمر الجربيين ، اذ يقول فيهم مونتاروصى آخر سلالة روجار : «ان هؤلاء الشياطين لم يتركوا للحصن اى طمانينة» .

ويقول ايضا : «لم نر اكثر حماسا من هؤلاء ، فهم فى الحقيقة يتهافتون على الموت تهافتا » (6)

وتقول دائرة المعارف الاسلامية :

---

(1) رسالة فى حوادث جربة ص 5
(2) قد تحتمل تاويلا آخر
(3) وقد رافقه التيجانى فى هذه الحملة
(4) رحلة التيجانى ص 126 يشير الى شيخ الوهبية وشيخ النكار
(5) مؤنس الاحبة ص 103
(6) جربة جزيرة الشبق للتلاتي ص 63

«وشبت ثورة اخرى فى جربة 1334 م : 735 هـ لغدر الحكام ... وطرد الاهالى الجنود الصقليين ، واستولوا عنوة على برج القشتيل » (1)

ولعل صاحب دائرة المعارف الاسلامية اهمل هنا ذكر قسم من اقسام المعركة الفاصلة التى خلصت جربة من النصارى بفضل مخلوف ابن الكماد قائد ابى بكر الثانى الحفصى 718 ـ 747 هـ : 1318 ـ 1347 م . وذلك سنة 738 هـ.

وعين مخلوف ابن الكماد احمد بن مكى واليا عليها فى نفس السنة ، وقد ذكرنا صلته بالشيخ يعيش واستفتاءه وهذا دليل على حسن العلاقة (2)

وقد وقع فى هذا العهد الوباء الذى خلص جربة من المرينيين بموت قائدهم ابى يحيى زكرياء بن الليحانى سنة 749 هـ : 1340 ـ 1339 م .

واضطربت الحالة السياسية فى هذه الفترة (3) الى ان انتزع جربة ابو العباس احمد الثانى الحفصى 772 ـ 793 هـ: 1370 ـ 1371 الى 1393 ـ 1394م سنة 776 هـ : 1374 ـ 1375 م .

z) حملة النصارى الخامسة 835 هـ : 1432 ـ 1431 م

وبقيت جربة خاضعة للحفصيين الى ان هجم عليها النصارى سنة 835 هـ زمن ابى فارس عزوز الحفصى (796 ـ 837 هـ : 1393 ـ 1434 ـ 1433م)

فكانت هذه الحملة زمن ابى محمد البرادى فصد الجربيون بقيادة عزابتهم ضد العدو ، واستعانوا بابى فارس فلبى طلبهم ، وادركهم اثناء المعركة « ولم يجد النصارى للفرار سبيلا ، ووضع المسلمون فيهم السيف ، فلم يبق الا القليل وبنوا برؤوسهم برجا » (4)

---

(1) فصل جربة
(2) انظر ما سبق ص 207
(3) انظر مؤنس الاحبة ص 103
(4) مؤنس الاحبة ص 104 يبدو انه يختلف عن البرج المعروف الآن

هكذا يرجع الفضل فى هذا النصر لله ، ولعزابة جربة ، اذ لولا صودهم واعتمادهم على نفسهم فى اول الامر لما استطاع ان يدرك ابو فارس جربة الا تحت النصارى

وقد حسنت علاقة الحفصيين بعزابة جربة زمن ابى فارس ، اذ يذكر الشماخى ان القنطرة بنيت فى عهده (1)

لكن افل نجم الحفصيين بعد ابى فارس ، ويقول الحسين الوزانى : «انهم (الجربيون) نالوا استقلالهم بعد وفاة السلطان ابى عمر (839 هـ : 1435 ـ 1436 الى 1487 ـ 1488 م) ثم راوا حماية لهم من الهجومات التى كانوا يخشونها دائما من ناحية افريقية هدم الجسر الذى يصل بين الشاطىء الجنوبى للجزيرة وبين القارة » (2)

والى هذه الفترة يرجع بناء البرج الكبير وقد بناه الحفصيون حوالى 864هـ 1457 م (3)

3) حملة النصارى السادسة 916 هـ : 1510 ـ 1511 م

لقد سقطت غرناطة بايدى الاسبان فى 2 ربيع الاول هـ : 2 جانفى 1492 واستمر الاسبان اثرها مع حلفائهم فى احتلال ثغور افريقيا

وما ان بلغ شيوخ جربة (وهم ابو النجارة يونس ابن تعاريت شيخ الحلقة وابو زكرياء يحيى السمومنى شيخ الحكم وبقية اعضاء العزابة) عـزم النصارى على مهاجمة الجزيرة حتى جعلوا يتشاورون فى الامر ، فاجتمع حينئذ من ينظر اليه من عزابة وهيبتها عند الشيخ الاجل ابى النجـاة يـونس بن سعيد (ابن تعاريت ..)

---

(1) سير الشماخى ص 557
(2) دائرة المعارف الاسلامية فصل جربة
(3) نفس المصدر

ففى هذه المرة لم يات المدد من الخارج سوى الدعاء الصالح الذى طلبه الجربيون من اخوانهم بنفوسة ، وتمكن الجربيون بقيادة عزابتهم ان يهزمـوا اسطول دو بدرو نافارو شر هزيمة .

جربة فى العهد الحفصى الاسبانى

940 هـ ـ 981 هـ : 1551 ـ 1573 م

1) حملة النصارى على جربة (1) ومواقف درغوث منها :

لم يتمكن عزابة جربة من صد هذا الهجوم ولعل هذا يرجع الى كبر سن الشيخ زائد اللوغ

اما موقف الشيخ صالح السمومنى شيخ الحكم فاننا لم نعثر على شىء عنه

ثم تذكر المصادر ان النصارى حصروا هناك درغوث باشا متوفى سنـة 973 هـ : 1565 ـ سنة 957 هـ : 1550م ، واستطاع ان ينفلت منهم بدهائه (2)

ثم بعد ذلك استطاع درغوث ان يطردهم منها سنة 958 هـ : 1551 م (3)

ثم نجد درغوث مرة اخرى سنة 960 هـ : 1553 م حيث « قدم بعساكره من الترك وزوارة والسبعة اولاد شبل » (4)

ولما بلغ الجربيين خير قدومه استعانوا باحمد بن حسن الحفصى (942 ـ 980 هـ : 1572 م) فلم يلتفت اليهم لعجزه عن ذلك

---

(1) لم نتمكن من تحديد عدد الحملة لاختلاف المصادر فى ذلك . وقـد استنتجنا هذا الاحتلال من طرد درغوث اياهم سنة 958 هـ : 1551 م حسب ما يقول ح·ح عبد الوهاب خلاصة تاريخ تونس صفحة 154 ط 1968
(2) مؤنس الاحبة تعليق 1 صفحة 112 ـ 113
(3) خلاصة تاريخ تونس صفحة 154 ط 1968
(4) مؤنس الاحبة صفحة 112 ملحق سير الشماخى صفحة 579

ودافع الجربيون عن جزيرتهم ، لسنا ندرى بقيادة من ، الى ان انتصر عليهم درغوث فاستولى على جربة ، ورتب قوانينها واستخلف عليها عامله الشيخ مسعود السمومنى (1)

لكن ما ان رجع الى طرابلس سنة 967 هـ : 1560 م حتى بلغه طلب عزابة جربة اعانة السلطة التونسية فعاد اليها ، وقتل شيخ عزابتها داود التلاتي بعد ان سجنه شهرا فى جمادى الاول 967 هـ : جانفى 1560 م وذلك لكثرة الوشايات فيه (2) ولمصلابته امام درغوث (3)

2) حملة النصارى سنة 967 هـ : 1560 م

« فمكثوا بعده 8 ايام او 10 فقدمت عمارة النصارى ... » (4)

وهى حملة دوق مدينة سالم التى نزلت على الساحل الشمالى عند مزار الشيخ سالم آذروم (5) « فتلقاها الشيخ مسعود بن صالح السمومنى ، وصالح قائدها ان يسلم لهم برج القشتيل (6) ولا يلتفتوا الى غيره »

وفى هذه السنة توفى مسعود السمومنى 967 هـ : 1560 م لسنا ندرى اقبل طرد النصارى ام بعده

---

(1) مؤنس الاحبة ص 113

(2) ماحق سير الشماخى صفحة 579

(3) ملحق سير الشماخى صفحة 579 : « ... اتى الى درغوث فكلمه درغوث (كذا) فى مخالفة جربة وما كان من اهلها . فقال له الشيخ : نحن جماعة العزابة ليس بايدينا ولا الينا تولية الامراء ولا عزلهم فى هذا الزمان . فقال له بل انتم ادخلتم المسعود وافسدتم البلاد وفعلتم وفعلتم. فقال له الشيخ : ما فعلنا شيئا الا الخير ولسنا ان شاء الله من اهل الشر فى شيء بل الفساد من قبلك لتقديمك الاسافل . »

(4) ماحق سير الشماخى صفحة 579

(5) انظر الخريطة : سيدى سالم

(6) انه فى الحقيقة البرج الكبير كما سنبين بعد حين

3) الحملة العثمانية بقيادة بياله باشا وباعانة درغوث باشا 967 هـ : 1560 م

ولا يمكن ان تسكت الدولة العثمانية عن هذا الاحتلال لثغر من ثغورها الهامة فارسلت اسطولا حاصر البرج الكبير شهرين استسلم بعدها النصارى

« وظل الاسبان يقاومون بقيادة الدوق القارده سانده الى ان اضطرهم الجوع والمرض الى الاستسلام وذبح افراد الحملة عن آخرهم ، وشيد من عظامهم هرم بالقرب من البرج الكبير اطلق عليه اسم برج الجماجم » (1)

ثم تضطرب الاخبار وتذكر ثورة تزعمها عبد الله البرجى واطرد عمر بن موسى البجلودى الا ان هذا سرعان ما استعان بوالى طرابس (؟) فناصره وقتل عبد الله البرجى (2)

وهكذا فقد العزابة السلطة الزمنية من آخر السمومنيين وقيام الجلوديين سنة 967 هـ : 1560 م .

ويذكر ابو راس عدة فتن فى زمنهم من 967 ـ 1172 هـ : 1560 ـ 1759 م اذ عزل آخرهم على بن حسين باى (1172 ـ 1190 هـ : 1759 ـ 1783 م) سنة 1172 هـ : 1759 م وولى مكانه القائد حميدة بن عياد وسار افراد هذه الاسرة سيرة الجلوديين ، وآثارهم ما زالت الى الآن بصه غيان

هكذا تضطرب الاخبار مما يثبت ان سلطة العزابة بدات تتقلص فكيف تقلصت ؟

---

(1) دائرة المعارف الاسلامية ط العربية صفحه 328 : برج الجماجم هو الذى بقى الى سنة 1264 هـ : 1848 م حيث هدم واقيم مكانه نصب تذكارى مقام الى الآن غربي البرج الكبير شمال الجزيرة قرب الميناء

(2) تضطرب الحالة السياسية ، ولم نجد نصوصا مضبوطة ذلك ان ابا راس فى مؤنس الاحبة وقع فى خطا لانه اعتبر وفاة التلاتى سنة 997هـ صفحة114 كما ترد اخبار درغوث باشا الى سنة 1007 هـ ونحن نعلم انه توفى سنة 973 هـ : 1565م انظر تعليق 1 صفحة 154 خلاصة تاريخ تونس طبع 1968 وقد اتبعه المرزوقى فى تعليقه على وفاة التلاتى صفحة 114
فلذلك يصعب ان نقرر ابا فى هذا الشان لعدم وجود وثيقة اخرى
وان صدقنا ابا راس ان قاتل عبد الله البرجى هو درغوث باشا وجب ان تكون الحادثة قبل سنة 973 هـ : 1565م .

لقد تقلصت سلطتهم تدريجيا الى ان انحصرت في بعض المراسلات في المطالبة ببعض حقوق الاباضية .

ومن ذلك شكوى عزابة جربة الى حسين باي (1117 ـ 1153 هـ : 1705 ـ 1740 م) وقد عثرنا على رد الباي على هذه الشكوى فقط وهذا قسم منه :

« وبعد فقد اتفق علماء تونس على تجويز شهادة العزابة في الخصوص والعموم لاسيما اهل الصلاح لان شهادة من اتى بالقول والعمل اصح ممن اتى القول وضيع العمل ، اذ المقصود من قدح في شهادة العزابة لزمه الكفر ... »

وذلك سنة 1120 هـ : 1708 ـ 1709 م (1)

ان نص الرد يثبت ان العزابة ورئيسهم في هذا التاريخ يوسف المصعبي اشتكوا ممن قدح في شهادتهم ، وقد ناصرهم الباي ، وحكم على القادح في شهادتهم بالكفر .

كما نجد شكوى اخرى لها نفس الموضوع موجهة الى محمد باي (1169 ـ 1172 هـ : 1756 ـ 1759 م) سنة 1169 هـ : 1756 م. وهذا قسم منها :

« اما بعد فالمعروض على سمعكم الكريم ... ان الموجب لهذا الكتاب الشكوى لله ، ولذوي الالباب مما رمانا به النمام المغتاب (من الفتوى بما هو محرم) في السنة والكتاب ونحن منه بريئون ... » (2)

وهذه الشكوى الثانية كذلك زمن الشيخ يوسف المصعبي ، وقد راينا موقفه من اليونسي واهداره دمه (3)

---

(1) دفتر رقم 1 صفحة 18 مكتبة الشيخ سالم

(2) دفتر رقم 1 صفحة 20 ـ 21

كنا نود البحث عن الوثيقتين في دفاتر البايات الا ان ضيق الوقت لم يمكنا من ذلك .

(3) انظر ما سبق صفحة : 229



بـرج القشتيـل : المدخل الرئيسي



بـرج القشتيـل (من الداخل)

وقد رأينا موقف ابنه محمد بعده عندما ارسل على رأس الوفد الجربي ليناظر علماء الحاضرة وكيف رجع معززا (1)

وقبل ان نختم هذا الفصل يحسن ان نذكر على التوالي اسماء افراد اسرة السمومني ، ثم اول الجلوديين وآخرهم ، واول امراء ابن عياد حتى يسهل على الباحث تتبع اخبارهم .

1) امراء اسرة السمومني :

– محمد السمومني متوفى 688 هـ : 1239 – 1290 م

– سليمان بن صالح السمومني 699 هـ : 1299 – 1300 م

– ابو يحيى زكرياء السمومني موجود في سنة 835 هـ : 1431 – 1432 م

ابو زكرياء يحيى السمومني موجود في سنة 916 هـ : 1510 م

– سعيد واحمد وصالح ابناء يحيى

– مسعود بن صالح 937 هـ : 1560 م

لا يمكن ان نرتبهم ، اذ نجهل اسماء بعض منهم .

يذكر التيجاني في سنة 706 هـ : 1307 م ان امراء الوهبية من اسرة بني سمومن ، ولم نتمكن من معرفة اسم هذا الامير

2) امراء ابن جلود : 697 – 1172 هـ : 1560 – 1759 م

اولهم ولاه درغوث باشا وهو موسى بن عمران ابن ابي الجلود ، وآخرهم عزله على بن حسين باي وهو احمد بن موسى ... ابن الجلود .

3) اول امراء ابن عياد هو :

القائد حميدة بن قاسم بن عياد قد بنى جامع القائد بصدغيان سنة 1204 هـ : 1790 م.

---

(1) انظر ما سبق صفحة : 231

خاتمة الحديث عن علاقة العزابة بالدول الحاكمة

لقد استقر نظام العزابة في جزيرة جربة من القرن الخامس الى القرن 12 هـ يضعف حينا ويقوى احيانا ، وتمكن طيلة هذه المدة ان يشرف على جميع شؤون الجزيرة الدينية والدنيوية .

وقد بدا يتسرب اليه النقصان منذ قيام الجلوديين بجربة ، اذ بعد ان كان شيوخ الحكم تحت اشراف العزابة اصبحوا تحت اشراف السلطة الرسمية التونسية .

لقد وجدنا للسلطة الحاكمة نفوذا من قبل منذ عهد الصنهاجيين حيث تعين الدول الحاكمة ولاة ، غير ان وظيفتهم تنحصر في جمع الخراج ، ويسهر عادة شيوخ العزابة على تاديته على احسن وجه حتى يطمئنوا على انفسهم :

ويظهر هذا في موقف شيوخ جربة من حملة اللحياني حيث فرض عليهم مقدارا معينا ، فما كان منهم الا ان جمعوه لهم .

كما استعانوا بقوة الموحدين سنة 555 هـ لما عادوا ضعف الصنهاجيين ، وتمكنوا من تخليص جزيرتهم من سلطة النصارى .

ثم قامت بعد ذلك سلطة بني مكي على جربة ، وصلتهم كانت حسنة مع شيوخ العزابة خاصة مع الشيخ يعيش بن موسى الزواغي والشيخ اسماعيل الجيطالي وجماعة ابي مسور .

ثم استعانوا كذلك بابي فارس الحفصي واستقام لهم الامر معه .

كل هذا يثبت ان العزابة يقبلون بخضوعهم للسلطة الحاكمة ، بل يرغبون في ذلك في بعض الفترات حتى لا يطمع فيهم طامع آخر ، ولهم مواقف عدة في رغبة البقاء تحت السلطة التونسية .

والناظر في علاقة هؤلاء مع النصارى الذين حكموا الجزيرة في فترات متقطعة مدة سبعين سنة تقريبا يتبين انهم كانوا يتصدون لهم ويثورون عليهم الى ان قال فيهم القطالوني ما قال .

ولم يبق بعد هذا الا ان نختم هذه الدراسة مشيرين الى بقايا هذا النظام في جربة الى يومنا هذا

الخاتمة

ان متتبع هذا البحث يتبين اننا وضحنا الاسباب التى دفعت الاباضية الى دخول عهد الكتمان .

وهذا التحول ادى شيوخهم ان يفكروا فى اقامة نظام يحفظ كيانهم فى هذا العهد فتصدى ابو عبد الله محمد بن بكر لهذه الوظيفة واجتهد ليقوم بذلك على احسن وجه فكون جيلا ورث عنه ذلك .

وجملة عملهم مكنتنا من تبيين حقيقة هذا النظام ومدى قيمته فى المجتمع الاباضى ، اذ مجلس العزابة هو المحرك لهذا المجتمع .

وقد بينا خاصة نشاطه فى جربة منذ نشاته الى ان تداعى كيانه فى بداية القرن 13 هـ : 19 م سواء فى الميدان العلمى او العملى .

ويرجع هذا التداعى الى سببين :

1) تدخل السلطة الحاكمة من قريب فى الجزيرة بتعيينها الحكام من الجربيين الذين لا يمتثلون لامر العزابة وبذلك فقدوا السلطة الزمنية التى تساعدهم على تطبيق الاحكام واصبحوا يخشون على انفسهم عند تطبيقها .

2) عدم وجود شخصية فى مستوى المصعبيين الذين تمكنوا من انقاذ نظام العزابة فى القرن 12 هـ : 18 م . فكثرت الآراء وتعددت الاتجاهات واصبح النظام بدون قائد واذا فقدت القيادة سرعان ما يتفرق الاتباع .


قصر ابن عياد من الداخل (بصد غيان)

بقايا هذا النظام بجربة

لقد عاش الشيخ سعيد ابن تعاريت في القرن الثالث عشر هـ : 19م. اى فترة تداعى النظام ، وذكر بعض المواقف التى تثبت محاولة بعض الشيوخ جمع شمل العامة واقبال هؤلاء عليهم الا ان هذا يبقى فى نطاق ضيق اذ يذكر مثلا تحاكم بعض الناس لعياد ابن قيراط الصدغياني .

وسنحاول في هذه الخاتمة ان نعدد بعض المواقف التى ورثها اباضية جربة عن هذا النظام .

1 ـ اشراف الشيوخ على المساجد اذ يختارون الاكفاء لترسمهم الدولة لاحدى الوظائف : الامامة ـ الاذان .

2 ـ تنقل بعض الشيوخ بين مساجد الجزيرة لتذكير الناس .

3 ـ الاشراف على حفلات الاعراس ، اذ عادة اباضية جربة الى الآن ان يختم القرآن في دار العريس ، وذلك لتطهير هذه الاعراس من البدع الفاسدة .

4 ـ الاشراف على المآتم وتغتنم الفرصة للوعظ والارشاد .

5 ـ المحافظة على تحفيظ القرآن الكريم في بعض المساجد .

6 ـ النظر فى حالة الفقراء المحتاجين وحث اهل الخير ان ينفقوا عليهم .

7ـ اقبال بعض الناس على الشيوخ للفتوى او لفصل بعض الخصومات .

هكذا وان توقف هذا النظام بجربة ونفوسة فانه لا يزال قائما فى وادى ميزاب يؤدى جميع مهامه على احسن وجه وهو الذى وثق روابط الميزابيين وجعلهم يعيشون فى ربوعهم فى وسط اسلامى طاهر ، اذ يسعون الى تطبيق جميع المندوبات فضلا عن الفروض ، والنظر فى تطبيق نظام العزابة هناك يحتاج الى دراسة علمية مفصلة نرجو ان تتحقق فى المستقبل .

قسم مصطلحات العزابة

1 ـ الاشتمال : من اشتمل صيغة افتعل من شمل فلانا يشمله برفع الميم شملا وشمولا اى غطاه بالشملة .

والشملة : هى كساء صوف او شعر يتغطى به ويتلفف .

ويقال اشتمل الصماء : وهو ان يرد الكساء من قبل يمينه على يده اليسرى وعاتقه الايسر ، ثم يرده من خلفه على يده اليمنى وعاتقه الايمن فيغطيها جميعا .

2 ـ الالتحاف: لحف يلحف بفتح الحاء لحفا فلانا: غطاه باللحاف واللحاف هو اللباس فوق سائر اللباس من دثار البرد ونحوه ويقال التحف اللحاف اى تغطى به .

ويكون لحاف العزابة غالبا من صوف .

3 ـ التلميذ : من تلمذ وهو فى الاصل خادم الاستاذ من اهل العلم او الفن او الحرفة . وهو : «اسم واحد المبتدىء عند الدخول فى الطريق سواء كان طالب فنون او مقتصرا على الصلاحية فقط » : الطبقات صفحة 4

4 ـ الحلقة : بسكون اللام اسم لجماعة تجتمع على شيخهم يعلمهم العلم ويلقنهم السير ويبصرهم فى الدين بحسب ما يفتح الله على كل واحد منهم . فكانهم محلقون ولو انهم متفرقون .

وهو لقب لجماعة العزابة وشبهها ابو عمار عبد الكافى بحلقة الحديد اذ من دخل هذا النظام عليه ان يحترم جميع الشروط ولذلك يقول الدرجينى ولو انهم متفرقون .



قصر ابن عياد منظر للقسم الادارى المحكمة (صدغيان)

وتطلق هذه الكلمة على نفس هيئة العزابة عند انعقادها او على مكانها .

5 ـ **الخطة** : والهجران والطرد والابعاد : الفاظ تترادف على معنى واحد، وذلك متى اجرم واحد من اهل الطريق او اتى بنقيصة في قول او عمل او تضييع فانه يهاجره كل اهل الصلاح فلا يكلم ولا يحضر جماعة ولا يؤم ولا يؤاكل ولا يجالس ومن كان في الخطة حالت بينه وبين اهل الخير .

فان تاب واستغفر قبل منه ورجع الى الجماعة ، وزال عنه شين ذلك الوسم . الطبقات ص 4 .

6 ـ **الختمة** : اجتماعهم لذكر الله والدعاء عند طلوع الشمس وعند غروبها بشيخ او بغير شيخ وكانها ما يختم به عمل الليل والنهار «الطبقات ص 4» .

7 ـ **الدولة** : ان يتداولوا القراءة بينهم، وتذكر خاصة عند حضور التلاميذ بعض الدروس .

8 ـ **الزاوية** : يعنون بها الحبس الصغير ، ويكون غالبا للصغار في المسجد : الاباضية في شمال افريقيا ج 3 صفحة 6 .

9 ـ **السيرة** : منهاج العزابة العلمي والعملي والخلقي وحسن السلوك : الاباضية في شمال افريقيا ج 3 صفحة 6 .

10 ـ **شملة الطعام** : ما يوضع على الصدر لوقاية الثياب في حال الاكل: نفس المصدر السابق .

11 ـ **الطلبة** : ما يقابل قسم العوام اي هيئة العزابة وما يتفرع عنها .

12 ـ **العباءة** : كساء مشقوق واسع بلا كمين يلبس فوق الثياب يمكن ان يلبسه العزابة عوض الاشتمال .

13 ـ **الفتوح** : ما يرد التلاميذ من الارزاق والغلال فيقسمونها على شروط معلومة لهم : الاباضية في شمال افريقيا صفحة 6

14 ـ المجتمع والجمع والميعاد : الفاظ تترادف على معنى واحد وهو ان يجتمع الشيخ بهم على وعظ يفيدهم او للتذكير . يكون (شورى) من اصلاح فساد او تلافي فوات اذ امر بمعروف او نهي عن منكر بجميع الاخبار ، ويكون يوم الاثنين ويوم الخميس ويكون في اي وقت دعت اليه الحال ليلا او نهارا او في اي يوم كان : الطبقات صفحة 4 .

15 ـ **المحضرة** : تجمع على محاضر ، من حضر يحضر برفع الضاد ، فيها معنى القدوم والاقبال ، والرباعي احضر فيه معنى الاعداد ، ومنها اخذ المعنى الاصطلاحي ، اذ المحضرة عبارة عن كتاب للاملاء ، وتعليم الخط ، وحفظ القرآن الكريم ، وسميت بهذا الاسم لانها تحضر الصبي لقسم التلاميذ من طلبة القرآن الكريم .

ويقول محمد بن الخير : «كنا في محضرة الصبيان خارجا من القصر ندخل ونخرج ونتعلم من المؤدب ...» صفحة 29 سير الوسياني .

16 ـ **النقيب** : واحد من التلاميذ يعينه احد العرفاء ليساعده ويكون غالبا في طلبة القرآن .

17 ـ **الهجرة** : تقال لاسنى الجماعة في الحلقة . انظر الملحق 1 ص 4 .

سنحقق وثيقتين تاريخيتين هامتين ، يحسن ان نشير انه لا يمكن ان يستفيد منها القارى، الا عند الاستعانة بالخريطة المطبوعة فى آخر البحث .

لم نشر قصدا الى الجهة التى يوجد فيها كل جامع بكل تفصيل بل اكتفينا عادة بالاشارة الى الحومة فقط .

الملحق الأول

ان لهذه الوثيقة اهمية كبرى بالنسبة لنظام العزابة بجربة وان اهملت ما قبل القرن السابع وما بعده :

1 ـ لانها وجدت مقيدة بخط بعض العزابة حسب شهادة المؤلف في بدايتها

2 ـ لانها تعين مجلس الحكم في كل عهد من القرن 7 الى القرن 11 هـ : القرن 13 الى القرن 17 م ، اذ توفي المؤلف سنة 1099 هـ : 1687 ـ 1688 م.

3 ـ لانها تعين ابرز اعضاء المجلس في كل قرن او نصف قرن .

وان كانت تنقصها الدقة بالنسبة لبعض الفترات ، ولا تضبط هيئات الحلقة في كل عصر الا ان الوقوف عند جزئياتها يساعدنا على ان نستنتج ما يـلي :

1 ـ ان المشيخة يمكن ان تنحصر في شخص واحد كما في القرن 7 هـ : 13 م مع الشيخ يعيش بن موسى الزواغي : وهي الصورة الكاملة لنظام العزابة : فالشيخ هو الغوث الكبير .

2 ـ ويمكن ان يتعاون عليها عالمان كما في القرن 8 هـ : 14 م :

الشيخ البرادي للتدريس .

الشيخ سعيد يامون للنظر في المشاكل الاجتماعية .

3 ـ ويمكن ان تتعاون جماعة على تحمل هذه المسؤولية :

الشيخ اليديسي للتدريس

الشيخ زكرياء الصدغياني هو اعلم الجماعة اذ تمر به سلسلة نسب الدين بجربة فيكون الغوث الكبير .

اما ولدا البرادي وحفيده يبدوانهم كانوا يتعاونون على التدريس اما في المسجد الكبير مع الشيخ اليديسي واما واصلوا نشاط مجسد وادي الزبيب حيث تعلموا على الشيخ قاسم البرادي صاحب كتاب الجواهر وهذا الارجح .

ملاحظة : ان دل هذا التوزيع على شيء، فانما يدل على كثرة النشاط في هذا العهد وخاصة في الميدان العلمي .

ولعله يدفعنا الى ان نقرر امرا وهو وجود هيئات للعزابة في كل قريـة زاخرة بالعلماء يضمها مجلس اعلى يترأسه اعلم الجماعة ، ويكون المرجع عند الضرورة وعبارة الحيلاتي واضحة في هذا الشان «في كل نازلة نزلت بهم» .

قبل ان نصل الى الاستنتاج الرابع يحسن ان نشير الى ان الحيلاتي اهمل الاشارة الى مشيخة الحكم وهي قائمة بالجزيرة منذ النصف الاول من القرن 7 هـ : 13 م اذ توفي اول حكام اسرة السمومني سنة 688 هـ : 1290 م (1)

ولعل هذا يرجع الى ان هؤلاء الحكام لم يلعبوا دورا هاما كما هو الشان بالنسبة للذين ذكرهم في ما بعد

4 ـ انقسام المشيخة الى قسمين :

مشيخة العلم والشورى : قد يقوم بها عالم واحد كما في عهد الشيخ يونس التعاريتي .

وقد يقوم بها عالمان :

الشيخ الثلاتي : للتدريس

الشيخ اللوغ : للشورى

(1) انظر قسم علاقة عزابة جربة بالدول .

مشيخة الحكم : السمومنيون

ثم الجلوديون

ولعله يمكن ان نشير الى ان نظام العزابة لم يكن جامدا كما هو الشأن بالنسبة لبعض القوانين ، بل كان مرنا تمام المرونة يتكيف مع كل عصر دون ان يخرج عن الاصل ، وذلك لانه يرمي الى حفظ كيان اتباعه ورعايتهم في حالة السلم والحرب .

وهذا يظهر خاصة في ايجاد وظيفة مشيخة الحكم ليتولى اصحابها الدفاع ضد هجومات النصارى وغيرهم .

هذه بعض الاستنتاجات من وثيقة الجيلاني في عزابة جربة فما هي هذه الوثيقـــة ؟

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم

رسالة الشيخ سليمان الجيلاني في شيوخ عزابة جربة
حققت في الملحق الاول

بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم .

ذكر ما وجد مقيدا بخط بعض العزابة مما نقل اليهم من سيرة المشائخ فى النـوازل .

بعد الحمدلة : الى مجلس الاخوان اولى المكارم ونجـوم الهـدى وانـوار المواسـم . السـلام عليكـم ورحمـة الله وبركاتـه .

وبعد سمعنا ممن صحت عندنا روايته وثبتت عندنا ثقته من السلف الصالح

ان عادة اهل الجزيرة من زمان الشيخ يعيش بن موسى فى القرن 7 هـ : وهو المدرس فى مسجد وادى الزبيب ، وتجتمع عليه العزابة فى كل نازلة اذا نزلت بهم ويخرج الراى من تدبيرهم (1) .

ثم تولى بعده الشيخ ابو الفضل قاسم البرادى وهـو المدرس بالجامـع المذكور . واذا وردت نازلة يجتمع هو واكابر المشائخ عند عمنـا سعيد يامـون من حومة غيزن من جانب صدغيان لقدم هجرته وكثرة بركاته ، ويخرج الراى من جميعهم وذلك فى القرن 8 هـ (2)

ثم من بعده اولاده محمد وعبد الله وحفيـده عمنـا سليمان بن ابراهيـم البرادى ، واذا وردت نازلة يجتمعون عند عمنـا زكريـاء بن افلح الصدغيانى والفقيه قاسم من اولاد القاضى اليديسى وهو المدرس فى المسجد الكبير (3)

---

(1) مسجد وادى الزبيـب وهو جـامع ولحى الآن بحـومـة جعبيـرة انظر الخريطة .

(2) قدم الهجرة : مصطلح عند العزابة يشيرون بـه الى اسبقهـم فى حلقـة العزابة من حيث الزمن .

(3) ان هـذا يكـون فى النصف الاول من القرن 9 هـ وان لـم يحدد المـؤلف ذلك حسب الفقرة المتقدمة . الجامع الكبير : يسمى ايضا جامع ابى مسود وهو فى حومة الحشان .

ثم من بعدهم فى زمان الشيخ يحيى السومنى ، الجمع عند عمنا يونس التعاريتى الصدغيانى (1)

ثم من بعدهم فى زمان الشيخ صالح السومنى المدرس الكبيـر الشيـخ داود التلاتى فى مسجد القصبيين ، والجمع اذ ذاك عند عمنا زائد اللوغ بقرب مسجد مدراجن والراى يخرج من هنالك (2)

ثم كذلك زمان الشيخ سليمان السومنى ، المدرس عمنا عبد (الرحمان الحيلاتى والجمع عند اللوغ (3)

---

(1) يناسب هذا النصف الاول من القرن 10 هـ : 16 م لم يحدد مكان الاجتماع لكن يمكن ان نحدده فى جامع تاجديت بحومة فاتو ، اذ هو الجامع المجاور لمسكن الشيخ ابن تعاريت .

والشيخ يحيى السومنى : هو شيخ الحكم .

(2) الشيـخ صالـح السومنى : شيـخ الحكم فى النصف الاول من القـرن 10 هـ : 16 م.

الشيخ داود التلاتى متوفى سنة 967 هـ : 1560 م انظر ترجمته صفحة

مسجد القصبيين : موجود بحومة القصبيين بقلالة .

مسجد مدراجن : اكبر مساجد حومة مزراية بفتح الميـم والـراء واليـاء وسكون الزاء والهاء ، فى الشمال الشرقى من الجزيرة .

(3) الشيخ سليمان السومنى ، شيخ الحكم فى النصف الثانى من القرن 10 هـ : 16 م.

الشيخ عبد الرحمان الحيلاتى : لم يحدد مسجد التدريس لعله لانه بقى بمسجد القصبيين كما فى الفترة السابقة .

وربما تحول الى مسجد ولحى لقربه من مسكـن الحيلاتـى فى جعبيرة وبعد الآخر عنه .

الشيخ زائد اللوغ : انظر صفحة 217 من البحث .

اتممنا هذا النص بالاعتماد على رسالة ابن تعاريت صفحة 70 .

وبعد تولية الشيخ موسى البجلودى (تحول المجلس الى) المسجد الكبير والمجلس بعد المسجد الكبير محله (مسجد بنى لاكين (1)

وصار فى مسجد وادى الزبيب فى عشرة الاربعين (مـن القـرن الحادى عشر) يجتمعون (عند الشيخ سعيد ابن محمد) التغزويسنى باذن الشيـخ ابى زيد والشيخ الياس الهوارى

---

(1) انتقال مشيخة الحكم الى اسرة البجلودى : فى النصف الثانى من القرن 10 هـ : 16 م فى طالعه اذ كانت وفاة الشيخ مسعود السمومنى آخرهم سنة 967 هـ : 1560 م .

ان فى تنقل المجلس من مسجد الى آخر فى ثلث قرن ، الامر الذى لم نالفه فى ما سبق ، دلالة على ان الاوضاع ليست قارة .

مسجد بنى لاكين : مشهـور عند العامة (تلاكين) وهـو اكبر مساجـد حومة غيزن .

الممنا هذا النقص بالاعتماد على رسالة ابن تعاريت صفحة 70 .

الملحـــق الـثـانـى

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه قصيدة مخمسة ـ البحر الطويل ـ للشيخ سعيد بن ايوب البارونى النفوسى .

كان تتلمذ فى صغره بجربة وتعلم على مشائخها فى عدة مساجد : اربعة عشر مسجدا .

وقد ذكرها مع التعرض للمدرسين بكل واحد منها وهم 25 بين اشخاص واسـر .

وعلى حسب ما ذكر من موت الشيـخ عمر ابن ابى ستـة والـد المحشى رحمهما الله .

تكون هذه القصيدة منظومة حوالى نصف القرن 11 هـ : 17 م .

لهجت بذكر ذي التقى والفواضل ... امين ولي الله نور المحافل

وشمس الضحى القصبي (1) مفتي النوازل ... حليف الهدى والبر باقي الاوائل

فموت ابي حفص كمسلم وجابر (2)

صباح ومصباح ونور لنا بدا ... وارشدنا للحق والخير والهدى

فصار غريب الدين عاد كما بدا ... فطوبى له ياصاح في موقف غدا

ومورده عذب بعين الكواثر (3)

سلوا الغار هل بقي فقيه يؤلف ... من السبعة الاشياخ حين تالفوا

وهل بقيت اسلاف منهم او خلف ... ولم يبق الا رقم ما قد تكلفوا

وما دونوا حوى بطون الدفاتر (4)

سلوا مسجد الزاراتي عثمان ذي النسب ... ومسجد ابي النجاة يونس في الحسب

فيامقصد الطلاب في العسر والخصب ... اجدوا واحيوا العلم كونوا على الداب

فزاغ ازاغ الله قلب البصائر (5)

---

(1) القصبي : هو ابو حفص عمر بن ابي ستة القصبي والد الشيخ المحشي . وفاته حوالي نصف القرن 11 هـ : 17 م. القصبي نسبة لحومة القصبيين من جهة قلالة ، ولهم جامع بحومة قلالة كان ينعقد فيه مجلس الحكم في القرن العاشر زمن الشيخ داود التلاتي 967 هـ : 1560 م .

(2) هما مسلم ابن ابي كريمة وجابر بن زيد انظر صفحة 18 و 19

(3) هذا يثبت دراسة الشاعر على الشيخ عمر بن ابي ستة . نزعة تشاؤمية : غربة الدين ، دعاؤه لشيخه .

(4) جامع الغار بحومة مجماج والسبعة هم : ابو عمران موسى بن زكرياء ... انظر صفحة 167

(5) مسجد الزاراتي : ؟

مسجد ابي النجاة يونس التعاريتي بحومة فاتو وهو تاجديت

سلوا مسجدا يدعى بجامع غربة ... صوامعه تسمو على سوق جربة

وصار لغير الجنس ياليها كربة ... بنى صالح السمومني لله قربة

وكم مسجد امسين عنكم نوافر (6)

سلوا مسجد وادي الزبيب لتعلموا ... على شيخها البحر المؤلف قاسم

عليه من الرحمان سحب مراحم ... ديار الحيلاتيين كانت مراسم

يدابون في جدال كل مناظر (7)

سلوا مسجد لاكين ان كنتم تسالوا ... ولكن كلكم عن السؤال غفل

مجالسكم كانت به والنوازل ... ومسجد ابي كثير للعلم محفل

واحكامهم بالعدل وقف الاوامر (8)

---

(6) جامع الغرباء الآن : شرقي حومة السوق

لغير الجنس : اشارة الى انه اصبح لغير الاباضية وهو الى الآن مالكي .

صالح السمومني : شيخ من شيوخ الحكم بجربة في القرن 10 هـ : 16 م.

(7) مسجد وادي الزبيب : هو جامع ولحي اليوم يوجد بحومة جعبيرة من اهم المدارس العلمية

قاسم : هو ابو الفضل قاسم البرادي انظر صفحة

الحيلاتيون : اسرة من اسر حومة جعبيرة اشتهروا بالعلم والمحافظة على السير ، ومنهم الشيخ عبد الرحمان شيخ الحلقة في القرن 10 والشيخ سليمان ابن احمد الحيلاتي له عدة رسائل في تاريخ جربة متوفى سنة 1099 هـ : 1667 ـ 1688 م .

(8) لاكين : يوجد بحومة غيزن يقال له الآن تلاكين اشارة الى اقامة النوازل به . اسسه اولاد ابي يزيد سنة 601 هـ : 1206 م . الحيلاتي : رسالة حوادث جربة ص 5

ابو كثير : مسجد يوجد في بني ديس حومة تغديس .

سلوا مسجدا يزار عند المضائف ... بـه عمر المكناسي بـدر السوابق
فيا خالـق الانسان من مـاء دافـق ... تحصنت بالقـرآن مـن كل طـارق

توسلت بالبرادي منشيء الجواهر (14)

سلـوا مسجد يعيش قرب ديارهـم ... وقبـر يغـاو الابـدلاني جـوارهـم
على الرسـم والاطـلال ثم آثارهـم ... وقد درست في الارض حتى حجارهم

الا احد يزور تلك المشاعر (15)

سلوهم عن استفهام ما الشان والخبر ... وكيف ومـا بنـا عفـا الرسم والاثر
فهـل بـاكيـا لله يبكي ويعتبـر ... ويمضي الى العلـوم يقضي بها وطر

فهيهات قـد جرت الملام المقادر

فايـن البـلازي والمثاني باسرهـم ... وايـن بنـو المعلا كانـوا بعصرهـم
ودار بني ويران فصل مـن اصلهـم ... سقوا بكاس الحتف صرفا كغيرهـم

---

(14) هو جامع بوليمان بحومة صدغيان ومشيخته تعود الى علماء اسرة المكناسي .
البرادي : هو ابو الفضل قاسم البرادي .
الجواهر : كتابه : الجواهر المنتقاة لما اخل به كتاب الطبقات .
وهناك جامع بوليمان في حومة جعبيرة لعـل الشاعر اشـار الى البرادي ليذكر به اذ البرادي من حومة جعبيرة .
(15) مسجد سيدي يعيش : يوجد بحومة جعبيرة لا يبعد كثيرا عن جامع وادي الزبيب وهو اقل اهمية من الجامع الاخير (نسب للشيخ يعيش بن موسى الزواغي وفاته بداية النصف الثاني من القرن 8 يبدو انه بنى له ليتعبد فيه)
يغاو الابدلاني : بفتح اليا، وسكون الواو

بحزم المنايا وابتغوا فضل غافر (16)

فيا تربـة الديـن الاباضي بعدهـم ... وقد صار في الادبار كوكب سعدهم
وجربتنـا الغراء قـد هـد سدهـم ... وكانت بهـا ليوث لا يحصى عدهـم

فصارت جموع القوم عنا ظواهر

ليهنكـم يـــا سامعيـــن مخمسي ... ويحفظكم من طارق الجـن والانس
وذكركـم في القلب زاد بـــه انسي ... وحبكـم في الله فـاض على نفسي

صلاتي على النبي الشفيع المهاجر

فيا جملة الاخوان يا معشر الكـرام ... يحييكـم سعيـد بالف مـن السلام
ويقرئكم منـه التحيـة والاكـرام ... ويرغبكـم دعـاء في سـائر الايـام

تبركا في رياض تلك المحاضر

قال صاحب الانشاء المنظوم والاسلوب المرسوم هذا ما سنح بـه البـال ونطق به لسان الحال مع تراكم الاشغال وتغير البال وظهور الارذال وقلـة الاعمال وضعف الاقوال انما اودعناه تذكرة للاخوان وبقية السلف الصالح ومن القى السمع وهو شهيد

---

(16) اشار الى اسر اشتهر منها بعض العلماء رسالة ابن تعاريت ص 40
اسرة البلاز : بفتح الباء وسكون الزاي منهم الشيخ عمر البلاز اليسنوتي النفوسي شيخ عمر التلاتي
اسرة المثنى : من حومة آجيم توارث افرادها العلم الى بداية هذا القرن ولهم مسجد منسوب اليهم شرق قرية آجيم : مسجد المثنى .
اسرة بني المعلا : منها عبد الرحمان بن المعلا اصله من وادي آريغ
الويرانيون : تخرج منهم كثير من العلماء انظر رسالة ابن تعـاريت في تاريخ جربة .

سلوا ليمسا عن جادوى سعيدها ... ونجله عبد الله ويحيى فريدها

سليمان والشماخى كانا عميدها ... منازلهم للبوم اضحى غريدها

كانها لم تكن بالامس عوامر (9)

سلوا تغزويسن دار العلم امستطلل ... ثم اسالوا عن الذى نظم الجمل

وعن صالح المغراوى ذى القول والعمل ... اضا عليهم زمانا فيها وقد افل

واين بقايا جذر البغاطر (10)

مشائخ ابى الجلود لا تخفى فى العد ... شيوخ كانوا يفيضون بها فى الحد

على كل طاعن فيحيون بالرد ... ومن دان بالتاويل من كل معتمد

قضوا نحبهم والدار امست دوامر (11)

---

(9) ليمسا : هو مسجد ليمس يوجد بجهة آجيم
عائلة الجادوى : الشيخ سعيد وعبد الله ويحيى وسليمان
اسرة الشماخى : درسوا به فترة من الزمن ؟

(10) الشيخ محمد بن سعيد التغزويسنى وينسب اليهم جامع تغزويسن بسكون التاء والزاى والنون وفتح الغين والسين بين الفتح والكسر . ويوجد بحومة بازيم . والشيخ محمد هو تلميذ الشيخ عبد الرحمان الحيلاتى .
صالح المغراوى : استاذ الشيخ يعيش بن موسى الزواغى انظر ترجمتهما
البغاطر ج بغطورى : نسبة الى بغطورة احدى قرى جبل نفوسة ، وقد نشر فرع منهم العلم فى جربة والاسرة موجودة الى الآن بحومة والغ ولهم مكتبة بها عدة مخطوطات هامة .

(11) اسرة ابى الجلود : هى التى حكمت جربة بعد السمومنيين من القرن 10 هـ : 16 م الى القرن 12 هـ : 18 م . وآثار دورهم شمال حومة والغ ، وينسب اليهم جامع الشيخ بحومة قشعيين .

شيوخ اساس العلم عباهل ... وكهف لمن حلت عليه النوازل

وبحرهم فى العلم لا له ساحل ... وسيرتهم تجرى عليها دلائل

وفى الله لا يخشون لوم الجبابر

سلوا كلكم جميعا تلك المساجد ... وما السبب فى خرب تلك المعابد

فصارت خلا والبوم فيها غوارد ... وكانت مناهلا لدى كل وارد

شكوت الى رب معين وناصر

فيامعشر الاخوان هل من مكاتب ... يرد جواب النظم هل من مخاطب

الا عمروها ثم كونوا نوادب ... واحيوا مجالس العلم قواطب (12)

فهانوا اهان الله تلك المشائر

فياجملة الاخوان جدوا وشمروا ... واحيوا مجالس العلم وعمروا (12)

وبالامر بالمعروف وانهى تناصروا ... وعضوا على الدين القويم واصبروا

فهل علم يجلو كساد الخواطر

سلوا مسجدا عن دولة الفرس ... وعن شيخها المعروف نسبته يونس

اقام بها دهورا بالجد والحرص ... وجم تلاميذ مهاجر للدرس

تهجدهم بالليل وقت الاساحر (13)

---

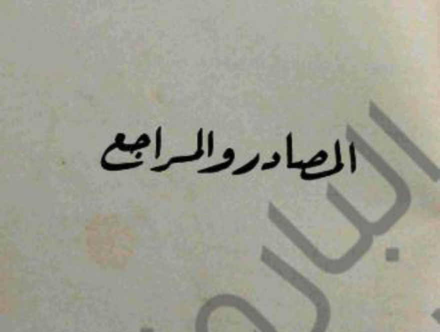
(12) مجالس العلم : اشارة الى كثرة النشاط العلمى بها المتوله عن نظام العزابة .
(13) اشارة مرة اخرى الى مسجد تاجديت بحومة فاتو ليذكر مشيخة اسرة اليونسى به .

والمطلوب منكم التزود بالدعاء في مشاهد الجزيرة كما لكم علينا مثلها في مشاهد الجبل والله يتولى القبول ومني لكم السلام .

نظمته ايام التشريق (اوائل الحجة) ووافق تمامه يوم النحر سنة 12 هـ ؟

ومن اصلح فسادا فان الله لا يضيع اجر من احسن عملا من الداعي لكم سعيد بن ايوب الباروني .

ملاحظة : لم احقق النص تحقيقا كاملا لان هذا يتطلب دراسة اوسع اكن احببت ان اثبته هنا لما فيه من اشارات الى كثير من مساجد جربة وعلمائها .



المصادر والمراجع

ابراهيم ابو اليقظان : متوفى 1393 ـ 1973
ـ ملحق سير الشماخي
ـ الاباضية في شمال افريقيا
ـ ترجمة حياة ابي عبد الله محمد بن بكر
ملاحظة : كلها مخطوطة بمكتبته الخاصة

ابن ابي الصغير المالكي : ق 3 هـ : 9 م
في تاريخ الدولة الرستمية ط 1908 اعمال مؤتمر المستشرقين الرابع‌عشر بالجزائر من ص 9 ـ 62

ابن قتيبة : ق3 هـ : 9 م .
ـ كتاب المعارف . ط حجرية المطبعة الشرقية 1300 هـ : 1883 م .

ابن ناجي (قاسم بن عمر) 9 هـ : 15 م
تعليقات على كتاب معالم الايمان في تاريخ القيروان للدباغ الجزء الاول

ابو زكرياء يحيى بن ابي بكر : ق 5 و 6 هـ : 11 و 12 م .
كتاب السيرة واخبار الائمة خ يقع في جزاين بمكتبة الشيخ سالم د. تا

ابو عمار عبد الكافي : ق 6 هـ : 12 م .
الطبقات : ذكر اسماء علماء الاباضية الى القرن 6 هـ : 12 م خ في بداية ج 1 من طبقات الدرجيني خ البارونية نسخ 1174 هـ.
ـ رسالة ابي عمار عبد الكافي في نظام العزابة خ صورتها من مكتبة القطب ابن يسجن وادي ميزاب وتسمى ايضا السيرة 9 صفحات . د تا

ابو العرب محمد القيرواني : ق 4 هـ : 10 م .
طبقات علماء افريقية وتونس ط الدار التونسية للنشر 1968 م .

ابو القاسم بن ابراهيم البرادي : 8 هـ : 14 م .
ـ كتاب الجواهر المنتقاة في اتمام ما اخل به كتاب الطبقات (الدرجيني) ط حجرية : القاهرة 1302 هـ .
ـ رسالة في كيفية انفاق اوقاف المساجد خ بدون تاريخ دفتر رقم 1 ص 10 بمكتبة الشيخ سالم .

ـ رسالة الحقائق خ مكتبة القطب بابن يسجن وادي ميزاب سفر 9 رقم 1531 د تا
ـ الجزء الاول من كتاب البحث الصادق والاستكشاف عن حقائق اسرار كتاب العدل والانصاف (لابي يعقوب الوارجلاني) نسخ 28 محرم 1200هـ مكتبة القطب ابن يسجن بدون رقم .

ابومحمد بن عثمان الصدغياني : ق 7 هـ : 13 م .
رسالة الى اهل وارجلان في الرد على المخالفين خ بالبارونية في 9 محرم 1226 هـ : 12 ورقة .

احمد بن ابي عبد الله محمد بن بكر (ابو العباس) : ق 5 هـ : 11 م.
كتاب تلخيص القسمة وبيانها في الاموال خ بمكتبة الشيخ سالم غيزن:دتا

احمد ابن ابي الضياف :
اتحاف اهل الزمان . 8 اجزاء ط تونس 1963 م

احمد بن سعيد الدرجيني : ق 7 هـ : 13 م .
ـ كتاب الطبقات خ في جزاين :
ـ الجزء الاول بالمكتبة البارونية نسخ سنة 1174 هـ.
ـ الجزء الثاني بمكتبة الشيخ سالم نسخ سنة 1357 هـ عن نسخة مؤرخه 1302 هـ .

احمد بن سعيد الشماخي : وفاته جمادي الاولى 928 هـ : مارس 1522 م
ـ كتاب السير ط حجرية سنة 1301 القاهرة .
ـ حاشية على عقيدة التوحيد ط مع المتن بتحقيق ابي اسحاق ابراهيم اطفيش . القاهرة 1353 هـ .

احمد توفيق المدني : معاصر
ـ كتاب الجزائر

اسماعيل الجيطالي : ق 3 هـ : 14 م .
شرح الاصول الدينية خ بمكتبة الشيخ سالم نسخ ج الاول 1124 هـ والثاني 1346 هـ .

امحمد اطفيش : ق 14 : 20 م .

– شرح عقيدة التوحيد (لعمر ابن جميع) مطول ط حجرية الحجم الكبير . دتا .

– ترتيب المعلقات (عيان بن بيان) ط حجرية قسنطينة د تا .

– رسالة فى حكم نظام العزابة خ بمكتبة بعمارة مليكة (وادى ميزاب)

امحمد بن يوسف المصعبى ق 12 هـ : 18 م .

– شرح القصيدة الحائية (لابى نصر فتح الملوشائى) ط حجرية . مطبعة كستليولا مصر 1315 هـ .

حسن ح عبد الوهاب : معاصر

– خلاصة تاريخ تونس ط 1968 م – الدار التونسية للنشر .

داود التلاتى (ابو سليمان) ق 10 هـ : 16 م.

– شرح عقيدة التوحيد (عمر بن جميع) موجز ط مع المتن تحقيق ابراهيم اطفيش القاهرة 1353 .

– قصيدة فى رثاء زائد اللوغ خ (قسم منها) مكتبة الشيخ سالم

– رسالة الى الشيخ ابى مهدى عيسى (انظر صورة منها فى البحث) .

الربيع بن حبيب : ق 3 هـ : 9 م .

– الجامع الصحيح : مسند فى الحديث قد رتبه ابو يعقوب الوارجلانى

الرقيق القيروانى : ق 5 هـ : 11 م .

– تاريخ افريقية والمغرب مطبعة الوسط تونس 1968 م.

الزركلى : الاعـلام

سالم بن يعقوب : معاصر

– تاريخ الجامع الكبير خ بمكتبته

– تراجم لبعض علماء جربة : مثل زائد اللوغ الخ ..

سعيد بن ايوب البارونى : ق 11 هـ : 17م .

– مخمسة فى مساجد جربة . انظر الملحق الثانى . خ . مكتبة الشيخ سالم د تا .

سعيد بن الحاج على بن تعاريت وفاته : 1289 هـ : 1872 م .

– رسالة فى تراجم علماء الجزيرة وذكر امرائها من بنى سمومن وبنى الجلود فرغ من تاليفها 1274هـ . خ مكتبة الشيخ سالم دتا تقع فى كراسين

سعيد بن على بن تعاريت ق 14 هـ : 20 م .

– كتاب المسلك المحدود . شرح فى تاليفه 1315 هـ . ط حجرية 1321 لم يذكر الناشر .

سعيد بن على الخيرى الجربى : ق 10 هـ : 16 م .

– سؤال كتب – شعرا – لبعض فقهاء (المخالفين) دالية . 34 بيتا . خ دفتر رقم 1 ص 14 – 15 م مكتبة الشيخ سالم .

– خطبة العيدين ودعاء السلام . ط فى سفر مجموع ستة كتب دتا .

سليمان البارونى : معاصر

– الازهار الرياضية فى ائمة وملوك الاباضية القسم الذى يختص بالدولة الرستمية ط حجرية دتا .

– مختصر تاريخ الاباضية ط البارونية .

سليمان بن احمد الحيلاتى : ق 11 هـ : 17 م .

– وثيقة فى عزابة جربة خ بمكتبة الشيخ سالم انظر الملحق الاول .

– نسبة الدين خ . صفحة بمكتبة الشيخ سالم . ط حجرية فى شرح الحائية للشيخ امحمد المصعبى – من ص 8 الى 10

– رسالة فى مشاهد (قبور) علماء جربة خ نسختها من وادى ميزاب مكتبة عمر بن يوسف دتا 8 صفحات من كراس عادى .

– رسالة فى ذكر بعض حوادث الجزيرة 9صفحات خ دتا مكتبة الشخ سالم

سليمان بن يخلف (ابو الربيع) 471 هـ : 1078 م .

– كتاب التحف (اصول الدين) – خ – البارونية . فى جزايين : ج 1 : 24 ورقة ج 2 : 32 ورقة . دتا

– السير (آداب طلب العلم) ط حجرية 1325 هـ اعتمدت خ الشيخ سالم . دتا

5 - Quatre ou cinq personnes qui s'occupent des funérailles.

6 - Deux "économes" (*Ouakil*).

7 - Le Juge (*qadhi*).

f) - *Rôle de chaque membre.*

Sous la tutelle du précédent conseil, un conseil des femmes s'occupe des problèmes de la société féminine.

C/ Le Conseil suprême qui résoud les problèmes des conseils de chaque village.

D/ Principales occupations des Azzaba : l'organisation de la ville, réglement des mariages, relations avec les ibadhites et avec le pouvoir...

E/ Les Sanctions : *Walaya et bara'a.*

Sanctions qui consistent à excommunier celui qui, dans la communauté, à péché.

F/ L'organisation des tribus dans la Société ibadhite.

G/ Lien entre les conseils des tribus et le conseil des *Azzaba.*

H/ Rôle de la masse.

I / L'enseignement ibadhite.

— Le cadre des enseignants
— Les élèves.
— Les étapes de l'enseignement.
— La façon d'enseigner.
— Les vacances.

IV/ Chapitre 4 (p. 15 1 - 312) : Histoire de l'organisation des *Azzaba* à Jerba.

I Pénétration des Wahbites à Jerba, biographie de Abu Miswar et fondation de la première "école" Wahbite à la Mosquée d'Abu Miswar (quatre Km à l'Ouest de Houmt Souk).

II Biographie des "membres de la caverne de Mejmej" à Jerba. Leur relation avec l'organisation des *Azzaba.*

III Biographie *d'Abou Zakariyya' Fasil ibn Abou Misxar :*

C'est lui que envoya un groupe de jeunes étudiants, dont ses deux fils Zakariyya' et Younès, à la recherche d'Abou abd-Allah Mouhammad ibn Bakr pour définir les premières règles de la *Halqa.* C'est ainsi que cette éthique s'appela, à ses débuts, la *Sira Miswariyya-Bakriyya.*

IV Le retour du groupe des jeunes étudiants et la fondation de l'organisation des *Azzaba* à Jerba.

V Biographie du président de la première Halqa : Abou Mouhammed Wislan.

VI Biographie des savants qui ont présidé la Halqa ou le conseil suprême des Halqa de Jerba 5e/Xe au 13e/XIXe.

VII Les principales fonctions de la *Halqa.*

— La direction des mosquées.
— L'entretien des biens de main-morte et leur distribution.
— La direction des "écoles"

A/ présentation en détail des deux principales écoles :

a) Le centre de la Mosquée *d'Abou-Miswar.*

b) Le centre de la Mosquée de *Wadi Ez-Zabib.*

B/ Programme de l'enseignement, les livres de base dans différentes matières, un modèle d'emploi du temps en hiver et en été, le choix des enseignants et leurs traitement.

C/ Les Centres à l'extérieur de Jerba.

— centre de la cité de *Touloun* au Caire.

VIII Les œuvres des *Azzaba*

a) les œuvres encyclopèdiques :

1) *Diwan al-Azzaba* : œuvre de droit préparé par sept savants dans la caverne de Mejmej, à la fin du 4e/Xe s.

2) le livre des testaments (*Wesaya*) et des contrats (bouyou'): œuvre dictée par Abou Mouhammad Wislan et rédigée par sept de ses disciples.

b) Les œuvres principales des membres de la *Halqa* à travers les siècles.

IX Les jugements des *Azzaba* (Nawazil).

1) Etude critique du régistre des jugements des Azzaba (1090/1679 - 1204/1790).

2) Le fonctionnement du conseil.

X Relation avec les autres Ibadhites :

Jerba, Noufousa (Libye), Mzab (Algérie) et Oman (Péninsule Arabique).

XI/ Relation des Azzaba avec le pouvoir.

1) Sous les Zirides, les Almohades et les Hafsides...

2) Les Principales croisades et la réaction des *Azzaba.*

XII La décadence de l'organisation des Azzaba à Jerba.

Conclusion : La fin de l'organisation des *Azzaba*

سليمان الوسياني (ابو الربيع) ق 6 هـ : 12 م .

– السير خ . مصورة بالبارونية نسخت فى 10 رمضان 1067 هـ بها 141 صفحة بالصفحة 35 سطرا 17,5 × 12,5 صم .

عبد العزيز الثميني ق 12 هـ : 18 م.

– كتاب الورد البسام تحقيق محمد بن صالح الثميني ط بتونس .

عبد العزيز سالم : معاصر

– المغرب الكبير ج 2 الدولة الرستمية ط الاسكندرية دتا .

عبد الله بن حميد السالمي (نور الدين) ق 14 هـ : 20 م.

– مشارق انوار العقول (اصول الدين) ط مطبعة الجريدة المحروسة 1413 هـ .

– تحفة الاعيان بسيرة اهل عمان ط جزاين : ج1 ط 2 مطبعة الشباب 1350 هـ . ج 2 ط 1 المطبعة السلفية 1374 هـ .

– كتاب شرح طلعة شمس على الالفية المسماة بشمس الاصول . الشرح والنظم له مطبعة الموسوعات . ط . القاهرة ج 1 دتا .

عز الدين التنوخي : معاصر

– مقدمة لشرح الجزء الثالث من مسند الربيع بن حبيب

علي يحيى معمر : معاصر

– الاباضية فى موكب التاريخ :

الحلقة الاولى : نشاة الاباضية

الحلقة الثانية : الاباضية فى ليبيا ط الاولى مكتبة وهبة ربيع الاول 1384

الحلقة الثالثة : الاباضية فى تونس ط دار الثقافة بيروت جمادى الاولى 1386 .

عمر ابن جميع (ابو حفص) : ق 8 هـ : 14 م .

– مقدمة التوحيد : عقيدة التوحيد ط القاهرة 1353 بتحقيق ابراهيم اطفيش . مع شرح الشماخي والتلاتي لها .

عمر التلاتي : ق 12 هـ : 18 م .

– نزهة الاديب وريحانة اللبيب خ بمكتبة الشيخ سالم .

فتح بن نوح الملوشائي (ابو نصر) : ق 7 هـ : 13 م.

– القصيدة الحائية المسماة تحريض الطلبة ط مطبعة كستليولا مصر 17 شوال 1315 فى آخر شرحها (لامحمد المصعبي) من ص 148 ـ 152 عـدد ابياتها 134 .

لقبـال مـوسـى : معاصر

المغرب الاسلامى ط 1 بالجزائر 1969 م.

لواب بن سلام اللواتي ق 3 هـ : 9 م .

– رسالة فى نشاة الاباضية ودخولهم المغرب . خ. مكتبة الشيخ سالم 65 صفحة 16 × 11,5 صم

محمد ابو راس الجربي ق 13 هـ : 19 م .

– مؤنس الاحبة فى اخبار جربة. حققه محمد المرزوقى ط المطبعة الرسمية تونس 1960 .

محمد بن زكرياء الباروني ق 10 هـ : 16 م .

– نسبة الدين ط طبعة حجرية 1301 هـ : قسنطينة الجزائر . ملحق سير الشماخي ص 578

– طبقات علماء الاباضية : 9 صفحات ، خ. نسخته من مكتبة باعمارة من مليكة وادى ميزاب . دتا (ناقص) يكتفى بذكر الاسماء فقط .

– رسالة فى حملة النصارى على جربة سنة 916 هـ ملحقة بمؤنس الاحبة ط المطبعة الرسمية تونس 1960 .

محمد بن عمر ابن ابي ستة (المحشي) : ق 11 هـ : 17 م .

– كتاب الترتيب (الحديث) 4 اجزاء من الحجم الكبير خ مكتبة الحاج حمو بغارداية . وادى ميزاب . دتا

– مجموعة فتاوى ط حجرية بالمطبعة البارونية 1315 هـ.

محمد عبد الباقى (ابراهيم)

الدين والعلم الحديث ط به فصل لابى اسحاق ابراهيم اطفيش عن الاباضية ص 258

محمد على دبوز : معاصر

– تاريخ المغرب الكبير . 3 اجزاء . ط 1 دار احياء الكتب العربية . 1383 – 1384 هـ : 1963 – 1964

– نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة ط 1 . 1389 هـ . 1969 . بالمطبعة العربية بالجزائر . 3 اجزاء .

محمد بن محمد الاندلسى (الوزير السراج) ق 12 هـ : 18 م .

– الحلل السندسية فى الاخبار التونسية ج 1 القسم الثانى تحقيق محمد الحبيب الهيلة ط الدار التونسية للنشر 1970

محمد المرزوقى : معاصر

– قابس جنة الدنيا ط القاهرة 1962 .

مقرن البغطورى ق 6 هـ : 12 م .

– سير مشائخ نفوسة . خ بمكتبة البغطور : والغ جربة 153 صفحة بالصفحة 24 سطرا 21 × 12 صم بدون تاريخ .

يحيى الجناونى (ابو زكرياء) ق 5 : 11 م .

– كتاب الوضع مختصر فى الاصول والفقه حققه ابراهيم اطفيش مع مقدمة فى تاريخ الاباضية : ص 3 – ص 16 – مطبعة الفالجة الجديدة دتا

يعيش بن موسى الزواغى الجربى ق 8 هـ : 14 م

– رسالة فى لوم طلبة آريغ . خ. 3 صفحات الحجم الكبير – دفتر رقم 1 ص 5 – 7 مكتبة الشيخ سالم .

– مرثية فى العلماء والتلاميذ الذين ماتوا فى الطاعون سنة 750 هـ . خ مكتبة الشيخ سالم . دتا

– جواب عن سؤال احمد بن مكى (فتوى فى الفقه) خ . دفتر رقم 1 ص 7و8 مكتبة الشيخ سالم .

يوسف بن ابراهيم الوارجلانى (ابو يعقوب) ق 6 هـ : 12 م .

– كتاب الدليل والبرهان . ط . حجرية . المطبعة البارونية القاهرة 1306 – 255 صفحة – 3 اجزاء .

يوسف بن امحمد المصعبى ق 12 هـ : 18 م .

– رسالة فى الرد على اهل طرابلس (لعدم قبولهم شهادة الجربيين) 9 صفحات الحجم الكثير . خ. دفتر رقم 1 ص 66–67 مكتبة الشيخ سالم

يونس ابن تعاريت (ابو النجاة) ق 10 هـ : 16 م .

– رسالة بعنوان تقييدات مسائل جمعها سلامة الجناونى (تلميذه) خ. البارونية . دتا

المعاجم

دائرة المعارف الاسلامية : ط العربية والفرنسية الفصول : جربة . اباضية . حلقة .

لسان العرب : لابن منظور ط بيروت . دتا

المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبد الباقي . مطبعة الشعب 1378

المعجم الوسيط : تحقيق جماعة من المؤلفين . ط بمصر : 1381هـ:1931م

الوثائق الهامة

– لائحة عزابة غاردایة – خ. بعنوان : نبذة فى ذكر بعض احوال عزابة الحلقة . صورتها من مكتبة باعمارة مليكة وادى ميزاب . خ. 3 صفحات ناقصة . دتا

– رسالة فى مبادىء عزابة غاردایة 8 صفحات (الاجتماعات والعقوبات) . دتا . خ. نسختها من مكتبة باعمارة : اشار اليها لويكى فى دائرة المعارف الاسلامية فصل حلقة . ط . الجديدة ص 100

– ديوان العزابة فى الفقه .

– دفتر نوازل عزابة جربة .

– دفتر نسخه الشيخ سالم من مكتبة الاباضية بالقاهرة به عدد وثائق هامة اشرنا اليه بدفتر رقم 1 .

المراجع الاجنبية

A.K. Ennami

A Description of New Ibadi Manuscripts from North AFRICA Journal of Semitic Studies Vol 15 N° 1 Spring 1970 PP. 63 - 88

BOSSOUTROT :

Document pour servir à une histoire de Djerba Revue Tunisienne Janv. 1903.

CHIKH BEKRI :

Le Kharijisme Berbère. Quelques aspects du royaume rustumide Annales de l'Institut des Etudes Orientales 15 (1957) PP. 55 - 88

LE TOURNEAU :

La Chronique d'Abu Zakarya Al-Warjalani m. 471 H : 1078 JC. (1)
RA. 1960 : P. 99 - 176 — P. 323 - 390 — 1961 : 322 - 374

LEWICKI TADENSZ :

1) Les historiens, biographes et traditionnistes ibadhites - Wahbites de l'Afrique du Nord du VIII au XVIèmx siècle Folia Orientalia Vol III, 1961 — P. 1 - 134.
2) Article — Halka : EI. NE P 97 - 101

MASQUERY (Emile)

Chronique d'Abu Zakarya. - imp. à Alger 1878.

MOTYLINSKI :

Chronique d'Ibn Saghir. Actes du Congrès International des Orientalistes — Alger - 1905 ed à Paris 1908.

RENE STABLO

Les Djerbiens ed. S.A. PI Tunis 1941.

TALBI Mohamed

L'Emirat Aghlabite. ed. Adrien - Maison neuve. - Paris VI 1966

---

(1) La date est à discuter.

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الاحاديث النبوية

فهرس الابيات الشعرية

– فهــرس الاعــلام –

– أ –

— ب —

— ت —

— ج —

— ح —

— خ —

— د —

— ر —

— ز —

— س —

— ش —

- ص -

- ع -

- ف -

- ق -

- ك -

فهرس اسماء القبائل والطوائف

ملاحظة : لم ادخل كلمه «اباضية» لانها تكاد تذكر فى كل صفحة

فهرس الاماكن

ملاحظة : لم ادخل كلمة « جربة » اذ تكاد تذكر فى كل صفحة

فهرس الصور والوثائق والخرائط

— *Suppléments* :

a) 1° *Supplément* : PP 323 - 338
L'Epitre de *Soulayman Al-Hilâti* : Enumération des présidents de l'organisation des *Azzaba* de Jerba du 7ème au 11ème siècle de l'Hégire.

b) 2° *Supplément* : PP 331 - 338
Le poème de *Saïd al-Barouni* : Enumération des principales mosquées ibadhites de Jerba et des cheikhs qui y ont enseigné.

— Index :

Savants - lieux - tribus et sectes - versets du Coran - dits du prophète - vers de poésie.

— Bibliographie :

Voici maintenant une brève présentation des chapitres principaux de l'ouvrage :

I/ Chapitre 1 : La naissance de l'organisation des Azzaba :

Dans ce chapitre, on étudie les principes du statut juridique (Houkm) chez les ibadhites, principes qui sont au nombre de quatre :

a) L'apparition (*dhouhour*)
b) La défense (*difa'*)
c) La pourchasse finale (*chira'*)
d) La dissimulation (*Kitman*)

Seule la dissimulation (*Kitman*) est intéressante. C'est la période où le pouvoir n'est pas entre les mains des Ibadhites. Ainsi l'Ibadhite doit suivre les principes de la Secte et se préserver du danger.

Suit une présentation de la situation des Ibadhites après la chute des *Roustoumides* et les conséquences de cette chute : naissance de l'organisation des *Azzaba* qui remplace, en quelque sorte, le gouvernement des anciens *Imam*.

II/ Chapitre 2 (PP 25 - 57) Biographie du fondateur de l'organisation Abu Abd-Allah Mouhammed ibn Bakr, mort en 440/1048-49

Né à *Farsatta* (ville de Jabal *Noufousa* en Libye) à la fin du 4è Xe S. Il a fait ses études, d'abord dans son pays natal, puis à Jerba où il a eu, comme professeur, Abou *Zakariyya Fasil ibn Abou Miswar*. Puis il suivit les cours *d'Abou-Nouh Saïd ibn Manghil* à Al-Hamma. Il fit ensuite un séjour à Kairouan. Enfin il se dirigea vers Qastiliya, à la recherche *d'Abou Umran Mousa ibn Zakariyya*. Il y trouva un groupe d'étudiants jerbiens envoyés à sa recherche par leur professeur Fasil. C'est avec eux qu'il instaura les premières règles de la *Halqa* dans la caverne ppelée pr la suite *at tis'aar, pour célébrer l'année* 409, abrégée en 9 (Tisaa). Il se déplaça par la suite en compagnie de la Halqa (organisation des Azzaba) à *Arigh, Tiniyasli et Warjalan* (= Ouergla), fonde *el-Atteuf*, la première cité de la région du Mzab actuel. Il fit aussi plusieurs voyages à Kairouan, en Ifriqya (région de Béja), au Sahel et à Jerba.

Marié à Aïcha, des Beni Yanjasin, il en eut trois fils : Ahmed, Yakoub et Ibrahim.

Sa mort advint en 440 H/1048-49. J.C. Son tombeau est connu sous le nom de *Sidi Mhammed as-Saih*, aux environs de *Blidet Omar* sur la route qui relie Touggourt et Ouargla (= Warjalan).

III/ Chapitre 3 (p. 59 - 150) : *Définition de l'organisation.*

On a d'abord indiqué le sens étymologique du mot *Azzaba* (l'éloignement), et le sens technique = groupe de Musulmans élus parmi les hommes pieux qui dirigent la société ibadhite.

A/ Statut juridique (*houkm*) de l'organisation.

Les savants ibadhites considèrent que cette organisation prend sa source dans le Coran et la tradition. Le maintien de la *Halqa* est obligatoire, tant que cela ne la met pas en danger.

B/ La Société Ibadhite pendant la dissimulation (*Kitmân*).

Elle comprend deux corps :

1) La Halqa : conseil réligieux qui dirige la masse.
2) La masse. (ômma).

La Halqa = conseil des Azzaba :

a) Les conditions pour être membre du conseil.
b) Election des membres.
c) Conduite des membres.
d) Sanctions subies par un membre de la *Halqa* ayant fauté.
e) *Les membres du conseil sont* :

1 - Le Chef suprême du conseil = *cheïkh al-Halqa*.
2 - l'Imam de la prière.
3 - le Muezzin.
4 - trois Enseignants du Coran.

Ministère des Affaires Culturelles

Institut National d'Archéologie et d'Art

IMP. AL-ASRIA — TUNIS

INSTITUT NATIONAL D'ARCHEOLOGIE ET D'ART

BIBLIOTHEQUE HISTORIQUE

TOME 1er

L'organisation des Azzaba chez les Ibadhites de Jerba

MEMOIRE EN LANGUE ARABE

DE

FARHAT DJAABIRI

TUNIS 1975

الملاحق


تاوريت
بني ديس
صدغيان
والغ
النفافرة
ميدون
محبوبين
أوفات
آركو
الماي
بني معقل
جيم
صدويكش
حومة السوق
فيزن
المطار
حومة الماي
القنطرة
برج القشتيل
خريطة بيانية
لأهم الحوم
بجربة


تاوريت
بني د يس
صدغيان
الزفافرة
ميدون
اوفات
محبوبين
الماي
آركو
بني معقل
آجيم
صدويكش
خريطة بيانية للجوامع
العامة المذكورة
في الكتاب
جوامع
حدود تقريبية بين الوهبية والنكار
طرق رئيسية

محتوى الكتاب

المدخل التاريخي

الفصل الاول

نشأة نظام العزابة

الفصل الثاني

مؤسس نظام العزابة

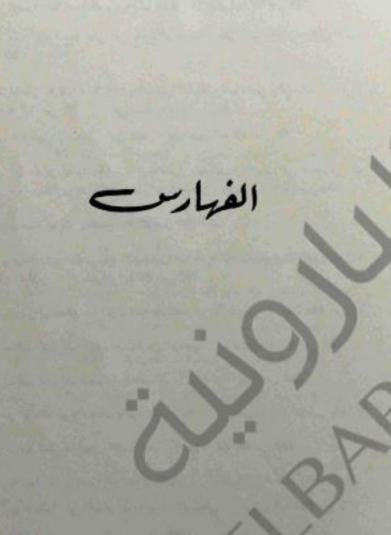
الفصل الثالث

حقيقة نظام العزابة

الفصل الرابع

تطبيق نظام العزابة في جربة

الفهارس



الملاحق

المصادر والمراجع

الفهارس

الخطــأ والصــواب

الخطا	الصواب	الصفحة	السطر
من الاستنتاج	استنتاج هذا التاريخ	19	2
قيام الدولة الرستمية	ج) **قيام الدولة**	20	8
952 - 953 973972	952 - 972/953 - 973	25	2
للبارونى :	للبارونى ،	31	تعليق 2
غار مجماج ص	غار مجماج ص 169	32	تعليق 6
الى ان قال فيه : عبد الله	الى ان قال فيه عبد الله	34	15
ويخلقون	ويخلفون	35	14
انفساء	انفسنا	37	1
بنى مصعب :	بنى مصعب ،	39	2
انظر الصورة	انظر الصورة ص 30	39	تعليق 3
باسمه 5	باسمه 1	40	2
انظر الصورة	انظر الصورة ص 30	40	تعليق 1
اقامة	اقامه	47	9
فى ما يلى	فى ما يلى ص 187 تعليق 2	48	تعليق 1
فى ما يلى	فى ما يلى ص 194	48	تعليق 3
يكفونه المؤنة	يكفونه المؤونة	49	2
مجماج	مجماج ص 167	52	تعليق 2
ما يلى	ما يلى ص 98	52	تعليق 3
نموسه	نفوسه	57	12
شراح	شرح	61	1
الاسلاميا	الاسلامية	64	7
احيانا	يجب الغازها	64	13
العازبه	العزابه	64	تعليق 1
ليس	ليست	73	1
قدم	اقدم	81	13

الخطا	الصواب	الصفحة	السطر
المؤن	المؤذن	82	13
انظر ص	انظر ص 66 تعليق 3	99	تعليق 3
عينيا	علينا	101	14
يمتثلوا	يمتثل اهلها	112	7
ابراهيم بيوض	**الشيخ بيوض ابراهيم**	114	2
كالعادة (1)	كالعادة (2)	119	7
للاقلمة	للاقامة	120	12
بنفده	بنفسه عن	120	تعليق 1 س6
الثانية ص	الثانية ص 118	132	تعليق 2
حسب	حسب	133	تعليق 3
ــ 11	يلغى	154	11
يمنه	يمنعه	156	1
بينهما	بينها	158	17
يبلغ	بلغ	159	12
عبد الله من	عبد الله بن	165	4
رجع مع	رجع من	169	13
ما سبق ص ؟	ما سبق ص 34	177	تعليق 2
المصادر	المصدر	195	تعليق 3
الصدغيانى	الصدغيانى	206	7
عملية	علمية	207	11
اوقات	اوقاف	209	2
تعاريف	تعاريت	209	19
بوادى	بجامع وادى	211	2
اما الشيخ زكرياء بن	**اما الشيخ زكريا بن**	212	6
معزوزين	معزوزين	213	3
تعليق 4	يلغى	217	تعليق 4
ابن	بن	220	6
ابى سليمان الحيلاتى	ابى سليمان داود بن ابراهيم التلاتى تولى	220	13

	رئاسة مجلس العزابة الشيخ عبد الرحمان		
تعليق 5	يلغى	220	تعليق 5
عصوا	عضوا	223	8
1162 هـ	1162 ـ	223	10
1062 ـ 1061	1602 ـ 1601	223	15
هـذا يـدل	وهذا يدل على	225	1
بـالمدرسة	وبـالمدرسة	225	14
10040	1040	225	14
1688	1088	227	16
بورسيعن	بوسيغن	227	17
اشكر	اشكو	227	19
4011	1104	230	6
تعاليت	تعاريت	230	تعليق 2
المصعى	المصعبي	231	13
1819	1818	232	4
عبسى	عيسى	232	5
ديغـ	ديغت	240	18
الخي-س	الخمس	243	10
جلد	مجلد	254	تعليق 2
الجزرة	الجزيرة	258	1
اجتمع	اجتمع	260	7
الثاني :	الثاني	265	2
1150 ـ 1349	1350 ـ 1349	267	14
	حذف السطر الاخير	267	19
1514	15 ـ 14	271	تعليق 1
ضحما	ضخما	273	8
مؤلفات	**مؤلفات**	274	3
لثلاث قضايا	للقضية	282	تعليق 2

تعليق 3	يلغى	282	تعليق 3
سنتقل	تنتقل	284	8
1	12	291	8
نابصة	ناقصة	292	تعليق 4
بميزاب 22	بميزاب س 22	293	آخر سطر
اصحاسا	اصحابنا	296	303
الليحاني	اللحياني	7	9
النجارة	النجاة	304	16
جينشـة	جينشـة	304	18
907	967	306	4
1972	972	307	13
1772	1172	307	15
ابـا	رايـا	307	تعليق 2س6
بخضوعهم	خضوعهم	311	19
شيوخهم	شيوخهم الى	313	4
در	دار	314	12
2 ـ الالتحاف	**2 ـ الالتحاف**	317	8
14 ـ المجتمع	**4 ـ المجتمع**	319	3
نشير انه	نشير الى انه	322	1
كما فى	كما حدث فى	324	11
كما فى	كما كان الامر فى	324	14
واما واصلوا	واما انهم واصلوا	325	2
قبل	وقبل	325	9
بالجزيرة	بالجزيرة	325	10
صفحه	صفحة 218	329	تعليق 2 س3
حسف	حليف	332	2
صفحه	صفحة 208	333	تعليق 7 س3

INSTITUT NATIONAL D'ARCHEOLOGIE ET L'ART

BIBLIOTHEQUE HISTORIQUE

TOME 1er

L'organisation des Azzaba chez les Ibadhites de Jerba

MEMOIRE EN LANGUE ARABE

DE

FARHAT DJAABIRI



TUNIS 1975